

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الأدب والنقد

المشوبات في جمهرة أشعار العرب

لأبي زيد القرشي

دراسة أدبية نقدية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة

عبلة الصديق عثمان محمد

إشراف

البرفيسور / محمد الحسن على الأمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ
لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ



إهداء

إلى من قال سبحانه وتعالى في حقهما :

﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا

رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾^١

إلى أسرتي الكريمة والأخوان في الله جميعا .

^١ سورة الإسراء : آية : ٢٤ .

الشكر

الحمد لله العليم الخبير ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير ، وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الحياة ورضى الله عن أئمة الاجتهاد من السلف الصالح صحبا وتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^١ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ^٢ ﴾

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " .^٣

ولله در القائل :

إذا أفادك إنسان بفائدة من العلوم فأكثر شكره أبدا
وقل فلان جزاه الله صالحة أفادنيها والغب الكبر والحسدا
فالحر يظهر شكرا للمعين له خيرا ويشكره إن قام أو قعدا^٣

والشكر موصول لأسرة جامعة أم درمان الإسلامية ، وكلية الدراسات العليا ، و اخص بشكري وتقديري لأسرة كلية اللغة العربية ، وإلى مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية .

والشكر والتقدير إلى من وجدت منه حسن الإستقبال ، وصدق التعامل والتوجيه والإرشاد ، فضيلة البرفيسور / محمد الحسن علي الأمين . أمد الله في عمره وجزاه الله عني وعن طلاب العلم خير الجزاء ، بما علم وأرشد ووجه وأفاد ، أسأل الله أن يبارك في كسبه ونسله والتوفيق له في جميع الأمور ، والله يتولى الصالحين والشكر موصول للأستاذين الجليلين الدكتور/ حبيب الله علي إبراهيم ، والدكتور/ خالد بابكر الدرديري في مناقشتهم لهذا البحث وجزاهم الله خير الجزاء .

^١ سورة إبراهيم ، آية : ٧ .

^٢ الحديث أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة . باب ما جاء في قبول الهدية والمكافأة عليها ، رقم الحديث ١٩٥٥ ، ج ٥ ، ص ٢٩٩ .

^٣ هذه الأبيات قالها علي بن محمد بن عبدالله بن عراق سعد الدين أبو الحسن المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٩٦٣ هـ ، مترجم في شذرات الذهب ، ج ٨ ، ص ٣٧٧ . والكواكب السائرة ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذى رفع بالعلم درجات أهله ، وأجزل ثوابهم على اكتسابه ونقله ، كما أنعم عليهم بالتوفيق فى دراسته وحمله ، وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ورسله ، الذى هدى كافة الخلق وسبله ، فى تبليغ الرسالة بقوله وفعله بذل جهده بين إقامة دين الله وبيان فرعه وأصله ، حتى ظهر مصداق قول الملك

جَلَّ جَلَالُهُ ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ

كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^١ . ورضى الله عن أهل بيته الطاهرين وأصحابه الأكرمين ، وحشرنا معهم تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

أما بعد:

فإن أشرف ما يقدمه الباحثون ، وأسمى ما يسعى إليه المؤلفون فى بحوثهم وتأليفهم ، ما كان خاصا فى اللغة العربية لغة القرآن العظيم ، وشرف الإنسان بشرف الرسالة التى يحملها ويؤديها ، والغاية التى يسعى من أجل تحقيقها . وليس ثمة جهد يضاهي جهد العلماء ، فإنهم مشاعل النور والضياء ، فى كل زمان ومكان ، ولهذا رفع الله قدرهم ، وأعلى شأنهم بقوله جل ثناؤه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^٢ .

من أجل هذا الشرف تقدمت إلى جامعة أم درمان الإسلامية وكلية الدراسات العليا ، وكلية اللغة العربية قسم الدراسات الأدبية والنقدية ، للتكرم بالموافقة على هذا البحث فى موضوع " المشوبات فى جمهرة أشعار العرب " دراسة أدبية نقدية.

كتاب الجمهرة لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي الذى احتوى على سبع طبقات ، وهى : المعلقات ، المجهرات ، المنتقيات ، المذهبات ، المراثي ، المشوبات والملحقات . جمع فيه تسعا واربعين قصيدة من أنفس الشعر الجاهلي والإسلامي فكان اختياري " المشوبات " وهى الطبقة السادسة فى الكتاب .

^١ سورة التوبة ، آية : ٣٣ .

^٢ سورة الزمر ، آية : ٩ .

أسباب اختيار الموضوع :

رغبتي في التعرف على كتاب جمهرة أشعار العرب ، وخاصة المشوبات ، جعلتني اهتم بدراسة أصحابها ، الأغراض الشعرية ، بناء القصيدة والدراسة الفنية كذلك عدم وجود أي دراسة سابقة بحسب علمي في المشوبات . إضافة الجهد المتواضع للمكتبة الإسلامية .

أهداف البحث :

يهدف هذا الموضوع إلى معرفة المشوبات ودراستها .

أهمية الموضوع :

هذا الموضوع يتناول علما من علوم اللغة العربية ألا وهو " الدراسة الأدبية والنقدية " . دراسة المشوبات وأصحابها ، وأغراضهم في المشوبات ، ومن أهمها : الوصف ، الغزل ، المدح ، والفخر التي أجادوها خير اجاده وتناولوها بصورة سلسة .

حدود البحث :

حدود هذا البحث العصر الجاهلي وصدراالإسلام" دراسة المشوبات فى جمهرة أشعار العرب " .

منهج البحث :

يتضمن هذا البحث عدة مناهج ؛ نظرا لما تقتضيه طبيعة البحث : المنهج الوصفي ، الاستقرائي ، التحليلي ، الاستنباطي .

بالنسبة لمنهج البحث إتّزمت بالآتي :

١ / بالنسبة لمادة البحث التي نقلتها ، حرصت على أن تكون من المصادر الأصلية ، على أن تكون متنوعة ومتعددة .

٢ / عند ذكر المرجع لأول مرة ، ذكرت اسم المرجع مقرونا باسم المؤلف ، واسم المحقق إن وجد ، ودار النشر ، وسنة الطبع إن وجدت ، وإلا بدون تاريخ ، ثم الجزء والصفحة ، وإن تكرر في نفس الصفحة ، كتبت المصدر نفسه ، وإذا فى صفحات أخر اكتفيت بذكر المؤلف ، واسم المرجع ، والصفحة .

٣ / التعريف بالمصطلحات والعبارات الغامضة التي لها تعلق بحديث ، أو بيت شعر ، أو غيره ، وبيانها ما أمكن من مصادر أو كتب اللغة والحديث .

٤ / الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كان منهجي فيها كالآتي :

الآيات القرآنية مضبوطة بالشكل كما في المصحف مع ذكر اسم السورة ورقم الآية .

أما الحديث : ذكر الكتاب والمؤلف ورقم الحديث والصفحة وتخريجه .

٥ / تراجم الأعلام : بالنسبة لتراجم الأعلام التي وردت في البحث ، سلكت فيها مسلكا وسطا ، فلم أترجم لهم كلهم ، وإنما اكتفيت بترجمة جزء منهم .

٦ / ذكرت الفهارس مرتبة في ختام البحث .

وقد اشتمل على اسم صاحب كتاب جمهرة أشعار العرب ، ومنهجه ، ومعنى كلمة جمهرة ، ويعتبر التمهيد كمدخل للبحث .

تهيد:

صاحب كتاب جمهرة أشعار العرب

اسمه:

أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، " مجهول . ليس له أدنى ذكر في جميع كتب الطبقات والرجال ، فلم يذكر مع المحدثين والرواة ولا مع اللغويين والنحويين ولا مع الشعراء والأدباء ، ولا مع مؤلفي الكتب وجامعي الدواوين .

وبعدتنا إلى كتب الأدب وبعض مصادره ، نجده مذكوراً في خزانة الأدب للبغدادي ، وفي المزهرة للسيوطي ، وكلاهما اعتمد في روايته على ابن رشيق . وبذلك يكون صاحب " العمدة " المتوفى (سنة ٤٦٣ هـ) أقدم من ذكر محمد بن أبي الخطاب ونسب إليه الجمهرة" (١).

قال بطرس البستاني : " هو محمد بن أبي الخطاب القرشي ، وكنيته (أبو زيد) ولم نقف له على ترجمة في الكتب التي بين أيدينا ، وذكره سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة ، وجعل وفاته سنة ١٧٠ هـ" (٢).

قال جرجي زيدان : " اسمه أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي لم نقف على ترجمته ، ولكن يظهر أنه نبغ في أواسط القرن الثالث للهجرة .. وإنما عمدنا إلى ذكره لأنه جمع خيرة أشعار الجاهلية و صدر الإسلام في كتاب سماه " جمهرة أشعار العرب " ، ولم يدرج اسم ابن أبي الخطاب القرشي بين الرواة الأقدمين .

ويغلب على الظن أنه كان يعيش في القرن الرابع الهجري ، فقد ذكره ابن رشيق المتوفى في منتصف القرن الخامس الهجري في كتابه " العمدة في صناعة الشعر ونقده " ، ويتضح من المقدمة التي وضعها بين يدي كتابه " الجمهرة" أن بينه وبين القرن الثاني نحو جيلين من الرواة. (٣)

(١) أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، شرحه وضبطه : الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ٢٠٠٣ م ، ص ٦ .

(٢) بطرس البستاني ، أدباء العرب في العصر العباسية وحياتهم ، وآثارهم ، ونقدهم ، دار عبور ، (بدون تاريخ) ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٣) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مكتبة دار الحياة - بيروت - لبنان ، ١٩٦٧ م ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

وقال خير الدين الزركلي: "محمد بن أبي الخطاب القرشي أبوزيد: راوية عالم بالشعر" (١٧٠هـ-٧٨٩م) ، صنف كتاب جمهرة أشعار العرب ، ولم أظفر بترجمته في كتب المتقدمين. (١)

وفاته:

لم يكن هنالك خلاف حول وفاته ، فكل من تحدّث عنه ذكر أنه توفي سنة ١٧٠هـ أما ميلاده فلم يذكر بالتحديد متى ولد وفي أي عام ، والشئ المرجح أن ميلاده كان في القرن الأول الهجري ، وثمت مقارنة ما بينه وبين المفضل الضبي الذي توفي بعده بعام واحد سنة ١٧١هـ أو نحو ذلك. (٢)

وقال يوسف سرقيس : " أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي المتوفى في حدود سنة ١٧٠هـ ". (٣)

وقال السويدان : " أبو زيد محمد بن الخطاب المتوفى نحو سنة ١٧٠هـ ". (٤)
وقال صاحب هداية العارفين : " ابن أبي الخطاب - محمد بن الخطاب القرشي المتوفى في حدود سنة ١٧٠هـ ". (٥)

فجميعهم اتفقوا على وفاته في حدود سنة ١٧٠هـ .

قال شوقي ضيف عنه : " المجموعة الرابعة جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد أبي الخطاب القرشي ، ولا نجد اسمه بين الرواة المشهورين ، غير أنه يتضح من مقدمته لكتابه وما نقله عن الرواة أن بينه وبين الرواة في القرن الثاني جيلين أو ثلاثة ، فالوسائط بينه وبينهم في السند غير بعيد .

ولذلك نظن أنه كان يعيش في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ، وقد ذكره ابن رشيق المتوفى سنة ٤٦٣ للهجرة في كتابه " العمدة " ٦٠/١ ، كما ذكره السيوطي في " المزهرة " ٤٨٠/٢ والبغدادي في " الخزانة " ١٠،٦١/١ ، ٥٥/٣ ". (٦)

(١) خير الدين الزركلي ، الأعلام لأشهر الرجال والنساء ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٩م ، ج ٦ ، ص ١١٤ .

(٢) بطرس البستاني ، أدباء العرب ، ص ٢٠٠ .

(٣) يوسف سرقيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، ١٩٢٨م ، ص ٣١٣ .

(٤) ناصر محمد السويدان ، مداخل المؤلفين وأعلام العرب ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٩٨٠م ، فصل (الزال) ص ٣٦٥ .

(٥) اسماعيل باشا البغدادي ، هداية العارفين و أسماء المؤلفين و آثار المصنفين ، مكتبة بغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب ، ١٩٥٥م ص ٨ .

(٦) شوقي ضيف ، تاريخ الأدباء العرب ، دار المعارف - مصر ، ١٩٦١م ، ص ٢٣ .

كان ابن الخطاب القرشي مجتهداً ومحباً للقرآن الكريم حيث قال لا توجد ألفاظ أعجمية في القرآن . مستنداً إلى قول ابن عباس رضى الله عنهما وهو : " من زعم أنّ في القرآن غير العربية فقد افتري " ، ولذلك جعل كل لفظ دخيل في القرآن عربي الأصل ولكن له في اللغة العجمية أشباه تقاربه أو توافقه . (١)

قال بطرس البستاني : (لم يصل إلينا من آثاره سوى كتابه جمهرة " أشعار العرب " ، جمع فيه ما أختاره العلماء من محاسن الشعر الجاهلي والإسلامي وجعله في سبع طبقات ، في كل طبقة سبعة قصائد ، هي من عيون أشعار العرب في الجاهلية والإسلام وأنفس شعر كل رجل منهم) . (٢)

الطبقة الأولى :

أصحاب المعلقات :

امرئ القيس ، زهير ، النابغة الذبياني ، الأعشى ، لبيد ، عمرو بن كلثوم ، طرفة ، عنتره .

الطبقة الثانية :

أصحاب المجهرات :

عبيد بن الأبرص ، عدي بن زيد ، بشر بن أبي حازم ، أمية بن أبي الصلت ، خدّاش بن زهير ، النمر بن تولب .

الطبقة الثالثة :

أصحاب المنتقيات :

السيب بن علس ، المرقش الأصغر ، المتلمس ، عروة بن الورد ، المهلهل بن ربيعة ، دريد بن الصمة ، المنتخل بن عويمر الهزلي .

الطبقة الرابعة :

أصحاب المذهبات :

حسان بن ثابت ، عبدالله بن رواحة ، مالك بن عجلان ، قيس بن الخطيم الأوسي ، أحيحة بن الجلاح ، أبو قيس بن الأسلت ، عمرو بن امرئ القيس .

(١) خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج٦ ، ص ١١٤ .

(٢) بطرس البستاني ، أدباء العرب ص ٢٠٠ .

الطبقة الخامسة :

أصحاب المراثي :

أبو ذؤيب الهذلي ، محمد بن كعب الغنوي ، أعشى باهلة ، علقمة ذو جدن الحميري ، أبو زبيد الطائي ، متمم بن نويرة ، مالك بن الريب .

الطبقة السادسة :

أصحاب المشوبات :

نابغة بني جعدة ، كعب بن زهير بن أبي سلمى ، القطامي ، الحطيئة ، الشماخ بن ضرار ، عمرو بن أحمر ، تميم بن مقبل العامري .

الطبقة السابعة :

أصحاب الملحقات :

الفردق ، جرير بن بلال ، الأخطل التغلبي ، عبيد الراعي ، ذو الرمة ، الكميت بن زيد الأسدي ، الطرماح بن حكيم الطائي .

منهج صاحب كتاب الجمهرة :

اعتمد أبي زيد القرشي في تقسيم كتابه " جمهرة أشعار العرب " على تقسيم أبي عبيدة والمفضل الضبي^١ .

كلمة جمهرة :

في التعريف اللغوي لها عدة معان ، منها ما ذكره صاحب المعجم الوسيط في كتابه فقال : " جمهر الشيء جمعه ، وجمهر القبر جمع عليه التراب ، جمهر الكلام أجمله ، جمهر له الخبر وإليه وعليه : أخبره ببعضه على غير وجهه وأخفى عنه .

تجمهر عليه ، تطاول ، وتجمهر الناس اجتمعوا ، الجماهر : الضخم ، الجمهرة من كل شيء معظمه ، الجمع جماهر^٢ .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٩ .

^٢ إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة - مصر (بدون تاريخ) ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

الجمهور من كل شيء معظمه ، ومن الرمل ونحو ما تراكم وارتفع ، ومن الناس جلهم وأشرفهم ، والجمع جماهير ، الجمهوري : المنسوب إلى الجمهور ، والحكم الجمهوري أن يكون الحكم بيد أشخاص تنتخبهم الأمة على نظام خاص ، ويكون للأمة رئيس ينتخب لمدة محدودة ، وبمعنى شراب شعبي مُسكر من العنب. الجمهورية : دولة يرأسها حاكم منتخب من الشعب أو من ممثليه وتكون رياسته لمدة محدودة ، المجمهور : الموثق الخلق ، ومجمهرات العرب سبع قصائد فى الطبقة الثانية بعد المعلقات . (١)

الجمهور : الرمل الكثير المتراكم الواسع ، والجمهور : الجماعة من الناس ، وخيل مجهرة أي مجتمعة . (٢)
فالمجمهرات : هى المحكمة السبك ، مأخوذة من الناقة المجهزة ، وهى المتداخلة الخلق كأنها جمهور من الرمل . (٣)

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، تحقيق : د. مهدي المخزومي / د. إبراهيم السامرائي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان (بدون تاريخ) ج ٤ ، ص ١١٧ .

(٣) أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٩ .

الفصل الأول

المشوبات وأصحابها

المبحث الأول

. التعريف بالمشوبات .

المبحث الثاني

. أثر الإسلام فى الشعر .

المبحث الثالث

. موقف القرآن من الشعر .

المبحث الرابع

. موقف السنة من الشعر .

المبحث الخامس

. التعريف بشعراء المشوبات .

المبحث الأول: التعريف بالمشوبات :

وهي التي شابها الكفر والإيمان^١ ومعناها الخضرمة . وللخضرمة معان ومشتقات وهي : يقال بئر خضرم كثيرة الماء ، والخضرم الجواد الكثير العطية ، وقيل السيد الحمول ، وخضرم الأذن قطع من طرفها شيئاً وتركه ينوس ، وقيل قطعها نصفين . رجل مخضرم : أبوه أبيض وهو أسود ، ورجل مخضرم ناقص الحسب ، وقيل هو الذي ليس بكريم النسب ، وقيل المخضرم في نسبه المختلط من أطرافه ، وقيل هو الذي لا يعرف أبواه ، وقيل هو الذي ولدته السّراري^٢ .

طعام مخضرم وماء مخضرم بين التّقليل والخفيف ، ورجل مخضرم ليس بالزّاكي الحسب ، وشاعر مخضرم جاهليّ إسلامي^٣ . وفي حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) " أنه خطب الناس يوم النّحر على ناقّة مخضرمة " ، وقوله : أخبرني المنزري - عن إبراهيم الحربي أنه قال : خضرم أهل الجاهلية نعمهم - أي قطعوا من آذانها شيئاً ، فلما جاء الإسلام أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن يخضرموا آذانها في غير الموضع الذي خضرم فيه أهل الجاهلية ، فكانت خضرمة أهل الإسلام بآئنة من خضرمة أهل الجاهلية^٤ .

وكل كثير خضرم ، ولحم مخضرم لا يعرف من ذكر هو أو من أنثى^٥ .
تخضرم الزبد تفرق من البرد ولم يجتمع ، والخضارمة قوم بالشام تطرقوا إليها من بلاد العجم ، الواحد منهم خضرمي ، والخضرم الماء بين العذب والملح ، والمخضرم من الطعام الذي ليس بخلو ولا مر ، والخضرم الكثير الواسع من كل شيء^٥ .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ١٠ .
^٢ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، ج ٥ ، ص ٣٢٩ .
^٣ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، ج ٧ ، ص ٢٦٤ .
^٤ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل - بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٩٩٩م ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .
^٥ إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

والمخضرمة من النوق و الشاء المقطوعة نصف الأذن ، وأصل الخضرمة أن يجعل الشيء بين بين . ويقال لمن أدرك الجاهلية و الإسلام مخضرم ؛ لأنه أدرك الخضرمتين ، خضرمة الجاهلية وخضرمة الإسلام . وقال ابن خالويه : خضرم : خلط ، و المخضرم الذى أدرك الجاهلية والإسلام .^١

فيمكننا القول بأن كل من أدرك عهدين ، أو شهد عصرين فهو مخضرم ، و الشاعر المخضرم والشعراء المخضرمون هم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

١ - محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر - بيروت ، ط ١ (بدون تاريخ) ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

المبحث الثاني : أثر الإسلام في الشعر :

كان المجتمع الجاهلي قبل الإسلام في حالة تزعزع اجتماعي ونزاعات قبلية تحت الظلم والجهل وعبادة الأصنام ، فكان لا بد من تغيير يحدث إصلاحاً في هذا المجتمع المتفكك . فعندما جاء الإسلام شنّ حرباً على الجاهلية ، وغير تلك المفاهيم الجاهلية ، فوجه الحياة ونظم شؤونها ورسم للمجتمع مثلاً أعلى يسمو به إلى درجات الكمال .

لذا كان الشعر العربي في الجاهلية صورة تكاد تكون وحيدة للتعبير عن الانفعالات والأحاسيس ، التي تضطرب في نفس الشاعر الذي كان يتخذ لغته اليومية وسيلة للتعبير الشعري .

وظل الشاعر العربي رهين باديته لا يفارقها إلا لمأماً ، ونزل القرآن الكريم بلغة عربية كانت قد بلغت مرحلة من النضج لا يمكن أن نعدّها أعلى مرحلة من مراحل التطور ، ذلك أن اللغات جميعاً تخضع لقوانين النشو والارتقاء . ولكن نزول القرآن الكريم كان حدثاً ضخماً أثر في مجرى التطور اللغوي للسان العربي^(١).

فأثر الإسلام بتهذيبه للأخلاق و السلوك الذي انعكس في حياة الشعراء وآرائهم وأقوالهم في مجالي النثر والشعر ، فمثلاً في مجال النثر كان ذلك في التطور الواسع في الخطابه ، فاتخذها النبي (صلى الله عليه وسلم) أداة للدعوة إلى الدين "وقد قضت هذه الخطابة على كل لون قديم من الخطابه الجاهلية لايتفق معها روح الإسلام . ومضت على نفس النهج في عصر الخلفاء الراشدين ، وارتقت الخطابة في ذلك العصر وتحولت إلى وعظ الناس وإرشادهم لما فيه كمالهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة " ^(٢).

(١) محمود عبد الله الجادر ، الثعالبي ناقدًا وأديبًا ، دار الرسالة - بغداد ، ط ١ ، ١٩٧٦م ، ص ٤٤٠ .
(٢) شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ، دار المعارف - القاهرة ط ٢ ، ١١١٩م ، ص ١٠٦ .

لذلك " يرى بعض الدارسين أن الشعر قد خبت جذوته وكسد سوقه بعد الإسلام ، فقلَّ عدد الشعراء ، وتضاءل إنتاجهم ، وعزف الناس عن ذلك الفن الذى طالما استأنر باهتمامهم وحبهم أمداً طويلاً قبل الإسلام .

وجهد الدارسون فى إثبات بطلان هذا الزعم ، فرووا ما فى كتب الأدب والتاريخ من حقائق تثبت الدور الكبير الذى نهض به الشعر فى الخصومة بين المسلمين والمكيين ، واستماع النبي (صلى الله عليه وسلم) و أصحابه إلى شعر الشعراء المسلمين وحثهم على المضي فيه دفاعاً عن الإسلام وهجوماً على خصومه ؛ لذلك أشاروا إلى الشعر والشعراء بتفسير ما ورد فى القرآن الكريم الذى ظنوا أنه قد عادى هذا الفن وقائليه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ ٢٢٤ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ ٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿ ٢٢٦ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿ ٢٢٧ ﴾ (١).

فبينوا أن هذه الآية لم تقصد إدانة الشعراء جميعاً وإنما استتنت المؤمنين الصالحين من الشعراء . لكن موقف القرآن من الشعر يبدو أكثر وضوحاً لو استعرضنا كل ما ورد من إشارات إلى الشعر والشعراء فى القرآن ، وهى ستة مواضع : (٢)

١/ قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴾ ٥ ﴿ (٣).

٢/ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ ٢٢٤ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ ٢٢٥ ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ ٢٢٦ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (٤)

(١) سورة الشعراء ، آية : ٢٢٤ .

(٢) انظر عبد القادر القط ، الشعر الإسلامى و الأموي ، مكتبة الشباب ، ١٩٨٤م ، ص ٩ - ١٠ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٥ .

(٤) سورة الشعراء ، آية : ٢٢٤ .

٣/ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ^٤ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ^{٦٩} ﴾ ^١

٤/ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَتَأْتِكُنَّ آيَاتُ الشِّعْرِ مَجْنُونٍ ^{٣٦} ﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ

الْمُرْسَلِينَ ^{٣٧} ^٢

٥/ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذَكَرْنَاكَ أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ^{٢٩} ﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ

تَنْزِيصٌ بِهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ^{٣٠} قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ ^{٣١} ^٣

٦/ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ^{٣٨} وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ^{٣٩} إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ^{٤٠} وَمَا

هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ ^{٤١} ^٤

فهذه الآيات لم تتحدث عن الشعر بخير أو شر ، ولا تذكر لفظ الشعر إلا في آية واحدة ، وهى سورة يس ، وكلها نفت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يكون شاعرا .

ولعل الحكمة من تنزيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قول الشعر ، أن الله تعالى وصف الشعراء بالطيش والسهف . وبأنهم يقولون ما لا يفعلون ، فنزه الله رسوله من أن يكون واحدا منهم ؛ لأن ذلك لا يليق بالنبي (صلى الله عليه وسلم) الذى اختاره الله و اصطفاه من بين الناس ليكون كذلك .^٥

فالإسلام كان حدثا هزّ النفوس ، وأثر فى نظم القوم ومظاهر الحياة ، وقد كان الشعر من تلك المظاهر التى تأثرت بالإسلام تأثيرا واضحا بارزا ، من حيث الشكل والمعنى ، ومن حيث إتجاهات الشعر و موضوعاته ، صحته وزيفه ، ضياعه أو ابادته ، كل ذلك من أثر الدين الجديد .^٦

لقد اتخذ الإسلام من الشعر مواقف تتسجم مع طبيعة المرحلة التى شهدتها الدعوة والمواقف الإسلامية تلك كانت منبثقة من ظروف الدعوة نفسها . فنجد أن الدين قد

^١ سورة يس ، آية : ٦٩ .

^٢ سورة الصافات ، آية : ٣٦ - ٣٧ .

^٣ سورة الطور ، آية : ٢٩ - ٣١ .

^٤ سورة الحاقة ، آية : ٣٨ - ٤١ .

^٥ انظر . عبدالقادر القط ، الشعر الإسلامى و الأموي ، ص ١١ .

^٦ يحيى الجبوري ، شعر المخضرمين و أثر الإسلام فيه ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٨ م ، ص

ذم الشعر والشعراء ، وهون من أقدارهم فى الفترة الأولى ، فترة البدء بنشر الدعوة ، حين كان الشعر يهاجم الدين وينتقص منه ، ويرمي المرجمون الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه شاعر وقوله الشعر ، فهو سلاح من اسلحة الشرك ، ثم يكون الإسلام مشجعاً و موجهاً للشعر و الشعراء ، وذلك حين أتيح للمسلمين أن يتخذوا الشعر سلاحاً من اسلحة الحرب يقاتلون به أعدئهم المشركين الذين شهروا بوجههم السلاح ذاته^١ .

جاء الإسلام وأخرج العرب من ظلمات حياتهم الجاهلية الوثنية المادية إلى أضواء حياة روحية سماوية تعنو فيها الوجوه للحي القيوم ، وطبيعي أن يكون لهذه الحياة الدينية الجديدة أثرها البعيد فى العرب ، وخاصة فى صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من المهاجرين و الأنصار فقد امتلأت قلوبهم بالإيمان . كان لهذا الانقلاب الديني الذى مسّ حياة العرب من جميع الوجوه الروحية والاجتماعية والسياسية أثره المحقق فى حياة الشعر والشعراء ، فقد وقف شعراء المدينة مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) يذودون عنه بالسنتهم ويناضلون عنه بأشعارهم ، بينما وقف فى الصفوف المقابلة شعراء مكة و الطائف يردون عليهم ويحسمون قومهم ضد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودعوته ، و لم تكن مكة تعرف فى الجاهلية بشعر وشعراء لو لا الحوادث الجديدة ما ظهروا ولا عرفوا ، مثل : ضرار بن الخطاب الفهري ، وعبدالله بن الزبيري ، والحارث بن هشام وغيرهم .

وعلى نحو ما أظهرت خصومة الرسول (صلى الله عليه وسلم) شعراء جددا لم يكونوا معروفين فى مكة ، كذلك أظهرت فى المدينة شعراء لم يعرفوا بالشعر قبل الإسلام مثل عبدالله بن رواحة^٢ .

على كل حال ليس فى شعر المكيين أي تأثر بالقرآن الكريم ودعوته ؛ لسبب أنهم لم يؤمنوا به ولا بهديه .

أما شعراء المدينة الذين نافحوا عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودعوته ووقفوا يرمون خصومهم المكيين وغيرهم بسهام شعرهم وقذائف أبياتهم ، فنجد الأثر الإسلامي واضح فى قصائدهم لكنه لم يتسع عندهم بالصورة المعروفة ، بل

شعاعات إسلامية مختلفة مثل قول حسان بن ثابت عندما رثاء سيدنا حمزة عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين قتل في موقعة أحد ، يذكر مصيره ومصير قنتلى قريش فقال :

فإنَّ جَنَانَ الخُلْدِ مَنزِلُهُ بِهَا ، وأمرُ الذي يقضي الأمورَ سريعُ
وقَتْلَاكُمُ في النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ حَمِيمٌ مَعًا ، في جوفِهَا ، وَضَرِيحُ^١

إذا كان للشعر في نفوس العرب منزلة لا تساميهها منزلة ، ومكانة لا تدانيها مكانة فهو ديوان مآثرهم وسجل مفاخرهم ، واللسان الناطق بما لهم من فضل وما هم عليه من مجد أثير وعز شامخ ما من حرب تقوم بينهم إلا كان الذي هاج نارها وأوقد سعيرها وشبّ لظاها هو الشعر . ثم جاء الإسلام بدعوة الإخاء والمساواة ، دعوة العفة في القول والفعل والأدب الذي يليق بالمسلم ، فحرّم على الناس الفواحش ، وحذّرهم من باطل القول وزوره ، فأمات الإسلام فيهم روح العصبية ، وأخمد في نفوسهم حمية الجاهلية ؛ لذا وجد الشعراء أن أداتهم تعطلت ، وأن ما كانوا يخوضون فيه من ألوان القول دون خوف أو تحرّج ، قد حذر عليهم الإسلام أن يلموا منه إلا بما عفّ لفظه وشرف معناه ، فمن شعرائهم من امتنع عن قول الشعر في الإسلام لأنّ الله أبدله به خيرا منه . فإنّ لبيدا لم يؤثّر عنه في الإسلام إلا قوله :

الحَمْدُ لِلّهِ إذْ لم يَأْتِنِي أَجْلِي حَتَّى اكْتَسَيْتُ مِنَ الإِسْلَامِ سِرْبًا^٢

ثم امتنع بعد ذلك عن الشعر إلى أن وافاه أجله ، وقد أرسل إليه سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يسأله ماذا أحدثت من الشعر في الإسلام ، فقال :
أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران^٣ .

^١ المصدر السابق ، ص ١٤ - ١٥ .

^٢ ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، شرح الطوسي ، تحقيق : حنا نصر ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ص ١٠٣ .

^٣ علي صبح وآخرون ، الأدب الإسلامي المفهوم والقضية ، دار الجيل - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، ص ١٥٥ - ١٥٧ .

المبحث الثالث : موقف السنة الشريفة من الشعر :

ظهر الإسلام وللشعر فى المجتمع العربى الأصيل هذه المكانة المهمة التى عرفناها ، وللشعر فى قومه تلك المنزلة العالية التى ينهض فيها بالقيادة الوجدانية .

نجدها تظهر فى قول الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) سيد البلغاء والفصحاء ، الذى لا يدانيه أحد ، ولا يناقسه منافس فى قوله للأنصار يستتفر الشعراء منهم للجهاد باللسان : " ما يمنع قوما نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ " فقام له منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة ، وقد قال فيهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " هؤلاء نفر أشدّ على قريش من نضح النبل " . وفى الخبر أن " عبدالله بن رواحة " ، قال : مررت بمسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو جالس فى نفر من أصحابه فأضبّ القوم : يا عبدالله بن رواحة ! فعرفت أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعاني فانطلقت إليه مسرعا فسلمت فقال : ها هنا ! فجلست بين يديه ^١ ، فقال كأنه يتعجب من شعري : كيف تقول الشعر إذا قلت ؟ قلت أنظر فى ذلك ثم أقول ... قال فعليك بالمشركين. ^٢

ولم يزل النبي (صلى الله عليه وسلم) يعجبه الشعر ، ويمدح به ، فيثيب ^٣ عليه ، ويقول هو ديوان العرب ، ^٤ ويقول : (إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحرا) .^٥

أيضا كان يلتبس من يحفظ كلام " قس بن ساعدة " فى سوق عكاظ ، وقد سمعه الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل أن يبعث .

^١ عائشة عبدالرحمن بنت الشاطي ، قيم جديدة للأدب العربى ، مصر الجديدة ، رمضان ١٩٦٧م ، ج ١ - ٢ ، ص ٦٩ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٧١ .

^٣ يروى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما انشده كعب بن زهير قصيدته المشهورة : بانت سعاد ... (الطويل) تجاوز عنه ، ووهبه بردته ، العمدة ، ج ١ ، ص ٢٣ - ٢٤ .

^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٤٥ .

^٥ سليمان بن أشعث السجستاني ، سنن أبي داؤود ، جمع جوامع الأسانيد ومكنز الصحاح والسنن والمسانيد ، جمعية المكنز الإسلامى ، ١٤٢١هـ ، باب ما جاء فى الشعر ، حديث رقم ٥٠١٠ ، ص ٢٧٦ .

و كذلك كان يعجب بقول طرفة :

سُتَبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ^١

ويقول فيه : هذا من كلام النبوة^٢

فمن هذه الأقوال " نجد أن النبي (صلى الله عليه وسلم) حث الشعراء على الشعر دفاعاً عن دينهم وعرضهم ؛ لأنّ المشركين كانوا يهجون المسلمين ويشيرون بنسائهم . لذلك قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لحسان : " اهجوهم وروح القدس معك " . ومرة قال له : " وجبريل معك " .

وقال حسان في ذلك :

وَجِبْرِيلُ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا (وَرُوحُ الْقُدْسِ) لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ^٣

و (قدس) الطهارة و البركة ، (القدس) من أسماء الله تعالى كالثدوس ، وزعم بعضهم أن إطلاق الروح على جبريل مجاز^٤ وهذا اقتباس من قوله تعالى :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ ﴾^٥

فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه ، قائماً يفاخر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو ينافح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " إن الله يؤيد حسان بروح القدس ، ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " .^٦

^١ ديوان طرفة بن العبد ، شرح الشمنتري ، مطابع برطون - شالوت ، ١٩٠٠ م ، ص ٤٤ .

^٢ بنت الشاطي ، قيم جديدة للأدب العربي ، ص ٩١ .

^٣ ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق : سيد حنفي ، الهيئة العالمية للكتاب - القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ٨ .

^٤ العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى ٥١٢٧ هـ ، روح المعاني ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (بدون تاريخ) ، ج ١ ، ص ٤٠١ .

^٥ سورة النحل ، آية : ١٠٢ .

^٦ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى (٥١٦ هـ) ، معالم التنزيل ، تحقيق : محمد عبدالله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٤ ، ١٩٩٧ ، ج ٦ ، ص ١٣٨ .
الحديث أخرجه الترمذي في الأدب ، باب ما جاء في إنشاد الشعر ، ج ٨ ، ص ١٣٧ . انظر سلسلة الأحاديث للألباني ، ج ٣ ، ص ١٧٧ ، و المصنف في شرح السنة ج ١٢ ، ص ٣٧٧ .

عن جابر بن سمرة قال : " جالست النبي (صلى الله عليه وسلم) أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ، ويتذكرون أشياء من أمر الجاهلية ، وهو ساكت وربما تبسم معهم " ٢ .

قال الشعبي ٣ : " كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر منهما . وروى ابن عباس أنه كان ينشد الشعر ويستنشد في المسجد ، فيروى أنه دعا عمر بن ربيعة المخزومي فاستنشد القصيدة التي قالها ، فقال :
أمن آل نعم أنت غادٍ فمبكر
غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجر ٤

فأنشده القصيدة إلى آخرها . وهى قريب من تسعين بيتا ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها ، وكان حفظها بمرّة واحدة .

فكانوا رضى الله عنهم لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ، كما : قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ٥ .

فموقف السنة من الشعر وأثر الإسلام فيه وجدناه مجموعا فى تلك الآية التى معناها: لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله وانتصروا من المشركين ؛ لأنهم بدؤوا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين الذين اشركوا وهجوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو الطاهر المطهر من الهجاء ، فأى مرجع يرجعون إليه بعد الموت . قال ابن عباس (رضى الله عنهما) : إلى جهنم وبئس المصير و الله أعلم بمراده وأسرار كتابه ٦ .

١ جابر بن سمرة بن جنادة ، صحابي بن صحابي نزل الكوفة ومات بها بعد سنة سبعين . تقريب التهذيب ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

٢ الخازن (علي بن محمد الخازن المتوفى ١٧٤١هـ) ، لباب التأويل فى معاني التنزيل ، المكتبة التجارية - القاهرة [١٩ - م] ، ج ٥ ، ص ٦٣ .

٣ الشعبي : هو عامر بن شراحبيل علامة التابعين ولد فى خلافة عمر بن الخطاب سنة سبع عشرة وكان إماما حافظ وفقها بارعا روي الحديث عن علي بن أبي طالب وعن أبي هريرة وابن عباس وعائشة وابن عمر وغيرهم . وهو أكبر شيوخ الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه ، توفي سنة ١٠٤هـ . الحديث والمحدثون ص ١٩٦

٤ ديوان عمر بن أبي ربيعة ، شرح : د. يوسف شكري فرحات ، دار الجيل - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، ص ٩٧ .

٥ سورة الشعراء ، آية : ٢٢٧ ..

٦ الخازن ، لباب التأويل فى معاني التنزيل ، ص ٦٤ .

يقول الدكتور شكري فيصل : " أن الشعر لم يلق مثل الازدهار الذى كان له فى الجاهلية ، وانما أصابه شئ كثير من فتور . أما الشعراء فقد كانوا لسان المقاومة والمدافعة .. أنهم أحسوا أن المجتمع الجديد لن يرحب بهم إذا هم ظلوا يحتفظون بالقيم التى تملأ أذهانهم وقلوبهم ، ولن يجدوا ما كانوا يجدونه فى المجتمع الجاهلي ، إذ يواجهون فكرة جديدة ونمطا من الحياة ، ولهذه الفكرة قيود وضوابط وقيم ، وتتطلب من الذين يؤمنون بها أن يؤمنوا إيماناً عميقاً بهذه القيم . وقد كان إحساس الشعراء بهذا كله إحساساً واضحاً بادراكهم للرقابة التى تسيطر عليهم ، ولن يستطيعوا الإفلات من قبضتها ما دام الإسلام يدعو إلى التماسك بين القبائل ، وإلى أن يحيل هذه المجموعات المتناثرة كتلة واحدة لا تترك بين أجزائها هذا الفراغ الذى كان يعيش عليه الشعراء .. كانت كل قبيلة مجتمعاً خاصاً يلجأ إليه الشاعر ، أما الحركة الإسلامية فستلم فى إطار واحد كل هذه المجتمعات الخاصة وستهدر كل ما كان بينها من خصومات أو أحلاف يعيش عليها هؤلاء الشعراء " ^١ .

فأثر الإسلام فى الشعر وموقف السنة منه ، واضح وضوح الشمس وقت الضحى لا يخفى على أحد وذلك فى كثير من النقاط .
منها : أن النبي (صلى الله عليه وسلم) جعل حسان شاعرا له يدافع عنه وعن الإسلام .

ونلمس ذلك فى السيرة لابن هشام ^٢ " أن عطارذ بن حاجب بن زرارة قدم على الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى أشراف من بني تميم ، منهم " الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعمروبن الأهمم " لمفاخرة النبي (صلى الله عليه وسلم) . فتقدم خطيبهم " عطارذ " فخطب ، فانتدب الرسول (صلى الله عليه وسلم) " ثابت بن قيس الخزرجي " للرد عليه ثم قام شاعرهم " الزبرقان " فأنشد قصيدته التى يقول فيها مفاخرا :

^١ الدكتور شكري فيصل ، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ، ط ٦ ، ١٩٨٢م ، ص ٢١٩-٢٢١ .
^٢ ابن هشام " عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري أبو محمد المتوفى (٢١٣ هـ) .

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حِيٌّ يَعَادِلُنَا

مِنَّا الْمُلُوكُ ، وَفِينَا تَنْتَصِبُ الْبَيْعُ^١

فبعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى " حسان بن ثابت " - ولم يكن حاضرا بالمجلس - فجاء وأنشد يرد على الزبيرقان :

إِنَّ الذُّوَائِبَ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتَهُمُ
يَرْضُونَ بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ
إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدْعُ^٢

فلما فرغ من إنشاده ، التقت الأقرع بن حابس إلى أصحابه و قال : " وأبي ، إن هذا الرجل لموتى له^٣ : لخطيبه أخطب من خطيبنا ، و لشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا " ثم أسلموا جميعا^٤ ، وقد سرّ النبي (صلى الله عليه وسلم) لهذا التوفيق الذي أصاب شاعره ، فكان يستشهده ويطيل الاستماع إليه ويقول : " أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفي واشتفى^٥ .

فمن جملة ما ذكرنا نستنتج قول شوقي ضيف في أن " الشعر لم يعد في الحجاز والشام يؤلف في أثناء هذا العصر بالصورة القديمة ، إنما أصبح يؤلف بصورة جديدة ، فهو من حيث أسلوبه يميل الشعراء إلى سهولة مفرطه ، و من حيث موضوعه أصبح يختص بالحب وأحداثه ووقائعه المعاصرة ، و من حيث كميته أصبح مقطوعات لا تزيد عن عشرة أبيات إلا في القليل النادر . وليس هذا كل ما يميزه ، فقد كان هؤلاء يتناولون بعض أبياته بالإصلاح والتهديب ، فيضعون كلمة مكان أخرى ، أو شطرا مكان آخر ، وقد يزيدون بعض الأبيات^٦ .

^١ ديوان الزبيرقان مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٩٨٤م ، ص ٧٢ .

^٢ ديوان حسان ، ص ١٤٥ .

^٣ لموتى له : أي مسهل له في أمره .

^٤ عبدالملك بن هشام ، سيرة ابن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الأنباري ، عبدالحفيظ شلبي ،

مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ج ٤ ، ص ٢١٢ .

^٥ علي علي صبح وآخرون ، الأدب الإسلامي المفهوم والقضية ، ص ١٧٤ .

^٦ شوقي ضيف ، التطور والتجديد ، ص ١٠٤ .

المبحث الرابع : أثر الإسلام في المشوبات :

أما أثر الإسلام فهو يختلف من شاعر لآخر ، ففي بعضها نجد أثر الإسلام واضحا ، وبعضها يكون خفيا ، وبعضها لا نجد له أثرا ، ولعل ذلك يعود لقرب الشعراء من الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فالنابغة الجعدي صحابي جليل ، وفد على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأنشده قصيدته التي يقول فيها:

خليبي عوجا ساعةً، وتَهَجَّرَا ولوما على ما أحدثَ الدهرُ، أو ذرَا^١
ولا تجزعا إن الحياةَ دَمِيمَةٌ، فخفا لِرَوَعَاتِ الحِوَادِثِ، أو قرا
وإن جاءَ أمرٌ لا تُطيقان دَفْعَهُ، فلا تجزعا مما قضى اللهُ، وأصبرا^٢
ألم تريا أن الملامَةَ نَفَعُهَا قليلٌ، إذا ما الشيءُ ولى وأدبرا
تهيجُ البُكَاءَ والنَّدَامَةَ ثم لا تُغَيِّرُ شَيْئاً، غيرَ ما كان قَدْرَا
أنتيتُ رسولَ اللهِ، إذ جاءَ بالهُدى، ويَتَلُو كِتَاباً كالمجرَّةِ نيرا^٣
أيضا في قوله :

بَلَّغْنَا السَّمَا مَجْدًا وَجُودًا وَسُودَدًا، وإنا لنرجو، فوقَ ذلكَ، مَظْهَرًا^٤

فسأله النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد أحسَّ أنه يفخر فخر الجاهلية — إلى أين يا أبا ليلى ؟ ! فقال له : إلى الجنة بك يارسول الله ! ... فأعجب عليه الصلاة والسلام بمقاله ، واغتنب بهذه الروح التي هذبها الإسلام : إلى الجنة إن شاء الله^٥

كذلك قوله :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ، إِذَا مَا أوردَ الأَمْرَ أَصْدَرَا^٦

^١ تهجرا : سارا في الهاجرة ، أي في حر الشمس وسط النهار ، ذرا ، من وذر الشيء : تركه .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٧ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٥٧ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٦٤ .

^٥ الدكتور صالح آدم بيلو ، من قضايا الأدب الإسلامي ، دار المنار للنشر ، (بدون تاريخ) ، ص ١٩ .

^٦ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٤ .

فيزداد إعجاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيدعو له : " لا يفضض الله فاك " قيل : " فبقي عمره لم تنقض له سن " ^١ .

وكذلك عند كعب بن زهير فإن الأثر واضح أيضا ، لأنها كانت فى الاعتذار للرسول (صلى الله عليه وسلم) ومدحه ، وبدأها بالتشبيب بمحبوبته فقال :

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولٌ ^٢ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفِدْ ، مَكْبُولٌ ^٣

عندما حضر لدى الرسول (صلى الله عليه وسلم) تائباً عن كفره ومعاداته للإسلام ولرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، مستعتباً إياه على انحرافه الماضى قال :

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ ^٤
مَهْلًا ! هَذَاكَ اللَّهُ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ قُرْآنٍ فِيهَا مَوَاعِيظٌ ، وَ تَفْصِيلٌ ^٥
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبُ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَصَارِمٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولٌ
فِي عَصِيَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِيَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُؤُلُوا
شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالُ ، لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلٌ ^٦

ومع أن الشاعر بنى قصيدته على المنهج الجاهلي السائد فى عصره بافتتاحها بالتشبيب الجاهلي ، لكنه اختار هذا المنهج لتعزيز المدح فى قصيدته وتزيينها بالبلاغة والقوة لا لغرض آخر ، ولم يكن الشاعر متعوداً على غير هذا المنهج ،

^١ أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، الشعر والشعراء ، تحقيق : الدكتور عمر الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، ص ١٩٣ .

^٢ متبول : اسقمه الحب واضناه لبعده عن حبيبته سعاد . قال الزرقاني : هى بنت عمه . البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٤٢٤ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٥ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٧١ .

^٥ نافلة ، النافلة : العطية الزائدة على ما يجب من العطاء . تفصيل : تبين وتوضيح .

^٦ المصدر نفسه ، ص ٣٧١ .

ولذلك نالت قصيدته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الرضا والقبول ،
وتلقاها أصحابه وأتباعه أيضا بالقبول والتقدير^١ .

فخلع له الرسول (صلى الله عليه وسلم) برده الشريفة و أعطاهها له .

وفى قول القطامي :

أما قريشُ فلن تلقاهمُ أبداً إلا وهم خيرُ من يحفى وينتعلُ
قومٌ همُ ثبتوا للإسلام واتبعوا قولَ الرسول الذي ما بعده رسلُ
من صالحوه رأى في عيشه سعةً ولا يرى من أرادوا ضره يئلاً^٢

أما عند الحطيئة لسيدنا عمر (رضى الله عنه) فيقول :

أمين الخليفة بعد الرسول وأوفى قريش جميعاً حبالاً
و أطولهم في الندى بسطةً وأفضلهم حين عدوا فعلاً^٣

ويقول عمرو بن أحمَر :

يا يحيى ، يابنَ إمامِ الناسِ أهلكنا ضربُ الجلودِ وعُسرُ المالِ والحسرُ^٤
إن قُمتَ يابنَ أبي العاصِ بحاجتِنَا ، فما لحاجتِنَا ورُدُّ ولا صدرُ
ما ترَضَ نرَضَ وإن كلفتنا شططاً وما كرهتَ فكرُهُ عندنا قَدْرُ^٥

أما فى قصيدتي تميم بن أبي مقبل العامري والشماخ بن ضرار الذبياتي ، لم أجد
أثراً واضحاً للإسلام ، رغم معاصرتها له ، فقصاصهم جاهلية الطبع ؛ بدليل
عدم اقتباسهم من القرآن الكريم ، أو السنة النبوية فى مشوباتهم . ولعل هذا راجع
إلى أنهم وقومهم دخلوا الإسلام متأخرين .

^١ إسلامية المعرفة ، مجلة فكرية فصلية يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي- لبنان - جامعة بيروت

الإسلامية ، العدد ٥١ ، ٢٠٠٦م ، ص ٣٨ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٦ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .

^٤ الحسر : التعب والإعياء ، يريد تعب ناقته وإعياءها .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٩٢ .

ومع ذلك فإن قصائدهم امتازت بمتانة الأسلوب ، وقوته ، وجزالة اللغة .
فيمكننا القول بأن شعر المخضرمين تميز بما تميز به الشعر الجاهلي عامة ، حيث
" بقي محافظا على نمطه الجاهلي وأسلوبه ، فهو بعامة يتسم بالإيجاز ، وقوة
التعبير ، وجزالة اللفظ ، وتعدد الموضوعات ، وبراعة الأوصاف . قد نجد فيه
أيضا بعض التجديد من حيث المعنى والأسلوب ، فنجد العزوبة ، والسلاسة ،
ورقة الألفاظ ، ووضوح المعاني في القصائد .

كذلك نهجهم الجاهلي ، لم تخل القصيدة منه . فهو السائد في أساليبهم^١ . فمثلا
: إذا نظرنا إلى قصيدة **كعب بن زهير** ، وهى من القصائد الهامة فى الاعتذار
للرسول (صلى الله عليه وسلم) ومدحه ، نجدها جاهلية حتى فى ذكر الرسول (
صلى الله عليه وسلم) ومدحيه ، وكذلك الحال فى قصيدة **النابغة** ، **الحطيئة** ،
القطامي ، و**عمرو بن أحمر** .

فلذلك نقول " لم يحدث تطور واسع فى القصيدة العربية فى صدر الإسلام لسببين
: أولا : لأن الشعراء ما كان بوسعهم أن يتخلصوا بسهولة من الطريقة التى ألفوها
فى نظم الشعر وصياغة المعاني التقليدية .

ثانيا : لأنهم انفسهم لم يكونوا ليستوعبوا ويدركوا إدراكاً عميقاً واضحاً أن المبادئ
والقيم الدينية بحيث تؤثر فى سلوكهم ، ونظرتهم للناس وللحياة وللشعر أيضا^٣ .

^١ يحيى الجبوري ، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، ص ٣٤٨ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٤٩ .

المبحث الخامس: شعراء المشوبات :

النابغة الجعدي :

اسمه : قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .^١

أما صاحب الجمهرة قال عنه " هو قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري أبو ليلي : شاعر من المعمرين . اشتهر في الجاهلية . وسمي " النابغة " ؛ لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله . وكان ممن هجر الأوثان ، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام . ووفد على النبي (صلى الله عليه وسلم) فأسلم ، وأدرك صفين ، فشهداها مع علي (رضى الله عنه) ، ثم سكن الكوفة فسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها ، فمات فيها وقد كف بصره وجاوز المائة وكان ذلك نحو ٥٠ هـ / ٦٧٠ م .^٢

أما أبو بكر العراقي فقال : " هو آخر من مات من الصحابة بأصبهان ودفن هناك وهو من وفيات عام ٧٩ هـ " .^٣

قال عنه ابن عبدالبر : قصيدته هذه أحسن شعر قيل في الفخر بالشجاعة ، وما أظن النابغة إلا وقد أنشد الشعر كله لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) .^٤

ذكره ابن سلام في طبقاته فقال عنه : (دخل النابغة على عثمان بن عفان . فقال استودعك الله يا أمير المؤمنين واقراً عليك السلام ، قال لما ؟ ، قال أنكرت نفسي فأردت أن أخرج إلى إبلي فأشرب من ألبانها وأشرب من شيخ البادية ، وذكر بلده فقال يا أبا ليلي أما علمت أن التعرّب بعد الهجرة لا يصلح ، قال لا والله ما كنت

^١ ديوان النابغة الجعدي ، شرح وتقديم : عباس عبدالساتر ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٤ م ، ص ٦٠ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٧ .

^٣ أبو بكر العراقي ، التبصرة والتذكرة ، المسمى (شرح ألفية العراقي) ، تصحيح : محمد بن الحسين العراقي الحسيني ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٥٤ هـ ، ج ٣ ، ص ٤٤ .

^٤ أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ط ١ ، (بدون تاريخ) ، ص ٢٧٠ .

لأخرج حتى أستاذك . فأذن له وضرب له أجلا وخرج من عنده^(١) . وعده من شعراء الطبقة الثالثة .

فقال قصيدته هذه عندما وفد على الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع " كرز بن أسامة " قبل حجة الوداع وبعد حنين^(٢) ، فأسلم وحسن إسلامه^(٣) و أنشدها أمامه ودعاء له . وفى الترتيب حسب الاسبقية الزمنية لشعراء المشويات يأتي فى المرتبة الخامسة بعد الحطيئة و قبل عمرو بن أحمر ، فقصيدته هذه بها ست وسبعون بيتا وهى من بحر الطويل ، وجملة قصائده سبع وأربعون قصيدة .

كعب بن زهير بن أبي سلمى :

هو الصحابي الجليل وأحد فحول الشعراء المخضرمين المجيدين . " كعب بن زهير بن أبي سلمى – واسم أبي سلمى ، ربيعة بن رياح – المزني نسبة إلى مزينة ، إحدى قبائل مضر ، وأمه كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم ، أحد بني عبدالله بن غطفان ، تزوجها زهير ثم نزل فيهم وأهل بيته ، وكانت منازلهم بالحاجر من نجد ، وكبشة هذه – هى أم سائر ولد زهير . والرواة يتفقون على أن الشعر لم يتصل فى ولد أحد من فحول الشعراء فى الجاهلية اتصاله فى ولد زهير ، وفى الإسلام فى ولد جرير . فكعب : أبوه زهير ، وجده أبو سلمى ، وعمتاه سلمى والخنساء ، وخال أبيه (بشامة بن القدير) وابنا عمته تماضر الخنساء وأخوها صخر ، وابنا بنته سلمى العوثبان وقريض ، وأخوه بجير ، وولده عقبة (المضرب) وحفيده العوام بن عقبة – هؤلاء كلهم شعراء . ولكعب ابن آخر من ولده الحجاج بن ذي الرقبة بن عبدالرحمن بن عقبة بن كعب . وهو الذى روى عنه التبريزي قصيدة " بانث سعاد " من طريقه سندا ، والمعروف عن كعب أنه

^١ أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي البصري المتوفى (٢٣٢ هـ) ، طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، تحقيق : مصطفى عبدالجواد عمران ، المكتبة العصرية - مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٨ م ، ص ٣٠ ، وذكره السيوطي فى تاريخ الخلفاء ج ١ ، ص ١٢٣ ، وذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام ج ٢ ، ص ١١٩ ، وذكره أبو نعيم الأصبهاني فى تاريخ أصبهان ص ٩٨ .

^٢ ابن الأثير الشيباني ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ م ، ج ٤ ، ص ٤٦٧ .

^٣ ابن عبدالبر ، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد الجاوي ، نهضة مصر - القاهرة ، (بدون تاريخ) ، ج ٤ ، ص ١٥١٨ .

قال الشعر وهو صغير وكان أبوه ينهأه ويضربه مخافة أن يقول ما لا خير فيه (١)
ذكره ابن قتيبة فقال : "كعب بن زهير بن أبي سلمى بن رياح بن العوام بن قرط
بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لاطم بن عثمان بن
مزينة ابن أد بن طابخه بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان" (٢).

لما ظهر الإسلام هجا النبي (صلى الله عليه وسلم) وأقام يشيب بنساء المسلمين ،
فهدر النبي (صلى الله عليه وسلم) دمه . فجاءه كعب مستأمنا وقد أسلم ، وأنشده
لاميته المشهورة فعفا عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) وخلع عليه برده ، وهو
من أعرق الناس بالشعر . توفي ٢٦ هـ / ٦٤٥ م . (٣)

حظيت لامية كعب بن زهير - (رضى الله عنه) بشهرة وذيوع ، قل أن تنافسها
عليه قصيده أخرى ، فقد سارت بها الركبان وتوارثتها السنون ، نظرا لشرف
الموقف الذى قيلت فيه ، وجلالة الممدوح ، وسمو المناسبة ، ولهذا فقد أصبحت
هذه القصيدة ميدانا للبحث والدراسة قديما وحديثا ؛ لإنشادها بين يدي الرسول
(صلى الله عليه وسلم) وإصغائه إليها وإعجابه بها . (٤)

يأتي كعب فى المرتبة الثانية بعد الشماخ بن ضرار ، وقبل تميم بن أبي مقبل .
قصيدته هذه بها ثمانية وخمسون بيتا ، وهى من بحر البسيط ، ومجموع قصائده
إحدى وخمسون قصيده .

القطامي :

القطامي بضم القاف وفتحها .

قال الزبيدي : الفتح لقيس ، وسائر العرب يضمنون .

^١ ديوان كعب بن زهير ، تأليف أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري ، الدار القومية للطباعة
والنشر - مصر ، (بدون تاريخ) ، ص ١٠٢ .

^٢ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٧٨٨ ، وذكره عبد السلام هارون فى تهذيب سيرة ابن هشام ج ١ ، ص
٣٨٨ ، وذكره السيوطي فى تاريخ الخلفاء ج ١ ، ص ٢٣ ، والذهبي فى تاريخ الإسلام ج ١ ، ص ٣٨٨ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٥ .

^٤ مجلة البيان ، تصدر عن المنتدى الإسلامي ، ج ٢١٦ ، ص ١٤ .

أورد العباس في (معاهد التنصيص) طائفة حسنة من أخباره يفهم منها أنه كان صغيراً في أيام شهرة الأخطل ، وأن الأخطل حسده على أبيات من شعره ، وقيل عاصر الأخطل .

و لقب بصريع الغواني بقوله :

صريع غوان راقهن ورقنه لدن شبّ حتى شاب سود الذوائب

ومن شعره البيت المشهور :

قد يُدركُ المتأنّي بعضَ حاجتِه وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزلُّ^١

يقول ابن قتيبة : اسمه عمير بن شبيب بن عمرو بن عباد بن بكر بن عامر بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن بن هنب بن أفص بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان^٢.

يقول ابن سلام : " كان القطامي شاعرا فحلاً رقيق الحواشي ، حلو الشعر والأخطل أبعد منه ذكراً وأمتن شعراً"^٣.

أما أبو زيد القرشي فذكره فقال : هو عمير بن شبيب بن عمرو بن عباد ، من بني جشم بن بكر ، أبو سعيد التغلبي الملقب بالقطامي . شاعر غزل فحل . كان من نصارى تغلب في العراق ، وأسلم ، وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين ، ونقل أن القطامي أول من لقب بصريع الغواني . توفي نحو ١٣٠هـ / ٧٤٧م^٤.

هذه القصيدة يمدح بها عبدالواحد بن الحارث بن الحكم ، وقيل هو عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بن مروان ، وكان يكنى أبا عثمان ، وولي الحج عام الحرورية – أصحاب عبدالله بن يحيى ، فلم يدر بهم عبدالواحد ، وهو واقف

^١ ديوان القطامي ، تحقيق : الدكتور إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ، دار الثقافة - بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٠م ، ص ٩٩ .

^٢ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٨٠٢ .

^٣ محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني - جدة ، (بدون تاريخ) ، ج ٢ ، ص ٥٣٥ ، وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام ج ١ ، ص ٨٣٧ .

^٤ أبي زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٣ .

بعرفة حتى دلف عليه من جبال عرفة من طريق الطائف ، فوجّه إليه رجالاً فيهم عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأمّية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان (رضى الله عنهم) ، وعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضى الله عنهم) ، فكلموهم وسألوهم أن يكفّوا حتى يفرغ الناس من حجهم ، ففعلوا . فلما كان يوم النفر الأول ، خرج عبدالواحد يفيض ثم مضى على وجهه إلى المدينة وترك ثقله وفساطيطه فى منى فقال ابن الكوسج فى ذلك :^١

زار الحجيجَ عصابةً قد خالفوا دِينَ الرسولِ وفرَّ عبدالواحد
ترك القتالَ وما به من علةٍ إلا الوهُونَ وغرفة من خالدٍ^٢

يأتى فى المرتبة السابعة بعد عمرو بن أحمر . وقصيدته هذه بها واحد وأربعون بيتاً وهى من بحر البسيط ، ومجموع قصائده سبع وأربعون قصيدة .

الحطيئة :

اسمه : جرول بن أوس بن جويّة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيبة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

كنيته : أبو مليكة ، نسبة إلى ابنته مليكة .

لقبه : اختلف فى سبب تلقيبه بالحطيئة ، فقيل : لقب بذلك لقصره وقربه من الأرض ، ففى الصحاح : الحطيئة – الرجل القصير . وقال ثعلب : وسمى الحطيئة لدمامته .

نسبه : وقد شك المؤرخون القدامى فى نسبه ، فقال أبو الفرج : ونسبه متدافع بين القبائل ، وكان ينتمى إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين . وكان يدعى

^١ إسحاق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب المروزي، المعروف بالكوسج: فقيه حنبلي، من رجال الحديث. ولد بمرور. ورحل إلى العراق والحجاز والشام، واستوطن نيسابور وتوفي بها. له (المسائل - خ) [ثم طبع في الفقه، دونها عن الإمام أحمد. (طبقات الحنابلة ١/١١٣)

^٢ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٨٠٢ .

أنه ابن عمرو بن علقمة أحد بني الحارث بن سدوس . وعن محمد بن سلام قال :
كان الحطيئة ينتمي إلى بني ذهل بن ثعلبة فقال يمدحهم :
إنّ اليمامة خيرُ ساكنها أهلُ القرية من بني ذهل^١

قال : والقرية : منازلهم ، ولم يثبت الحطيئة في هؤلاء . وكان إذا غضب على
بني عبس يقول : أنا من بني ذهل ، وإذا غضب على بني ذهل قال : أنا من بني
عبس !.

قال الأصمعي : وقدم الحطيئة الكوفة منزل بني عوف بن عامر بن ذهل يسألهم ،
وكان يزعم أنه منهم^٢ .

قال بن الجوزي^٣ : " الحطيئة : جاهلي إسلامي ، والظاهر أنه أسلم بعد موت
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ لأنه لا ذكر له في الصحابة والوفود " .^٤

يقول صاحب الجمهرة هو : جرول بن أوس بن مالك العبس ، أبو مليكة ، شاعر
مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . كان هجاءً عنيفاً ، لم يكذب يسلم من لسانه أحد
وهجا أمه وأباه ونفسه ، و أكثر من هجاه الزبرقان بن بدر فشكاه إلى عمر بن
الخطاب ، فسجنه عمر بالمدينة ، فاستعطفه بأبيات فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس
، فقال : إذا تموت عيالي جوعاً ! توفي نحو ٤٥هـ / ٦٦٥م .^٥

أيضاً ذكره ابن سلام قال : " كان الحطيئة قد عمر دهره في الجاهلية وبقي في
الإسلام " .^٦ وجعله في الطبقة الأولى .

هذه القصيدة يمدح بها سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، و يعتذر من
هجائه للزبرقان بن بدر .

^١ ديوان الحطيئة ، بشرح : السكيت والسكري والسجستاني ، تحقيق : نعمان أمين طه ، مطبعة مصطفى البابي
الحلبي - القاهرة ، ط ١ ، ١٩٥٨م ، ص ٧٩ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٤١ - ٤٢ .

^٣ عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله البكري من ولد الإمام أبي بكر الصديق رضى الله عنه ،
الإمام أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي الحنبلي الواعظ ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم ، ولد
تقريباً سنة ثمان أو عشر وخمسمائة . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ١ ، ص ٦١ .

^٤ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار صادر - بيروت ، ط ١ ، ١٣٥٨هـ ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ،
و ذكره بن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار ج ١ ، ص ١٦٣ .

^٥ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٧ .

^٦ ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج ١ ، ص ١١٠ .

نَأْتِكَ أَمَامَةً إِلَّا سُؤَالَآ وَ أَبْصَرْتَ مِنْهَا بَغَيْبٍ خَيَالَا

يأتي في المرتبة الرابعة بعد تميم بن مقبل ، وقبل النابغة الجعدي ، وقصيدته بها ثمانية و عشرون بيتا ، وهي من بحر المتقارب ، و جملة قصائده مائة و اثنتان وعشرون قصيدة .

الشماخ بن ضرار :

هو معقل بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمر ، بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد ، بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

لا خلاف في أن الشماخ مخضرم ، أدرك الجاهلية و الإسلام ، وقد امتدت حياته في الإسلام حتى سلخ من خلافة عثمان بن عفان زمناً ليس بالقصير . معنى هذا أنه عاش بعد الهجرة ما يزيد على ربع قرن ، عاش في الإسلام أربعين عاما . ومات غازيا باذربيجان وأرمينية في عهد سيدنا عثمان (رضى الله عنه) ، وأنه كان يتباهى قبل غزوته التي مات فيها بقوته وفروسيته حيث يقول :

وقد علمتُ خَيْلٌ بموقان أنِّي أنا الفارسُ الحامى لدى الموت نزال

فعمره عند وفاته لم يزيد على الستين أو الخامسة والستين ، وهذا يعني أنه عاش في الجاهلية ما يقرب من خمس وعشرون عاما .^١ وجعله ابن سلام في الطبقة الثالثة . أما صاحب الجمهرة فقال : هو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني ، شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . وهو من طبقة لبيد والنابغة . كان شديد متون الشعر ، ولبيد أسهل منه منطلقا . وكان ارجز الناس على البديهة ، شهد القادسية ، وتوفي في غزوة " موقان " ٢٢هـ / ٦٤٣م . أخباره كثيرة ، قال البغدادي وآخرون : اسمه معقل بن ضرار ، والشماخ لقبه^٢ .

يأتي في المرتبة الأولى قبل كعب بن زهير ، وقصيدته بها واحد وخمسون بيتا وهي من بحر الطويل ، ومجموع قصائده خمس وسبعون قصيدة .

^١ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، تحقيق : صلاح الدين الهادي ، دار المعارف - مصر ، ١١١٩م ، ص ٧٧ - ٧٩ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨١ .

عمرو بن أحمر :

شاعر جاهلي مخضرم ، ولد ونشأ في نجد أدرك الإسلام وأسلم وشارك في الفتوحات مع خالد بن الوليد وكذلك في مغازي الروم .

مدح الخلفاء الراشدين ، عدا أبي بكر الصديق ومدح بعض الخلفاء الأمويين وكان من المطالبين بدم عثمان والمعادين لعلي بن أبي طالب . وقد هجا في شعره يزيد بن معاوية ، وظل مختفيا عنه حتى وفاته ، ثم عاد فأصلح ما فسد بينه وبين بني أمية . فمدح عبد الملك بن مروان وغيره ، واختلف في تاريخ وفاته . فقال المرزباني : إنه توفي في عهد عثمان بن عفان ، والأرجح أنه توفي في عهد عبد الملك بن مروان كما أشار أبو الفرج الأصفهاني ؛ لأنه مدح عبد الملك بن مروان ، ومدح واليه على المدينة يحيى بن الحكم بن العاص ، وتوفي سنة ٧٥هـ / ٦٩٤م^١ . وابن قتيبة قال عنه : هو عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر بن عبد شمس بن فرّاص — بن معن بن مالك بن أعصر ، وهو منبّه بن سعد بن قيس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^٢ .

وذكره صاحب الجمهرة فقال : هو عمر بن أحمر بن العمرد بن عامر الباهلي أبو الخطاب ، شاعر مخضرم عاش نحو ٩٠ عاما ، كان من شعراء الجاهلية وأسلم . وغزا مغازي الروم ، وأصيبت إحدى عينيه ، أدرك أيام عبد الملك بن مروان ، له مدائح في عمر وثمان وعلي وخالد . هجا يزيد بن معاوية . فطلبه ففرّ منه . كان يتقدم شعراء زمانه ، وعدّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الإسلاميين . وكان يكثر من الغريب في شعره . توفي نحو ٦٥هـ / ٦٨٥م^٣ .

يقول ابن قتيبة : عمرو بن أحمر بن فرّاص بن معن بن أعصر ، وكان أعور . رماه رجل يقال له مخشي بسهم فذهبت عينه .

وقد أتى ابن أحمر في شعره بأربعة ألفاظ لا تعرف في كلام العرب :

سمى النار مأموسة ، ولا يعرف ذلك فقال :

^١ ديوان عمرو بن أحمر ، شعر عمر بن أحمر الباهلي ، تحقيق : د. حسين عطوان ، مجمع اللغة العربية - دمشق ، (بدون تاريخ) ، ص ٧ .

^٢ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٨٤٢ ، وذكر في معجم الشعراء ، ج ١ ، ص ٨ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٩ .

تَطَايَحَ الطَّلُّ عَنْ أَرْدَافِهَا صُعْدًا كما تَطَايَحَ عَنْ مَأْمُوسَةَ الشَّرْرُ

وسمى حوار الناقة بابوسا ، ولا يعرف فقال :

حَنَّتْ قُلُوصِي إِلَى بَابُوسِهَا جَزَعًا فما حنينك أُمّ ما أنتِ والذَّكْرُ

وفي بيت آخر يذكر فيه البقرة فيقول :

مَارِيَّةٌ لَوْلَوَانُ اللَّوْنِ أَوْدَهَا طَلُّ ، وَبَنَسَ عَنْهَا فَرَقَدٌ خَصِيرُ

أي تأخر ، ولا يعرف التبئيس .

وقال :

وَتَقَعَّ الحَرْبَاءُ أُرْنَتَهُ^١ مُتَشَاوِسًا لَوْرِيْدِهِ نَقْرُ

وقال عنه أبو عمرو بن العلاء : كان ابن أحمر في أفصح بقعة من الأرض أهلا ، يذبل والقعاقع ، يعني مولده قبل أن ينزل الجزيرة ونواحيها .^٢ يأتي في المرتبة السادسة قبل القطامي وبعد النابغة الجعدي ، وقصيدته بها اثنان وخمسون بيتا ، وهى من بحر البسيط ، ومجموع قصائده تسع وستون قصيدة .

تميم بن أبي مقبل العامري :

هو تميم بن أبي بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قنبة بن العجلان ، وهو عبدالله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وكنيته أبو كعب . ولا نعرف زمن ولادته ، ولا مكانها ، وكل ما نعرف عن حياته أنه شاعر مخضرم ، عاش في الجاهلية دهرا ثم أدرك الإسلام ، فأسلم ، وعاش طويلا في الإسلام ، وله شعر في وقعة صفين التي حدثت سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م ، تزوج امرأة أبيه في الجاهلية ، وكان هذا حلالا في الجاهلية إلى أن حرّمه الإسلام ، وقد فرق الإسلام بين رجال ونساء آبائهم ، وهم كثير ، ومنهم تميم بن أبي بن مقبل ، وقد ذكرها ابن مقبل كثيرا في شعره ، وحن إليها بعد التقريظ وهو القائل :

هل عاشقٌ نالَ من دهماءَ حاجتُهُ فى الجاهليةِ قبلَ الدينِ مرحومٌ^٣

^١ - الأرنّة : ما لف على الرأس ولا يعرف ذلك في غير شعره.

^٢ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٧٢ .

^٣ ديوان تميم بن أبي بن مقبل ، شرح : مجيد طراد ، دار الجيل - بيروت ، ١٩٩٨م ، ص ٧ .

وقال عنه ابن قتيبة : تميم بن أبي بن مقبل بن عجلان بن عبدالله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .^١

كان ابن مقبل خرج في بعض أسفاره ، فمرّ بمنزل عصر العقيلي ، وقد جهده العطش ، فاستسقى ، فخرجت إليه ابنتاه بعس فيه لبن ، فرأتاه أعور كبيراً فأبدتا له بعض الجفوة ، وذكرتا هرمه وعوره ، فغضب ، وجاز ولم يشرب ، وبلغ أباهما الخبر ، فتبعه ليرده ، فلم يرجع ، فقال له : ارجع ولك اعجبهما إليك ، فرجع وقال قصيدته التي منها هذا البيت^٢ ، وهى من أجود شعره :

كان الشَّبَابُ لحاجاتٍ وكُنَّ له فقدَ فزَعَتْ إلى حاجاتى الأخر^٣

وجعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة .

يأتى فى المرتبة الثالثة قبل الحطيئة وبعد كعب بن زهير ، وقصيدته هذه بها خمسون بيتاً ، وهى من بحر البسيط ، ومجموع قصائده واحد ومائة .

فمن جملة ما ذكرنا فى تعريف لشعراء المشوبات ، نقول إنَّ نسبهم واحد وهم عرب عدنانيون ، يلتقون فى جدهم مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وبعض منهم عاصر الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) .

وهذا يعتبر لهم شرف الصحبة بالنبي (صلى الله عليه وسلم) ، والصحابة (رضى الله عنهم) فضلهم معروف فى القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ^ط تَرْتَهُمُ رُكْعًا سَجْدًا يَلْبِتُونَ ^ج فُضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ ^ط فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ^ج ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ^ج وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ

^١ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٣١٥ ، ذكره ابن حجر العسقلاني فى الإصابة ، ج ١ ، ص ١٨٩ ، وخرانة الأدب ج ١ ، ص ١١٣ ، والمفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١٤ ، ص ٨٥ .

^٢ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٥٦ .

^٣ ديوان تميم بن أبي مقبل ، ص ٥٦ .

الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا
عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ .^١

وليس لنا ثناء ومدح أكثر من ذلك .

^١ سورة الفتح ، آية : ٢٩ .

الفصل الثاني

الأغراض الشعرية فى المشروبات

المبحث الأول

الوصف

المبحث الثاني

الغزل

المبحث الثالث

المدح

المبحث الرابع

الفخر

المبحث الخامس

أغراض أخرى

الهجاء ، الشكوى والعتاب ، الاعتذار ،

الحكمة والمثل

الأغراض الشعرية في المشوبات :

جاء في ديوان المعاني : " كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة هي : المدح ، الهجاء ، الوصف ، النسيب ، والمراثي حتى زاد عليها النابغة نوعا سادسا وهو الاعتذار " .^١ وفي نور القبس : أقسام الشعر تؤول إلى أربعة أركان فمنه : افتخار ، ومنه مديح ، ومنه هجاء ، ومنه نسيب ، فأما الافتخار فيسبق الناس إليه جرير في قوله من " الوافر " :

إذا غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا
وأما المديح فبرز فيه جرير على الناس في قوله من " الوافر " :
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ، وَأَأْنَدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ؟
وأما الهجاء فبرز فيه جرير على الناس في قوله من " الوافر " :
فغَضَّ الطَّرْفَ إِلَيْكَ مِنْ تُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كِلَابًا
وأما النسيب فبرز فيه جرير على الناس في قوله من " الوافر " :
إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حُورٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا.^٢

أما في تاريخ النقد الأدبي عند العرب : " أصناف الشعر أربعة : المديح ، الهجاء ، الحكمة ، و اللهو . ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون ، فيكون في المديح : المرثي ، الافتخار ، والشكر ، ثم يكون من الهجاء : الذم ، العتاب ، والاستتباء ، ومن الحكمة : الأمثال ، والترهيد ، والمواعظ ، ويكون من اللهو : الغزل ، الطرب ، وصفة الخمر .^٣

والشعر عند العرب من الوفرة والغزارة بمكان ، والعرب من أكثر الأمم شعرا لأنه عندهم سجل العواطف ، والمآثر ، والمفاخر ، والسجايا ، والشعر يكشف عن النفس العربية ويعكسها . بكل ما فيها من بطولات وأمجاد ، وبأس ، وشدة ، وعصبية ، وتسرع ، وكرم ، ووفاء ، فهو ديوانهم .^٤ ولا تعرف أنساب العرب

^١ أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، مكتبة القدس - بيروت - لبنان ، (بدون تاريخ) ، ج ١ ، ص ٩١ .

^٢ - المرزباني ، نور القبس ، دار صادر ، بيروت ، (بدون تاريخ) ج ١ ، ص ١٠ .

^٣ - إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة - بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٣ م ، ج ١ ، ص ٤٤١ .

^٤ يحيى الجبوري ، الإسلام والشعر ، مطبعة الإرشاد - بغداد ، ١٩٦٤ م ، ص ١٤ .

وتواريخها وأيامها ووقائعها ، إلا من جملة أشعارها ، فالشعر ديوان العرب
وخزانة حكمتها ، ومستنبت آدابها ، ومستودع علومها .^١

^١ أبو هلال العسكري ، الصناعتين في الكتابة والشعر ، تحقيق : على محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي
الخطبي - القاهرة ، ١٩٥٢م ، ص ١٠٤ .

المبحث الأول:

الوصف:

يكاد النقاد يجمعون على أن أجود الوصف هو الذى يستطيع أن يحكي الموصوف حتى يكاد يمثله عيانا للسامع ، وذلك بأن يأتي الشاعر بأكثر معان ما يصفه وبأظهرها فيه ، وأولاها بأن تمثله للحس . ولذا قال بعض النقاد : أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا^١ لذلك نجد كثيرا من الشعراء يكثر من الوصف ويصدقون فيه ، فيقولون " الوصف ذلك الذى يصدر عن الإعجاب الحسي الذى لا يصل إلى درجة الجد ، وفيه يملك الشاعر من هدوء القلب ، واستقلال الذهن ما يستطيع معه أن يتأنق ويختار وينظر إلى الموصوف من الخارج ، فيصفه وصفا جميلا دون أن يضيع فيه " .^٢

فعرّفه الأدباء بمعان كثيرة فمنهم من قال : إن الوصف فى الشعر الجاهلي ليس بغرض مستقل وإنما يمتزج فى أغراض الشعر جميعا ، وليس بغاية تبنى عليها القصيدة وإنما هو واسطة لتميق القصيدة وتنسيقها . فهو فى القصيدة بمثابة السلك فى العقد ، يشد الأغراض المختلفة فى القصيدة إلى بعضها البعض ، ولعل طغيان الوصف فى هذا الشعر وإجادة الشاعر فيه إنما يرجع إلى قوة الملاحظة عند البدو وحدة الذكاء ، وتفجير العاطفة ، وهذه الوحدة فى صحراء مترامية الأطراف ، بحياتها الرتيبة ذات النغمة الواحدة جعلته يلاحظ بدقة ما حوله وما يطرأ على الطبيعة من تغير فيلفت نظره السحاب ، برعده وبرقه . والنجم فى تألّئه ، والظباء فى تلفتها وإجفالتها ، فيسجل كل ذلك فى شعره^(٢) ؛ لأنه قوة من قوى الخيال المترامي الأطراف فى دنيا النجوم ورؤوس الجبال واخضرار الغابات وهدير الأنهر ، وتكسر الأمواج ، وما إلى ذلك ، تتمثل فى ضمير الشاعر أو الكاتب المتأدب ، فيعدد أجزاء الموصوف بما يوضحه من النظائر والأضداد^(٣) . المشوبات مليئة بالعديد من الأغراض الشعرية ، فالوصف واحد من تلك الأغراض التى تناولها شعراء المشوبات بمختلف أنواعها ، كوصف الناقة ،

^٢ شفيق عبدالجبار الكمالي ، الشعر عند البدو ، مطبعة الارشاد - بغداد ، ١٩٦٤م ، ص ٢٧٢ .
^٣ عيسى سابا ، شعراء القصة والوصف فى لبنان ، دار صادر - بيروت ، ١٩٦١م ، ص ١٧٧ .

وصف الذئب ، وصف البقرة الوحشية ، وصف الخمر ، وغير ذلك من أنواع الوصف .

وصف الناقة :

يكاد الشعراء الجاهليون لا يتصدون للوصف في قصيدة حتى يتحدثوا عن الناقة لما لها من ارتباط حميم بحياتهم . إلا أنهم عرضوا لها في الغالب ، كمن يراها أو يراقبها من الخارج ، مقابلين بينها وبين أغراض شتى ، مما وقعت عليه حواسهم في الحيوانات أو المظاهر الطبيعية الأخرى . لقد أنشأوا لها شبه معادلة تجتمع بعضها إلى بعض ، فلذة إثر فلذة ، حتى تستقيم في ذهننا صورة شاملة متكاملة للناقة لا يغيب عنا عضو من أعضائها أو حركة من حركاتها^١ .

فشعراء المشوبات وصفوا الناقة وأبدعوا في وصفها ، فمنهم **النايعة الجعدي** الذي انجبتة الصحراء ، عاشت في داخله فأحسها واهتزت نفسه بمشاهدها الخلابة وانطلق لسانه بالشعر في وصف ما يحيط به . فوصف وصور لنا ناقته في سرعتها وشدة نشاطها ، تسابق الحمام . حيث وصوله إلى الأرض التي يركض فيها الماء ويتحير ، ذات الرياح الضعيفة . فهذه الناقة عندما ينزل منها ليلاً تشكو وتتألم وتتذمر من شدة السير والنشاط الذي كان منها بالنهار فيقول :

وتيهٍ عليَّها نسج ریح مَريضةٍ قطعْتُ بحرَ جوجِ مساندةَ القَرا^٢
خَنُوفٍ مَرُوحٍ تُعجِلُ الورقَ ، بَعْدَما تُعرِّسُ تشكو آهَةً وتَدمُرا^٣

كذلك يصف لنا في بعض أبيات قصيدته صغار الإبل ورؤسها التي خلت من الشعر بكثرة بكائها وحنينها إلى أمهاتها مصورا ذلك في قوله :

لَهَا حَجَلٌ قُرْعُ الرُّؤُوسِ ، تَحَلَّبَتْ على هَامِهِ ، بالصَّيْفِ ، حتى تمُورا^٤

^١ ايليا الحاوي ، فن الوصف ، دار الكتاب اللبناني - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧م ، ص ٣٥ .

^٢ حرجوج : هي الناقة الضامرة ، وتعرِّس : هي التي ينزل منها الرجل بالليل .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٨ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٦٢ .

يصف النابغة صغار الإبل كيف كانت وهى سوداء اللون ، رأسها خال من الشعر وذلك بسبب بكائها وحنينها إلى أمهاتها التي تركتها فترات طويلة وظلت تبكي وترسل دموعها مرارا حتى سقط الشعر من رأسها .

ثم يصف الإبل وهى تسير مسافات طويلة دون شرب الماء ، وإذا جاء فصل الصيف تصاب بالعطش ؛ لحرارة وهجير النهار ورمال الصحراء الساخنة ، فإذا سيقت إلى الحياض وموارد المياه سارت واندفعت فى سيرها دون توقف فيقول:
إذا هـى سيقت دافعت ثقاتها إلى شرر تجري مرارا مقترأ^١

فعندما تصل تغمس رؤوسها فى حياض الماء الذى باتت مياهه صافية ومزينة لتشرب وتروي ظمأها فيقول :
وتغمس فى الماء الذى بات أجنا ، إذا ورد الراعي نضيجا محبرا^٢

فعندما تشرب تسمع صوت الماء فى حناجرها مثل أصوات الزمار الذين ينفخون فى مزاميرهم الكبار ذات الأصوات العالية وذلك فى قوله :
حناجر كالأفماع فح حنينها ، كما نفع الزمار ، فى الصبح ، زمخرا^٣

فهذا غاية فى الوصف والتصوير والجمال والروعة .
كعب بن زهير ، عندما ألقى لاميته المشهورة فى مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) أمامه وأصحابه باديا بالغزل فى محبوبته التى بعدت عنه وظلت بأرض بعيدة لا يقدر على الوصال بها إلا إذا امتطى ناقته السريعة ، ثم يصف ناقته لنا فيقول :

قنواء فى حرثتها للبصير بها عتق مئين وفي الخدين تسهيل
أمسست سعادا بأرض لا يبلغها إلا العتاق ، النجيبات المراسيل^٤

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٨ .

^٢ الماء الأجن : الأسن ، النضيج : الحوض ، المحبر : المزين .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٦٨ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٦٨ .

ولن يُبَلِّغها إِلَّا عُدَافِرَةً لها على الأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلٌ^١

وصف كعب الناقة لبيان أن صاحبه صارت بأرض بعيدة لا يبلغها إلا ناقة عظيمة صلبة ، سريعة العدو ، فمن شدة صلابتها وقدرتها على السفر ، فهي الوحيدة التي لها القدرة على وصول مكان محبوبته الذي ارتحلت إليه .

ولم يعارض ناقلته شيء في سيرها ويمنعها ، حتى الطريق الطامس الذي اختفت معالمه ، وأصبح مجهول ، فلها القدرة على تجاوزه . حيث وصف كعب الطريق " بأنه طامس الأعلام مجهول . ولا شك أن ذلك يتجانس مع المعاني التي استولت على نفس كعب حين قال القصيدة . فهو لم يكن يعرف مصيره بعد أن أوعده الرسول (صلى الله عليه وسلم) . ولذلك كان وصف الطريق بأنه طامس الأعلام و بأنه مجهول أدل شيء على نفسيته ومشاعرة فيقول :

مِنْ كُلِّ نَضَاحَةِ الذُّفْرِى^٢ إِذَا عَرِقَتْ عُرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولٌ^٣

و "ذلك يؤكد ما أذهب إليه من أن كل شيء في قصيدة كعب يدور حول معان واحدة مشتركة فيما بينها في الدلالة على قلق الشاعر واضطرابه وتأمله للنجاة " .^٤ ثم يخوض كعب في وصف الناقة مبتدئاً بعينيها في وقت توقد الأرض وشدتها ، بالاتساع وحدة النظر ، ويشبهاها في ذلك بعيني ثور وحشي قد أنفرد عن أنثاه . وأصابه الخوف والقلق والتوتر وله الرغبة في الوصول إلى القطيع ليكون فى أمان وذلك فى قوله :

تَرْمَى الْغُيُوبَ بَعَيْنَى مُفْرَدٍ لَهَقٍ إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحَزَانَ وَالْمَيْلُ^٥

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٨ .

^٢ النضاحة : السانلة . الذفري : ما تحت أذن الناقة مما يلي الرقبة .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٦٧ .

^٤ الدكتور السيد إبراهيم محمد ، قصيدة " بانث سعاد " لكعب بن زهير وأثرها فى التراث العربى ، المكتب الإسلامى ، ط ١ ، ١٩٨٦م ، ص ٦٤ .

^٥ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٧ .

ثم يعود إلى وصف ناقته مرة أخرى التي تفضل على غيرها من النوق في الخلقة ، فهي غليظة الرقبة ممثلة الساقين ، عظيمة الوجنتين ، شديدة تشبه البعير فى الخلقة ، واسعة الجنبين لضخامتها ، طويلة العنق ، جلدها غليظ لا يؤثر فيه القراد مع شدة حرصه على الالتزاق به لما به من الجوع الذى أهزله .

فيصف صدرها وخاصرتيها بالملاسة حتى إن القراد لا يتمكن من الالتصاق بها ، وهذا دلالة على سمها و ملاستها فيقول :

ضَخْمٌ مُقَلِّدًا فَعَمَّ مَقِيدَهَا	فى خَلْقِهَا عن بَنَاتِ الفَحْلِ تَفْضِيلُ
غَلْبَاءٌ وَجَنَاءٌ عُلُكُومٌ مُذَكَّرَةٌ	فى دَفِّهَا سَعَاةٌ قَدَامَهَا مِيلٌ ^١
وَجِلْدُهَا مِنْ أَطْوَمٍ مَا يُؤَيِّسُهُ	طَلْحُ بَضَاحِيَةِ المَتَتَيْنِ مَهْزُولُ
حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ	وَعَمَّهَا خَالَهَا قَوْدَاءُ شَمَلِيلُ
يَمْشَى القَرَادُ عَلَيْهَا ثم يُزْلِقُهُ	مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابُ زَهَالِيلُ ^٢

ثم يصف رأس ناقته بالضخامة و الصلابة مشبها الجزء الأسفل منه الذى يشمل الخطم واللحيين بمعول من حديد ، أو بجر ضخم مستطيل . وبعد ذلك يصف لنا

أَنْفَهَا بِالاحْدِيدَابِ ، و أذْنِيهَا ، فيمتدح دلالتهما على كرم ناقته ونجابتها فيقول :	عَيْرَانَةٌ قَذِفَتْ بِالنْحَضِ عَن عُرْضٍ
مِرْفَقُهَا عن ضلوع الزورِ مَفْتُولٌ ^٣	كَأَنَّهَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا
مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللِّحْيَيْنِ بِرُطِيلُ	تُمْرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصْلِ
فى غَارِزٍ لَمْ تَخَوُّهُ الأَحَالِيلُ	قَنَوَاءٌ فى حُرَّتِيهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا
عِنَقٌ مُبِينٌ وفى الخَدَيْنِ تَسْهِيلٌ ^٤	

أما قوائمها فيقول : أنها خفاف لا ترهل فيها و لذلك فهى سريعة الحركة ، تكاد لا تمس الأرض أثناء العدو ؛ لخفتها التى تمكنها من رفعها عن الأرض بسرعة ،

^١ غلباء : غليظة الرقبة . وجناء : عظيمة الوجنتين . علكوم : ضخمة . مذكرة : تشبه الذكر . الدف : الجنب .

^٢ المصدر السابق ، ص ٣٦٧ .

^٣ عيرانة : صلبة كالعير . النحض : اللحم المتكتل . العرض : الجهة . الزور : الصدر .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٦٨ .

وهذه القوائم مع خفتها ، قوية تفرق الحصى لشدة وطئها الأرض مهما حزنت ،
ومن ثم فهي لا تصاب بالحفا الذي يحوجها إلى النعل .^١ فيقول :

تَخْدِي عَلَى يَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاهِيَةٌ ذَوَابِلُ وَقَعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ
سُمُرُ الْعَجَايَاتِ يَبْرُكُنَ الْحَصَى زَيْمًا وَلَا يَقِيهَا رُؤُوسَ الْأَكْمِ تَتَعِيلُ^٢

والقطامي يقول في وصف ناقته بأنها من كرائم الإبل ، حيث لم تكن بها صهبة
ولا حمرة ، ولم يخلطها شيئاً من الألوان ، فهي تسير بسرعة ، لذا عندما تصل
إلى مكانها تكون متعبة وهزيلة فيقول :

أَضَحَتْ عُلْيَةَ يَرْتَاخُ الْفَوَادُ لَهَا وَلِلرَّوَاسِمِ فِيمَا دُونَهَا عَمَلُ^٣
بِكَلِّ مُنْخَرِقٍ يَجْرِي السَّرَابُ بِهِ يُمَسِي وَرَاكِبُهُ مِنْ خَوْفِهِ وَجَلُ
يُنْضِي الْهَجَانَ الَّتِي كَانَتْ تَكُونُ بِهِ عَرْضِيَّةً وَهَبَابٌ حِينَ تُرْتَحَلُ^٤
حَتَّى تَرَى الْحُرَّةَ الْوَجْنَاءَ لِأَغْبَةِ وَالْأَرْحَبِيَّ الَّذِي فِي خَطْوِهِ خَطْلُ^٥

ويقول واصفاً لها : أنها عظيمة الوجنتين ، ولها عيون غائرة ؛ بسبب التعب
والمشقة وكثرة الدموع في قوله :

خَوْصًا تُدِيرُ عَيْونًا مَاؤُهَا سَرِبٌ عَلَى الْخُدُودِ إِذَا مَا اغْرُورِقَ الْمُقَلُّ
لِوَاغِبِ الطَّرْفِ مَنْقُوبًا حَوَاجِبُهَا كَأَنَّهَا قُلُوبٌ عَادِيَّةٌ مُكَلُّ^٦

فهي تمشي معترضة أعناق الإبل المرخي لها الخطم ذات الطرف الفاتر ، التي
تمشي على رسلها ، وتسير سيراً سهلاً يتبع بعضها بعضاً ، فهي لا تخذل
عجازها صدورها ، ولا صدورها أعجازها ، معترضة النشاط في الهاجرة ، فهذا

^١ التبريزي ، شرح "بانث سعاد" لكعب بن زهير ، تحقيق : عبدالرحيم يوسف الجمل ، مكتبة الآداب - القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ٥٨ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٨ .

^٣ - عليّة: اسم امرأة ، الرواسم : الإبل السائرة مشياً شديداً .

^٤ - ينضي : يهزي ، الهجان : من الإبل البيض الكرام ، العرضنا: الناقة التي تمشي معارضة لنشاطها .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

^٦ المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

الوقت تكل فيه ، ويكون الحصى رمض لأشتداد حر الشمس عليه ، وفي ذلك الوقت تكون الريح ساكنة ، وذلك أشد للحر ، ويصبح ظل كل شيء تحته فيقول :

ترمي الفجاجَ بها الركبانَ مُعْتَرِضاً أعناقَ بُزَلِهَا مُرْخِيَّ لَهَا الجُدُلُ
يمشِينَ رَهْوَاً فلا الأعجازُ خاذلة ولا الصدورُ على الأعجازِ تتكَلُّ
فهِنَّ مُعْتَرِضَاتٌ والحصى رَمِضٌ والريح ساكنةٌ والظلُّ مُعْتَدِلٌ^١

ثم يمضي في وصف سير الإبل مع بعضها البعض ، فيقول هذه الإبل تتقدمها ناقة سامية العينين ، هذه الناقة ترى بعينها الشخوص الأبعاد . لم يكسر لها السير ، إذا رأيتها تحسبها مجنونة من شدة نشاطها ، أو عندما ترى شيئاً ولم تره الإبل التي معها تفرع وتظن أنها مصابة بالجنون وذلك في قوله :

يَتَّبَعْنَ مائِرةَ العِينينَ تحسِبُهَا مجنونةً أو ترى ما لا ترى الإبلُ^٢

فعندما وصلت مكان بالشام استقام بنا طريق ذاهب في العلاء مثل الكساء الذي فيه خطوط مختلفة الألوان . حيث نزلنا على عجلة من أمرنا ثم ركبنا مواصلة السير ؛ لأنه توجد به مرعى . لذا ابتعدنا بها عن هذا المكان ، حتى وصلت الأبار ، فوجدت عن اليمين مسایل ماء فشربت ، ثم اتجهت إلى ناحية الشمال وأكلت من شجر الأراك الكثير الملتف الذي كان حذو أوراكها من شدة كثافته فيقول :

لما وَرَدْنَ نَبِيَّاً واستتبَّ بنا مُسْحَنَفِرٌ كخطوطِ السَّيْحِ مُنْسَجِلُ
على مكانٍ غشَّاشٍ لا يُنِيخُ به إلا مُغَيِّرُنَا والمُسْتَقِي العَجَلُ
ثم استمر بها الحادي وجنبها بطنَ التي نبتُّها الحوذَانُ والنفلُ
حتى وَرَدْنَ رَكِيَّاتِ الغُويرِ وقد كاد الملاءُ من الكَتَانِ يشْتَعِلُ^٣
وقد تعرَّجتُ لَمَّا وَرَكَتُ أركَا ذاتَ الشِّمالِ وعن أيماننا الرِّجْلُ^٤

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٤ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

^٣ ركيات الغوير ، الواحدة ركية : البئر ذات الماء .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٧٥ .

هذه الإبل أحبها الجاهلي ؛ لأنها تغذيه بلبنها ، وتكسوه من وبرها ، وتطعمه من لحمها ، فهي عنده غذاء وكساء ، وهي حياته في هذه الصحراء . وقد تعاقب على وصفها كثير من الشعراء .^١ منهم **الحطيئة** الذي يصف ناقته بالسرعة والصلابة ، ومسابقة الإبل الأخرى ، التي إذا حاولت سباقها تصاب بداء الربو العضال الذي لا شفاء منه فيقول :

فهل تُبَلِّغُنْكَهَا عِرْمِسٌ صَمُوتُ السَّرَى لَا تَشْكِي الْكَلَالَا^٢
مَفْرَجَةَ الضَّبَعِ مَوَارَا^٣ تَخْذُ الْإِكَامِ وَتَنْفِي النَّقَالَا^٤

بدأ في وصفه لناقته التي امتطأها لادراك صاحبته فيقول: أنها سريعة السير قوية كأنها صخرة صموت فهي لا ترغو ولا تزبد ولا تصيح لصبرها وكرمها .ايضا وصفها بسرعة الحركة وشدة النشاط ؛ لأنها مفرجة العضدين . فإذا سارت يتطاير صغار الحجار والحصى من تحت رجليها عند شقها للجبال . وإذا سايرنها النوق وحاولن الالتحاق بها لم تقدر على ذلك ، وإنما تصاب بمرض الربو الذي لا شفاء له . فإذا غضبت يخرج الزبد من فمها ، فتراه وتحس به كأنه قطع من القطن والكتان وهو متساقط من مشفريها . فيقول :

إِذَا مَا النَّوَاعِجُ وَآكَبْنَهَا جَشَمْنَ مِنَ السَّيْرِ رَبَّوًّا عُضَالَا
وَإِنْ غَضِبْتَ خَلْتَ بِالْمَشْفَرِينَ سَبَائِخَ قُطْنٍ وَبِرْسَانُسَالَا
وَيَحْدُو يَدَيْهَا زُحُولَ الْحَصَى أَمْرَهُمَا الْعَصْبُ مَرَا شَمَالَا^٤

فيقول : مع أنها هذيلة وضعيفة ، لكن لها من النشاط قوة ، مثل حمار الوحش الذي يسوق أمامه الأتن ، فيكون مسرعا خلفها . فهي تطير الحصى إلى أن يصل الظلال البعيدة في أحفاف الرمال التي تكون بها الظباء في وقت الهاجرة . فهي

^١ لجنة من أدباء الأقطار العربية ، الوصف ، دار المعارف - القاهرة ، [١٩٦ -] ، ص ١٧ .

^٢ - العرمس: الناقة الصلبة الشديدة شبهت بالصخرة ، السرى : السير ليلاً ، الكلال : التعب .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٨ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٧٨ .

ترى ما توارى عنها من الأرض ؛ لأن لها عينين مثل المرأة المصقولة وذلك فى قوله :

و تُحْصِفُ بَعْدَ اضْطِرَابِ النَّسُوعِ كما أَحْصَفَ الْعَلْجُ يَحْدُو الْحِيَالَا^١
تُطِيرُ الْحَصَى بَعْرِى الْمَنَسِيمِينَ إذا الحاقفات ألفن الظلالا^٢
و تَرْمِي الْعُيُوبَ بِمَاوَيْتَيْنِ أُحْدِثْنَا بَعْدَ صَقْلِ صِقَالَا^٣

هذه الناقة " اهتم الشعراء بوصفها واستأثرت بحبهم ، لأنها الحيوان المناسب للحياة فى الصحراء لتحملها وعورتها ومقاومة ظروفها ، لذلك كثر ذكرها فى الشعر حتى لا تكاد تخلو قصيدة من ذلك^٤ وخاصة قصيدة الشماخ عندما وصف ناقته التى امتطى على ظهرها ، فمر بالأماكن التى كانت تسكنها محبوبته سليمة ، وكذلك المرتفعات العالية والأودية ، ثم عزمه على الوصول إلى المكان الذى رحلت إليه فقال :

وَعَوَّاءَ مَجْدَامٍ وَأَمْرَ صَرِيمَةٍ تَرَكَتُ بِهَا الشُّكَّ الَّذِي هُوَ عَاجِزٌ^٥

عزم الشماخ على أمر وصوله إلى محبوبته ، فامتطى ناقته الهزيلة المنحنية ، وهذا الانحناء يدل على شدة نشاطها فى السير ، تاركاً وراءه كل شك يرتابه ويكون حاجزاً له فوصفها " بعدما بكى الديار وتوجع من الدهر ، فالتحول إلى الناقة لم يكن هينا ، لكن الشعراء توسلوا إليه بالحزن ، والحب والفرار من الديار إلى اللحاق بالأحباب الراحلين والضيق بالدهر والرغبة فى رؤية الممدوح^٦.

^١ - وتحصف : تسرع ، العالج : الحمار الوحشي ، الحيال ، الواحدة حائل : أراد الأتن الوحشية.
^٢ المنسمان ، الواحد منسم : طرف خف البعير ، وأراد بغراها : عظامهما الصغيرة المجوفة . الحاقفات ، الواحدة حاقفة : الظبية تألف أحقاف الرمال .
^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٨ .
^٤ أحمد محمد الحوفي ، أغاني الطبيعة فى الشعر الجاهلي ، مكتبة النهضة - مصر ، مطبعة الرسالة ، (بدون تاريخ) ص ٧٩ .
^٥ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٢ .
^٦ وهب رومية ، الرحلة فى القصيدة الجاهلية ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ١٧ .

خاصة إذا حملته الإبل وهو في داخل الهودج خارجة به من الحي مبكرة ، كما قال عمرو بن أحمـر في قصيدته :

مَنْ لِلنَّوَاعِجِ تَنْزُورُ فِي أَرْمَتِهَا ، أَمْ لِلتَّنَائِي حُمُولُ الْحَيِّ قَدْ بَكَرُوا
كَأَنَّهَا بَنَقَا الْعَزَافِ قَارِبُهُ ، لَمَا انْطَوَى نَيْهَا وَاخْرَوَطَ الشَّفَرُ^١

يقول عمرو بن أحمـر : من لهذه الأبل البيض إذا أنا كبرت وهرمت ، ومن لها إذا حملت الهودج وداخلها أهل الحي وأرادو الرحيل بها في الصباح الباكر ، من لها ؟ ثم وصف هذه الإبل بأنها كلما بعد بها السفر أصبحت مثل الرمال المحدودة بين الجبال .

قد رأينا وصف النوق والإبل على السنة أصحاب المشوبات وكيف كان وصفهم لها في مشوباتهم ، حيث أنهم وصفوها ؛ لأنهم عاشوا في البادية أو على مقربة منها ، أو لأنهم أرادوا أن يشاركوا في وصفها أو يبعثوا الحنين إلى ذكرها ، فجميعهم ذكروها وأعجبوا بها ولم يترك وصفها أحد منهم . ونختم وصف الإبل بقول تميم بن مقبل الذي لا يقل وصفا عن غيره في ناقته بالسرعة وتطاير الحصى عند عدوها قائلاً :

وَاسْتَحْمَلَ الشَّوْقَ مَنِّي عَرْمِسٌ سُرْحٌ تَخَالُ بَاغِزَهَا بِاللَّيْلِ مَجْنُونًا
تَرْمِي الْفَجَاجَ بِحَيْدَارِ الْحَصَى قُمْزًا فِي مِشْيَةِ سُرْحٍ خَلَطَ أَفَانِينَا
تَرْمِي بِهِ ، وَهِيَ كَالْحَرْدَاءِ خَائِفَةٌ قَذَفَ الْبَنَانِ الْحَصَى بَيْنَ الْمُخَاسِينَا
كَانَتْ تَدْوِمُ إِرْقَالًا فَتَجْمَعُهُ إِلَى مَنَاقِبٍ يَدْفَعُنَ الْمَذَاعِينَا^٢
وَعَاتِقٌ شَوْحَطٍ صَمٌّ مَقَاطِعُهَا مَكْسُوءَةٌ مِنْ خِيَارِ الْوَشِيِّ تَلْوِينَا^٣
عَارَضَتْهَا بَعْنُودٍ غَيْرِ مُعْتَلَاتٍ تَرْنُ مِنْهُ مُتُونٌ حِينَ يَجْرِينَا^٤

وصف تميم بن مقبل ناقته التي تلازمه في حله وترحاله تعبر المفاوز جيئة وذهابا ، فهو لم يخرج عن وصفه للناقة عما وصفه بها الشعراء من قبله ومن بعده .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٠ .

^٢ تدوّم : تدور . الإرقال : ضرب من السير . المذاعين ، الواحدة مذعان : الناقة السهلة الانقياد .

^٣ العاتق : القوس . الشوحط : نوع من الشجر .

^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

فوصفها بالسير السريع والصلابة فى قوتها ، لها نشاط ليلي ، حتى أنك لو رأيتها تخيلتها مجنونة من شدة سرعتها . لذا فهى قوية على احتمال الأسفار ، واجتياز المسافات البعيدة فتسير سيرا سريعا وتتفنن فى سيرها بأفانين متعددة . فعندما عارضها بالقدح ، فاز على غيره ، بسبب هذه الناقة الكريمة .

وصف الفرس :

شغل الشعراء الجاهليون بوصف الخيل ، ولم يقل وصفها عن وصف الناقة ، وقلما تجد شاعراً أو قصيدة تخلو من وصف الخيل ، فإن كانت الناقة وسيلتهم الأولى فى قطع الفيافي الواسعة ، فإن الخيل لها عمل لا يقل أهمية عن النوق ، فالخيل وسيلتهم الأولى لجلب ما يفتقرون إليه فى حياتهم ، بل رمز للسيادة عندهم ، يركبونها ويحملون عليها ، ويستخدمونها فى حروبهم وغزواتهم ، أعطوها كل اهتمامهم ، كما اهتم بها من سبقهم فى العصور القديمة ؛ لذلك حظيت الخيل عند العرب بمكانة عالية ، فأكرموها ، وصانوها ، ولم تكن العرب فى الجاهلية تصون شيئاً من أموالها ولا تكرمه ، صيانتها للخيل ، وإكرامها لها ، لما كان لهم فيها من العز والجمال ، والمنعة ، والقوة على عدوهم ، حتى إذا كان الرجل من العرب ليبيت طاوياً ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده ، فيسقيه المحض ويشربون الماء القراح .^١ وعندما يصف الفرس " يختار له الضخامة ، والقوة والصلابة ، والسرعة ، ويختار لوصف ذلك صوراً من الحياة التى يراها والادوات التى يصبح عليها ويمسي ، فهو كالصخرة المتحدرة مع السيل ، وهو فى صوته كالمرجل حين يغلي ، وساقاه كالنعامة ، يشبهه حيناً بالثعلب وحيناً بالذئب " .^٢

فوصف النابغة فرسه بقلة لحم العجز ، وعظمة الصدر ، وسرعته ووضوحه من بين الخيل ، وقدرته على خوض المعارك ، وحمل السلاح عليه ، ويشبهه بالصقر القليل الريش الثاقب النظر الذى يرى فريسته ويجب الوصول إليها فقال فى ذلك :

^١ أبو عبيدة ، الخيل ، دار المعارف العثمانية - حيدر أباد الدكن - الهند ، ١٣٥٨هـ ، ص ١ .
^٢ لجنة من أدباء الأقطار العربية ، الوصف ، ص ١٨ .

وَعَادِيَةِ سَوْمِ الْجَرَادِ شَهَدْتُهَا
شَدِيدُ قِلَاتِ الْمَرْقِقِينَ، كَأَنَّمَا
فَكَفَّلْتُهَا سَيِّدًا أَزَلَّ مُصَدِّرًا
بِهِ نَفَسٌ، أَوْ قَدْ أَرَادَ لِيْزْفِرًا
وَيُعَلِي وَجِيفُ الْأَرْبَعِ السَّوْدِ لِحْمَهُ
كَمَا بَنَى التَّابُوتُ أَحْزَمَ مُجْفَرًا^١

وصف النابغة فرسه بقلة لحم العجز وعظمة الصدر ، توجد به نقرات فى عضوه
يصدر نفسا عاليا عندما يريد أن يسهل . ووصفه بأنه مثل التابوت المتسع عندما
يضرب الأرض بقوائمه الأربع ، ثم يقول مع أنه نقص منه العلف والشعير
ليضم ، ولكنه لم ينقص منه شىء فى قوته حتى خوضه فى الغارات لم يضعفه
فقال :

فَلَمَّا أَتَى لَا يُنْقِصُ الْقَوْدُ لَحْمَهُ نَقَّصْتُ الْمَدِيدَ وَالشَّعِيرَ لِيَضْمُرًا^٢

يمضي فى وصف فرسه الذى يتقدم الخيل بظهوره وصعوده على الأرض
المرتفعة ، فيعرفه أثناء الجري باسمه ويدفعه إلى المعركة ، فيصبح كأنه صقر قل
ريشه ثاقب النظر نحو فريسته فيقول :

وَكَانَ أَمَامَ الْقَوْمِ مِنْهُمْ طَلِيْعَةٌ،
وَنَهْنَهُتُهُ حَتَّى لَبَسَتْ مَفَاضَةً
وَجَمَعْتُ بَزِي فَوْقَهُ، وَدَفَعْتُهُ
وَعَرَفْتُهُ فِي شِدَّةِ الْجَرِيِّ بِاسْمِهِ
فَظَلَّ يُجَارِيهِمْ كَأَنَّ هُوِيَّةً
فَأَرْبَى يَفَاعًا مِنْ بَعِيدٍ، فَبَشَّرَا^٣
مُضَاعَفَةً كَالنَّهْيِ رِيْحًا، وَأَمَطْرَا
وَنَأْنَأْتُ مِنْهُ خَشْيَةً أَنْ يُكْسِرَا
وَأَسْلَيْتُهُ حَتَّى أَرَاخَ وَأَبْصَرَا
هُوِيٌّ قَطَامِيٍّ مِنَ الطَّيْرِ أَمْعَرَا^٤

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٠ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦١ .

^٣ أربى : أمل ، أخذ أكثر مما أعطى ، اليفاع : كل ما ارتفع من الأرض .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٦١ .

هذا الفرس له عنق ورجلان بعيدتين من بعض ؛ لعظم صدره ، وله بطن كظهر الترس ، فإذا أبعده عن الطعام أربع ليالي ، يصبح خالي بلا بطن فيصوت من حلقه كما قال :

لَهُ عُنُقٌ فِي كَاهِلٍ غَيْرِ جَانِبٍ وَلَجَّ بِأَخْبِيئِهِ وَنَحَى مُدْبِرًا
وَبَطْنٌ كَظَهْرِ التَّرْسِ لَوْ شُلُّ أَرْبَعًا لِأَصْبَحَ صِفْرًا بَطْنُهُ مَا تَجَرَّجَرَا^١

هذا الفرس الكريم الأصيل تحدث الشعراء عنه كثيرا وعنوا به عناية كاملة ووصفوا حركاته ، ومثلوا هيئاته ، وأشاروا لعاداته إشارات كثيرة ، تظهر في أحاديثهم وقصائدهم ، فتكلموا عنه ، فوصفوا شكله وأعضائه وطبائعه ، ورسوموا لنا من خلال أحاديثهم سلوكه وعاداته^٢. فتميم بن مقبل واحد منهم يقول :

وَمُقَرَّبَاتٍ عَنَاجِيحًا مُطَهَّمَةً مِنْ آلِ أَعُوجٍ مَلْحُوفًا وَمَلْبُونًا
إِذَا تَجَاوَيْنَ صَعْدَانَ الصَّهِيلِ إِلَى صُلْبِ الشُّؤُونِ ، وَلَمْ تَصْهَلْ بَرَانِينَا^٣

وصف تميم فرسه ، ووصف الخيول العربية بأنها كريمة ، وجميلة ، وحسنة الشكل ، وهى خيول عربية . وقال عن فرسه : أنه ملحوف : (ملبس بما تلبسه الخيول) ، وملبون : (مسقي اللبن) ، وهو من آل أعوج وهو الفحل الذى تنسب إليه الخيول الأعوجية ، التى إذا وصلت صهلت بأعلى صوتها ، ولم تصهل مثلها الخيول التركية .

وصف الفرس فى المشوبات نجده قليل جدا فى قصيدة النابغة وتميم العامري فقط

^١ المصدر نفسه ، ص ٣٦١ .

^٢ بدوي طبانة ، دراسة نقدية وتاريخية فى عيون الشعر الجاهلي - معلقات العرب ، دار الثقافة - بيروت - لبنان ، ١٩٦٧م ، ص ٣٠٥ .

^٣ أبي زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٤٠٠ .

وصف الأتن الوحشية :

الحمار الوحشي لا يستطيع القتال كالثور ، إذ ليس له قرنان يزود بهما كقرني الثور الوحشي ، لكن مع ذلك له سلاحين يقومان مقام الروقين ، ويغنيان غناءهما في كثير من الأحيان ، هما الحذر والهرب . والصائد من جهة أخرى ليس في حاجة إلى أن يعد لهذا اللقاء كلابا ضارية مدربة على الصيد والقتال ، بل يتذرع بالتربص ويرمي عن قوسه من بعيد كأنه القدر الخفي . ويبين الناقد جانبي الصورة البارزين في الصراع بين حمار الوحش والصيد ، فالحمار يلزم جانب الحذر ، والصائد متربص منتهاز للفرصة ، ويقف القدر بالمرصاد بين حذر الأول ، وتربص الثاني ، فتطيش سهام الصائد ، وينجو الحمار ، في لقاء خاطف سريع بين الحياة والموت دون أن يظفر الحمار وأتته بالرّي من المنهل العذب المتاح بعد جهد جهيد من القيظ والظمأ .

كما يوضح الناقد الصورة التي يكون عليها الحمار الوحشي والصيد ، كما يرى أن الشاعر في رسمه لحمر الوحش ، وكأنه يقدم صورة لمجتمع قبلي منظم ، في مقابل صورة البطل الفردي الذي يرمز إليه الثور .^١ فيلح على بيان تفاصيل الصورة متابعاً الحمار لحظة بلحظة فيقول : " لذلك يعايش الشاعر - في صورته حمار الوحش أكثر مما يعايش الثور ويرسمه في لحظات آمنه بين سربه مليئاً بالحياة والقوة ومعان السيطرة ، ويتابعه لحظة بعد لحظة ، وهو يسوق قطيعه إلى الماء هابطاً به القيعان حيناً ومشرفاً به الوهاد والكثبان حيناً آخر ، مستشرفاً أي الموارد " يأتي وأيها يدع ، حريصاً على ألا يشرّد من القطيع أحد ، بأسلوب لا يخلو من قسوة يراد بها الخير . ويطيل الشاعر الحديث عن لحظات الحذر والترقب ، والحمر تقدم رجلاً وتؤخر أخرى قبل أن ترد الماء ، على ما بها من شدة الظمأ ، كما يصف تحفز الصائد ولهفته وانتظاره اللحظة المناسبة ، وندمه إذ يخطئ رميته ، وإذ يراها تفر مذعورة إلى حيث الأمن والنجاة .^٢ وهذه الأتن هي نفسها أتن الشماخ بن ضرار التي نضعها في ثلاث مشاهد .

١ - أنظر ، عبد الحميد القط ، عبدالقادر القط والنقد العربي ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط ١ ، ١٩٨٩ م ، ص ١٩٢ .

٢ المصدر نفسه ، ص ١٩٣ .

المشهد الأول :

بدأ الشاعر بذكر اشتداد الحر وقلة الماء ، حيث تقف الأتن الوحشية فى أماكن مرتفعة تبحث عن مكان به ماء ، ثم تعرض لظماً الحمار والأتن وضمورهن ، ومنع الحمار لهن من الورد خوفاً من القناصة ، ثم ذكر عزم الحمار على الورد بأنته والإسراع فى سوقها إلى الماء الذى يقصده بهنّ فيقول :

وظلت بأعرافٍ كأنَّ عُيونها
لهنَّ صليلٌ ينتظرنَ قضاءه
فلما رأينَ الوردَ منه صريمةً
فلما رأى الإظلامَ بادره به
ويممها فى بطنٍ غابٍ وحائر
وإلى الشمسِ ، هل تدنو ركيُّ النواكيزُ
بضاحي عذاةٍ أمره فهو ضامزُ
قصينٍ ولاقاهنَّ خيلٌ محاوزُ^١
كما بادرَ الخصمُ اللجوجُ المحافزُ
ومنْ دُونها مِنْ رَحْرَحانِ المفاوزِ^٢

المشهد الثاني :

ذكره للصايد المتربص فى مكان الورد ، منتهزاً للفرصة ، متخفياً فى قتراته المتنوعة ذات الألوان الزاهية التى تشبه هودج النساء . يلاحظ الصايد الأتن من على البعد ويكون فى استعداد وتلهف لهذه اللحظة فيظل فرحاً ، نراه ينظر لها من بعيد هل وصلت للماء ، ثم يختفي لكي لا تراه فتفر مذعورة . وفجأة تقترب من المورد فيرمي سهامه فتطيش ، وينجو الحمار وأنته فى سرعة لا يقدر الصايد على اللحاق بها فيقول :

عليها الدجى المستنشآت كأنها
وصدت صدوداً عن شريعة عثلب
ولو ثقفاها ضرجت بدمائها
وحلأها عن ذى الأراكة عامر^٣
هوادجٌ مشدودٌ عليها الجزائزُ
ولابني عياذٍ فى الصدورِ حزائز^٤
كما جُللت نضو القرام الرجائز^٥
أخو الخضرِ يرمى حيث تكوى النواحر^٥

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٢ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٢ .

^٣ الشريعة : مورد الماء . عثلب ، بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح اللام ، وآخره باء موحده : اسم ماء لغطفان أبناء عياذ : لعطما صيادان . الحزائز ، الواحده حزازة : الغيظ فى الصدر .

^٤ ثقفاها : صادفاها . النضو : الخفيف . القرام : الستر الأحمر . الرجائز : مراكب النساء .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٨٣ .

المشهد الثالث :

يذكر إسراع الحمار إلى سوقهنّ عندما يسمع رمي القوس . واسراعه في الجري واستقامته في العدو بهنّ ، واشتداده في حثنّ على الجري بما يصيبهنّ به من العض ، وعدم مفارقتة لأدبارهنّ وكذلك نهيقه بصوته العالي هنا لا يريد إخافتها ، بل خوفاً عليها ، وحتى لا تتأخر إحداهنّ عن القطيع وفرائصهن تترعد خوفاً فيقول:

فَلَمَّا رَأَى الْمَاءَ قَدْ حَالَ دُونَهُ	ذُعَافٌ عَلَى جَنْبِ الشَّرِيعَةِ كَارِزٌ
رَكِبْنَ الذَّنَابِي فَاتَّبَعْنَ بِهِ الْهُوَى	كَمَا تَابَعَتْ شَدَّ الْعَنَانَ الْخَوَارِزُ
فَلَمَّا دَعَاهَا مِنْ أَبَاطِحِ وَأَسْطِ	دَوَائِرٍ لَمْ تَضْرِبْ عَلَيْهَا الْجَرَامِزُ ^١
حَذَاهَا مِنَ الصَّيْدَاءِ نَعْلًا طَرِاقُهَا	حَوَامِي الْكُرَاعِ الْمُؤِيدَاتِ الْعَشَاوِزُ ^٢
تَوَجَّسْنَ وَاسْتَيْقَنَ أَنْ لَيْسَ حَاضِرًا	عَلَى الْمَاءِ إِلَّا الْمُقْعَدَاتِ الْقَوَافِزُ
يَلْهَنَ بِمَدْرَانَ مِنَ اللَّيْلِ مَوْهِنًا	عَلَى عَجَلٍ وَلِلْفَرِيصِ هَزَاهِزُ ^٣
وَرَوَّحَهَا فِي الْمَوْرِ مَوْرَ حَمَامَةٍ	عَلَى كُلِّ إِجْرِيَّائِهَا وَهُوَ أَبِزُ
يُكَلِّفُهَا أَقْصَى مَدَاهُ إِذَا التَّوَى	بِهَا الْوَرْدُ وَاعْوَجَّتْ عَلَيْهَا الْمَفَاوِزُ
حَذَاهَا بَرَجْعٍ مِنْ نَهَيْقٍ كَأَنَّهُ	لَمَّا رَدَّ لِحْيَيْهِ مِنَ الْجَوْفِ رَاجِزُ
مُحَامٍ عَلَى رَوْعَاتِهَا لَا يَرُوعُهَا	خُمَالٌ وَلَا سَاعِي الرَّمَاةِ الْمُنَاهِزُ ^٤

ثم يصور قلق الحمار وهمومه ، ومشاعر الأتن ونوازعها فقد تغلغل في نفسية هذه الحمر ، وإبراز عواطفها ومشاعرها في هذا الموقف . فعندما قال :

فَلَمَّا رَأَى الْإِظْلَامُ بَادِرَهَا بِهِ كَمَا بَادَرَ الْخَصْمُ اللَّجُوجُ الْمَحَافِزُ^٥

نجده هنا كيف صور لنا الحمار وخوفه على الأتن من القناص وحرصه على ألا يرد بهنّ الماء إلا إذا أجنّ الليل .

^١ المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .

^٢ حذاها : ألبسها حذاء . الصيداء : الحصى . الطراق : جلد النعل . الحوامي ، ما حول الحافر . المؤيدات : القوية . العشاوز : الغليظة .

^٣ يلهن : يتحيرن . المدران ، الوسخ ، وأراد به الماء . وللفرانص هزاز : أي فرائصهن تترعد خوفاً .

^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٣ ، ٣٨٧ .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٨٢ .

هذه الأتُن الوحشية وصفها **الشمّاخ** وأبدع في وصفها ولم يصفها غيره في المشوبات .

وصف البقرة الوحشية :

الشاعر في وصفه للثور مدفوعا باعجابه بناقته وما تتسم به من قوة ونشاط على السير ، فيشبهها به ، ولكن ما يلبث أن ينسى ناقته ويستغرق في وصف الثور مقدا له بصورة كأنّها مثال للكمال ، وقد يعود في نهاية الوصف إلى الإشارة السريعة إلى ناقته ، أو يتجاوزها إلى غيرها من جوانب القصيدة . أما الصورة التي يقدمها للثور فتصوره منفردا في مرعاه حتى يضطره الليل والمطر إلى الإحتماء بشجر الأرتى حتى يسفر الصباح ، ويمضي معه في حركته متابعا إياه حتى يعترضه الصياد وكلابه ، فتدور رحي معركة ينتصر فيها الثور مستخدما سلاحه الطبيعي ممثلا في قرنيه النافذين ، مدفوعا إلى الفوز والنضال بحب الحياة والحرص عليها ، ويترك خلفه الكلاب صرعى ، والصياد حزينا بينما يمضي هو فرحا بما أصاب من نجاة .¹

فيصور لنا هذا المشهد ، **النايعة الجعدي** في وصفه للبقرة الوحشية التي ذهبت للرعى وتركت جؤذرها نائم في موضع ما ، فانقضى عليه الذئب وأكله ولم يترك غير أشلاه الممزقة .

قصة البقرة الوحشية وأكل الذئب لولدها جعلها **النايعة** في ثلاثة مشاهد :

المشهد الأول :

بقرة الوحش تنيم جؤذرها في مكان ما ، فيداهمه ذئب أسود اللون ، متساقط الشعر أخبث ما تكون الذئاب ، وهو يجمع صفات البؤس ، وشحوب اللون والجرأة ، وشدة الفتك ، طويل الظهر ، بارز عروق ظاهر الكف ، يتألم من شدة الجوع ، عظيم الفم كشق العصا ، فيفترس الجؤذر ويمزقه بأنيابيه ومخالبه ، وكلما تحركت قائمة من قوائمه غمز بطنه وعضه ، فلا يزال يفعل ذلك حتى تسكن

¹ عبد الحميد القط ، عبدالقادر القط والنقد العربي ، ص ١٩٢ .

حركته ويموت " ولا عجب فى ذلك فهو قد جمع لهذا الذئب صفات رهيبية وحشية
فيقول :

كَمُرْقَدَةٍ فَرَدِّ مِنَ الْوَحْشِ حُرَّةٍ أَنَامَتْ بِذِي الذَّبَّيْنِ بِالصَّيْفِ جُوذُرَا
فَأَمْسَى عَلَيْهِ أَطْلَسَ اللَّوْنِ شَاحِيَاً شَحِيحًا تُسَمِّيهِ النَّبَاطِيَّ، نَهْسِرَا
طَوِيلُ الْقَرَا، عَارِي الْأَشَاجِعِ، مَارِدٌ كَشَقَّ الْعَصَا فُوهُ، إِذَا مَا تَضَوَّرَا
فَبَاتَ يُذَكِّيهِ بِغَيْرِ حَادِدَةٍ أَخُو قَنْصٍ يُمْسِي وَيُصْبِحُ مُقْفِرَا^٢

فى المشهد الثانى :

تعود البقرة مسرعة ، لا تلوي على شئ وقد استيقظ فى احشائها خوفها من القدر ،
وهو خوف كامن فى أعماقها ، فتبحث عن صغيرها فى آخر مكان تركته فيه ،
لتجد أشلاءه الممزقة ، فهنا دمه ما يزال طريا ، وهناك جلده الممزق ، وخده
الموشى ، وهناك قرناه ، فيزداد حزنها وتضيق من هول الصدمة ، لتطوف على
وجهها تشفق وتجار بصوت محزون مجروح تارة ، وتتمرغ بالرمل اللين بمفردها
تارة أخرى ، وتجد الدفء فى أصل أرطاة تحفر كناسا لها ، تقضي فيه ليلها من
برد ووحشة ، ورمال تذرؤها الرياح . ولكن الشاعر المتعاطف معها ، لم ينسى
وهو يرسم لها صورة حزينة ، أن يسبغ عليها مسحة من الجمال – الذى –
سيصبح نقمة فى تضاد عجيب ، يمثل الجانب الآخر لحزنها وأسائها ، فكأن الدنيا
بوجهيها المشرق والمظلم ، قد تمثلت فى البقرة بمظهرها الخارجى ونفسها
الداخلية فيقول :

فَلَاقَتْ بَيَانًا عِنْدَ أَوَّلِ مَرَبَضٍ إِهَابًا، وَمَعْبُوطًا مِنَ الْجَوْفِ أَحْمَرَا^٣
وَوَجْهًا كَبْرُقُوعِ الْفَتَاةِ مُلْمَعًا، وَرَوَقَيْنِ لَمَّا يَعْدُوا أَنْ تَقْمَرَا^٤

^١ ابن قتيبة ، المعاني الكبير ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد - الدكن ، الهند ، ١٩٤٩م ، ج ١ ص ١٨٤ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٩ .

^٣ البيان : اليقين . الإهاب : الجلد . المعبوط : الدم .

^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٩ .

المشهد الثالث :

وبعد أن أثار تلالؤ الندى وأنفراطه على قرنيها – وهو يلمع كالشعري حين تشرق الشمس – غزيرة ، هذا الثور الذي لا يحس بما تحس به البقرة ، ولا أمامه سوى رغبته فيها ، تبدأ رحلة الثور لضرابها ، فهي همته ومبتغاه ، وقد أعمته غريزته عن رؤية همومها والاحساس بمصابها ، فيبربر بأصوات خاصة ، والشهوة الجامحة تتدفق فيه ، مباحيا بقواها أمام الأنثى ، فينفض رأسه كبرا وتيها ، فهو دقيق القوائم ، سابع ممتلئ الجسم ، وافر القوة ، غير أنه لم يصادف لدى الأنثى هوى ، بل كان إليها كالذئب الذي افترس بكرها ، كراهية وسخطا ، بل أقبح وأفحش ، فانطلقت البقرة ، لتقر من هذا الثور ، راغبة عنه غير أن فحولته تأبى ذلك وتستبد به الرغبة ، فيتبعها للضراب بما تيسر ، ساعيا لنيلها بدون رضاها ، جاعلا خلفية الصورة مرعى خصيبا عجيبا تجري عليه الأحداث^١ . وذلك فى قوله:

فَلَمَّا سَقَاها اليأسَ وَارتَدَّ هُمُّها إليها، ولم يترك لها مُتَأخِّرا
أُتِيحَ لها فَرْدٌ خَلا بَينَ عالِجِ وَبَينَ حِبالِ الرَمَلِ في الصَّيْفِ أَشْهُرا
كسا دَفْعَ رِجْلَيْها صَفِيحَةَ وَجْهِه إذا انجَرَدَتْ، نَبَتَ الخِزَامى المُنورَ
وَوَلَّتْ بِهِ رُوحُ خِفافٍ، كَأَنَّها خَداريفُ تُزجى ساطِعَ اللُّونِ أَغبرا
كَأصدافِ هِنديينَ صُهبِ لِحاؤِها، يَبيعونَ في دارينَ مِسْكَاً وَعَنَبَرا
فَباتتْ ثَلاثاً بَينَ يَومٍ وَلَيلَةٍ، بَكَرَ البُكورِ أن يَُضافَ وَيُجَبَرا
وَباتتْ كَأَنَّ كَشْحَ لها طَيِّ رِيطَةٍ، إلى راجِحِ من ظاهِرِ الرَمَلِ أَعَفرا
تَلالُأُ كالشَّعري العَبورِ، تَوَقَّدتْ، وَكانَ عِماءَ دونَها فَتَحَسَّرا^٢

وقد نفذ الشاعر فى هذه الأبيات إلى نفسية الحيوان وغرائزه وشهواته . والنايغة وإن كان يتفق مع باقي الشعراء فى شخوص القصة : " البقرة الوحشية ، وجوذرها ، والذئب " ، إلا أنه يختلف معهم فى كلاب الصيادين ، ليحل مكانها

^١ رسالة ماجستير : إعداد الطالب : سميح مصطفى محمود اعرج ، اشراف الدكتور : بابكر البدوي دشين ، مكتبة جامعة ام درمان الإسلامية ، غير منشورة ، ١٩٩٥م - ١٩٩٦م ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .
^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

الثور الوحشي بغريزة النوع فيه . ويمكن القول بأن هذا اللون جديد فى الشعر الجاهلي ، فخرج بالصورة التقليدية عما اعتاده الشعراء قبله . لأنّ الجاهلي " لم يتصدى لوصف البقرة الوحشية كغاية مباشرة بل استطرد إليها فى إظهار قوة فرسه وسرعته وقد ألمّ بها ... وهؤلاء يجتمعون على بعض المعاني ويختلفون ببعضها الآخر ، لكنهم يتفقون جميعا فى إظهار قوة البقرة الوحشية ، وسرعة عدوها وضرارتها فى الدفاع عن نفسها . ولقد وقعوا الحوادث فى سبيل هذه الغاية متجاوزين عن وصفها وصفا جامدا تقديريا عاما ، فجعلوا يعترضونها بالصياد الذى يتأثرها بكلابه المفترسة الشرسة . والبقرة تغدو حينئذ فى ذروة شدتها وبطشها ، لأنها تدفع الموت عنها وعن أطفالها . وهذه الدربة فى توقيع الحوادث تدلنا على أن الشاعر الجاهلي ، لم يكن دائما يصدر عن البديهة فى وصفه ، بل ينظمه ويعده إعدادا محكما ليستوفي به غايته . فهو يتخير من حياة البقرة الوحشية المرحلة الحاسمة التى تقف فيها بين الحياة والموت ، تشعر بانيابه فى عجزها وادافها وسائر أنحاء جسمها ، فتسرع محاولة الهرب ، ثم ترتد لتواجه مصيرها فتطعن الكلاب بقرنها الحاد ، وتمعن فيها فتكا وتمزيقا . ويكاد لا يتخلى واحد من هؤلاء عن ذكر الصيد ."^١

وعمر بن أحمـر واحد منهم يقول فى قصيدته :

طَلُّ وَبَنَسَ عَنْهَا فَرَقْدُ خَصِرُ	مَارِيَةٌ لَوْلُؤَانُ اللَّوْنِ أَوْدَهَا
يَمْشِي الضَّرَاءُ خَفِيًّا دُونَهُ النَّظْرُ	ظَلَّتْ تُمَاجِلُ عَنْهُ عَسْعَسًا لَحِمًا
طَوْرًا وَطَوْرًا تَسْنَاهُ فَتَعْتَكِرُ ^٢	يَرَى لَهَا وَهُوَ مَسْرُورٌ بَغْفَلَتِهَا

يصف الشاعر البقرة الوحشية التى تركت صغيرها لترعى ، ثم تعود إليه لترضعه ، فرأت ذئبا يمشي متخفياً لكي لا تراه ، يريد صيده ، فأسرعت خلفه تباعده عن جؤذرها ، فمرة يجري خوفا منها ، ومرة أخرى تلم به فتعنكر معه . فكان هذا فى يوم صاف ، وظلت ترعى وتأكل إلى أن وصلت مكان رعي الغزلان وألحقت

^١ ايليا الحاوي ، فن الوصف ، ص ٢٨ .
^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٠ .

بالقطيع ، وفجأة تذكرت ولدها ، وارتدت راجعة لترضعه ، فبحثت عنه فى مكان مرتعه الذى تركته فيه ، فلم تجده ، بل وجدت عظمة رأسه عليها التراب ، فعند ذلك أيقنت أن الذئب المفترس قد أكله فيقول :

فى يَوْمِ ظِلِّ وَأَشْبَاهِ وَصَافِيَةٍ شَهَبًا وَثُلُجٍ وَقَطَرٍ وَقَعُهُ دَرَرٌ
حتى تنَاهَى بِهِ غَيْثٌ وَلَجَّ بِهَا بِهِوَ تَلَاقَتْ بِهِ الْأَرَامُ وَالْبَقَرُ
طَافَتْ وَسَافَتْ قَلِيلًا حَوْلَ مَرْتَعِهِ حتى انْقَضَى مِنْ تَوَالِي الْفِيهَا الْوَطَرُ
فلم تَجِدْ فى سَوَادِ اللَّيْلِ رَائِحَةً إِلَّا سَمَاحِيقَ مِمَّا أَحْرَزَ الْعَفَرُ
ثم أَرَعَتْ فى سَوَادِ اللَّيْلِ وَادَّكَّرَتْ وقد تَمَزَّغَ صَادٍ لَحْمُهُ دَفِيرٌ^١

ثم أسرع وتابتعدت عن هذا المكان كبرق الليل ، فعندما تسرع بالهروب يتطاير منها الندى عن أردافها ، كتطاير الشرر من النار ، ففى أثناء هروبها وسرعتها ، إذا سمعت وقع حافر الفرس تنفر منه ، ويخيل لها أنها سمعت صخرة ملساء وقعت على الأرض من جبل عال فقال :

ثم اسْتَمَرَّتْ كَبْرَقَ اللَّيْلِ وَانْحَسَرَتْ عنها الشَّقَائِقُ مِنْ نَبْهَانٍ وَالظَّفَرُ
تَطَايَحَ الطَّلُّ عَنْ أَرْدَافِهَا صُعْدًا كما تَطَايَحَ عَنْ مَامُوسَةَ الشَّرَرُ
كَأَنَّما تَلِكْ لَمَّا أَنْ دَنَتْ أُصْلًا مِنْ رَحْرَحَانٍ وَفِي أَعْطَافِهَا زَوَرُ
حتى إِذَا كَرَبَتْ وَاللَّيْلُ يُطَلِّبُهَا أَيْدِي الرِّكَايَا عَنِ اللَّعْبَاءِ تَتَّحِدِرُ
حَطَّتْ وَلَوْ عَلِمَتْ عِلْمِي لَمَّا عَزَفَتْ حتى تَلَّيْنِ وَاهٍ كَرُّهَا بَسْرُ
شَيْخِ شَمُوسٍ إِذَا مَا عَزَّ صَاحِبُهُ شَهْمٌ وَأَسْمَرٌ مَحْبُوكٌ لَهُ عُذْرُ
كَأَنَّ وَقَعْتَهُ لَوْ دَانَ مَرْفُقُهَا وَقَعُ الصَّفَا بِأَدِيمٍ وَقَعُهُ تَنْرُ
حَنَّتْ قُلُوصِي إِلَى بَابُوسِيهَا جَزَعًا فما حَنِينُكَ أُمَّ مَا أَنْتِ وَالذِّكْرُ
إِخَالَهَا سَمِعَتْ عَزْفًا فَتَحْسِبُهُ إِهَابَةَ الْقَسْرِ لَيْلًا حِينَ يَنْتَشِرُ^٢

^١ المصدر نفسه ، ص ٣٩٠ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٠ - ٣٩٢ .

تصوير لقاء الحياة والموت في الصحراء يتمثل في غدر فاجع ، يغتال الصغار الضعاف في غفلة أمهاتهم " هذا التصوير مثل الأم المفجوعة بموت ابنها ، وكأنّ هذا يدل على أن الموت يأتي في غفلة ، فيفترس أحدهم دون أن يستطيع شخص لذلك دفعا ، والموت متربص في كل حين لا مفر ولا مهرب . ولا ينسى الناقد أن يشير إلى أن الشعراء الجاهليين قد اولعوا بتصوير تلك الأمومة المفجوعة " ^١ .
البقرة الوحشية وصفها لنا النابغة وكذلك عمرو بن أحمر في منتهى الجمال والروعة .

وصف الذئب:

وقد وصف الجاهليون الذئب كما وصفوا غيره من حيوانات الفلاة ، فرسموه طريدا ، شريدا ، جائعا ، يائسا بئسا ^٢ . فوصف النابغة الذئب المفترس ، طويل العنق ، المارد ، الذي يتلوى من الجوع . فقال :

فَأَمْسَى عَلَيْهِ أَطْلَسَ اللَّوْنِ شَاحِيًا شَحِيحًا تُسَمِّيهِ النَّبَاطِيَّ، نَهْسِرًا
طَوِيلُ الْقَرَا، عَارِي الْأَشَاجِعِ، مَارِدٌ كَشَقَّ الْعَصَا فُوهُ، إِذَا مَا تَضَوَّرَا
فَبَاتَ يُذَكِّيهِ بِغَيْرِ حَادِدَةٍ أَخُو قَنْصٍ يُمْسِي وَيُصْبِحُ مُقْفِرًا ^٣

يصف النابغة الذئب الذي فاتح فاه ، بخيلا بصيده ، طويل العنق ، ظاهر عروق الكف ، مارد ، فإذا جاع تلوى وفتح فاه كأنه مشقوق بعصا . فمع ضعف جسده ، وتلويه منه ، ينقض على جوذر البقرة الوحشية ويزبحه من غير آلة . ثم يأكله منفردا به ، بخيلا على غيره ، مثل كلب القنيص .

هذا الذئب أنفرد بوصفه النابغة ، ولم يتطرق له غيره من شعراء المشوبات في مشوباتهم .

^١ عبد الحميد القط ، عبدالقادر القط والنقد العربي ، ص ١٩٩ .

^٢ لجنة من أدباء الأقطار العربية ، الوصف ، ص ٣٦ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٩ .

وصف الخمر :

إن العربي كان في حياته الجاهلية في صراع دائم ونضال مستمر ، طورا يقف للطبيعة القاسية ، وطورا للعدو الغازي والمحارب المنتقم ، فكان أيامه كما يصورها شعر الجاهليين ، كانت حزينة في أكثر الأحيان . ولا بد لدفع هذا الحزن في نظره من شراب ينسيه ، وخمر تعزیه ، فيسلو الألام ، وينتعش للآمال .

ولعله يشرب الخمر ليستقبل الموت ، أو يستلهم النشاط ، فهو يعتقد أن العمر قصير ، وأن الفناء قريب منه يفجؤه في كل حين – تعدو عليه الطبيعة أو يسطو عليه العدو^١ فهي عند العرب من دواعي الفخر والفتوة ، ومن دلائل الجود^٢ .

وصف النابغة الخمر عندما تذكر أصحابه الذين كانوا معه في مجلس حاكم الحيرة وهم رجال كبار في السن ومعهم شباب ، وهؤلاء الشباب لهم وجوه جميلة ، حيث شبه وجوههم بالدنانير الجميلة المنقوش عليها . فكان حاكم الحيرة كريما قمة الكرم وجوادا عليهم في مجلسه الذي يشربون فيه الخمرة . فيقول :

يُدِيرُ عَلَيْنَا كَأْسَهُ وَشِوَاءَهُ مَنَاصِفُهُ وَالْحَضْرَمِيَّ الْمُحَبَّرَا
رَحِيقًا عِرَاقِيًّا، وَرَيْطًا شَامِيًّا، وَمُعْتَصِرًا مِنْ مِسْكِ دَارِينَ أذْفَرَا^٣

يقول النابغة في وصفه للخادم الذي يخدم الضيوف في المجلس ، أنه كان يلبس ثوباً جميلاً ومزيناً ومنقوشاً ، حاملاً كاسات الخمر ، فيقدمها لهم كاسا بعد كاس . هذه الخمرة كان يؤتى بها من العراق ، ومعها الشواء الذي كان يؤتى به من أرض الشام ، ثم يصف الخمرة في لذتها وحلاوتها ، ورائحتها النفاضة التي تشبه رائحة المسك الهندي الذي يجلب إلى البحرين ، ثم إلى مجلس حاكم الحيرة .

وصف الخمرة في المشروبات لم يتطرق لها أحد ، غير النابغة الجعدي ، ولكن النابغة عندما وصفها كان ذلك من باب الذكرى وما كان يحدث في الماضي، والتسلي بها .

^١ لجنة من أدباء الأقطار العربية ، الوصف ، ص ٣٥ .

^٢ جورج غريب ، شعر اللهو والخمر ، دار الثقافة بيروت - لبنان ، (بدون تاريخ) ، ص ١٠ .

^٣ - أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٨ .

وصف الشيب والبكاء على الشباب :

إن الحديث عن وطأة الشيب وما يتركه من ندوب غائرة فى وجدان الشاعر وحياته الراهنة ، لا ينفصل عن حديث الشاعر فيما أمضاه فى قوته وشبابه . ولذلك نجد الشيب والشباب يشكلان معا موضوعا واحدا متاخلا ، يترجم موقف الشاعر إزاء الزمن فى لحظة تألم واعتبار ، يستسلم فيها إلى استذكار محطات الماضي المفعمة بالبهجة ولذة الحياة ، هروبا إليها من فعل الزمن التزميري ، وشراسة اللحظة الراهنة ، فيجد فى ذكرياته ومغامرات شبابه متعة ولذة يقاوم بها مظاهر الوهن والشيخوخة وما يكتنفها من عجز وعدم مقدرة على تحقيق ذاته^١ . فكثير من الشعراء بكوا على شبابهم وأنشدوا فى ذلك أبيات من الشعر متحسرين على زمن الشباب الذى ولى بسرعة . فمثلا أبو العتاهية يقول :

ألا ليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما فعل المشيب^٢

فهو يتمنى أن يعود الشباب ويرجع زمانه ، ويخبره ويعلمه بما حصل له فى زمن الكبر بعد ما ظهر المشيب .

وورد ذكر الشيب فى القرآن الكريم فى عدة آيات منها :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ

بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ (أي ضعف ورق من الكبر ، " واشتعل الرأس " ،

أي إبيض شعر الرأس شيبا . يقول : عودتني الإجابة فيما مضى ولم تخيبي ،

وقيل معناه : لما دعوتني إلى الإيمان آمنت ولم اشتق بترك الإيمان)^٤ . قَالَ

تَعَالَى: ﴿ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ قيل هو الشيب .

قال الثعالبي : جاء فى الخبر أن الله سبحانه وتعالى يقول : " الشيب نوري ، أنا

^١ باديس فوغالي ، الزمان والمكان فى الشعر الجاهلي ، دار عالم الكتاب الحديث - الأردن ، ٢٠٠٨ م ، ص ١٤٧ .

^٢ - ديوان أبي العتاهية ، دار صادر - بيروت ، ١٩٦٤ م ، ج ١ ، ص ١٩ ..

^٣ - سورة مريم ، آية : ٤ ..

^٤ - البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٣ ، ص ١٨٨ .

^٥ سورة فاطر ، آية : ٣٧ .

استحي أن أعذب نوري بناري . وقال بعض البلغاء : الشيب حلية العقل وسمة الوقار ، وعنوان التجربة ، وشاهد الحنكة . وقال آخر : الشيب زبدة مخضتها الأيام ، وفضة سبكتها التجارب . وقال آخر : إذا شاب الغافل سرى فى طريق الرشد بمصاييح الشيب .^١

أما فضيلة الشيب فى قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : " من شاب شيبه فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة " .^٢ فأول من رأى الشيب إبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام) فقال : " يا رب ما هذا ؟ قال له : هذا الوقار . قال : رب زدني وقارا " . أما كبر السن ، فقد قيل لأعرابي قد أخذته السن كيف أصبحت ؟ فقال : " أصبحت تقيدني الشعرة ، وأعثر بالبعرة ، فقد أقام الدهر صعري ، بعد أن أقمت صعره . وقال : لقد كنت أنكر البيضاء ، فصرت أنكر السوداء . فيا خير مبدول ويا شر بدل " .^٣

فعن الشيب والشباب بدأ شاعرنا عمرو بن أحمر قصيدته بها فقال :

بَانَ الشَّبَابُ وَأَفْنَى ضِعْفَهُ الْعَمْرُ	لِلَّهِ دَرْكٌ أَيْ الْعَيْشِ تَنْتَظِرُ
هَلْ أَنْتَ طَالِبٌ وَتَرِ لَسْتَ مَدْرِكُهُ	أَمْ هَلْ لِقَلْبِكَ عَنِ الْأَفْهِ وَطَرُ
أَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ آيَاتٍ فَقَدْ جَعَلْتُ	آيَاتُ الْإِفْكِ بِالْوَدَّكَاءِ تَدَّيْرُ
أَمْ لَا نَزَالَ نَرْجِي عَيْشَةَ أَنْفَا	لَمْ تُرْجَ قَبْلُ وَلَمْ يُكْتَبْ بِهَا زُبْرُ
يَلْحَى عَلَى ذَاكَ أَصْحَابِي فَقَلْتُ لَهُمْ	ذَاكُمُ زَمَانٌ وَهَذَا بَعْدَهُ عَصْرُ ^٤

يقول عمرو : فات وولى زمن الشباب فماذا انتظر من العيش ؟ فيخاطب نفسه وكأنها شخص مائل بين عينيه فيسأله عن شبابه الذى ولى ولن يعود ، ماذا تنتظر أثارا ، أم صديقا ولوفاً لديك لك حاجة عنده ؟ وهل أنت مدرك ومتذكر للعلامات التى جعلتك ولوف على هذه الأماكن ؟ أم منتظر عيشة وسعادة لم يعشها أحد ،

^١ الحسن الثعالبي ، تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (بدون تاريخ) ، ج ١ ، ص ٨٢ .

^٢ ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي) ، العقد الفريد ، تحقيق : عبد المجيد الترحين ، طبع المطبعة الأزهرية - مصر ، ١٩٢٨م ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٥١ .

^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٩ .

ولا كتبت ابدا حتى فى كتاب الزبور ؟. فعندما أصحابه يكثررون ويلحون عليه بما كان فى زمن الشباب ، يرد عليهم بقوله : أنتم تحكوا عن زمن ماض وانتهى ، وأتى بعده عصر جديد .

" فهذا الابتلاء الوجودي للذات الإنسانية مصير كل حي لا مهرب ولا مفر منه ، فيه يعاني الإنسان فتنة ضياع الشباب وذهابه ، حتى يصير المرء إلى هيئة جسمية متهالكة ، أقرب شيها بالأطلال ، وإن كنا لا نخطئ فى هذا الطلل الإنسانى ملامح شخصية الإنسان التى تجسد أمارات الفتوة والقوة وطموح الآمال"^١.

وصف القوس :

لا بد من السلاح فى حياة البادية ، فهى غزو أو صيد ، يدافع به العربي عن نفسه ضد عدوه الإنسان أو الحيوان . وكان هذا السلاح معدودا ينحصر فى السيف ، والرمح ، والقوس ، والدرع ، والسهم ، والنبل ، وهى من حديد أو شجر . " وقد تعاقب الشعراء على وصفها واعتزوا بها ، فهى عدة الشجاعة ، والفخر ، ووسيلة المديح والقوة ، وقد عنى العرب بها عناية عظيمة ، فأطلقوا عليها الأسماء وأكثروا فى ذلك ، حتى كانت لهم فيها كتب كثيرة "^٢.

قصة القوس عند الشماخ نجدها فى ثلاث مشاهد :

المشهد الأول :

وصف الشماخ قوسه وقصّ فيها ما قام به القواس فى تحسس الأشجار والبحث عن صلابتها ومتانتها والتعرف على جزرها ، ويمضي يصور مكانها وصعوبة الوصول إليها من خلال هذا الغيل الكثيف الملتف الأغصان ، هذا الغصن الذى يريد أن يصنع منه قوسا وصفه بأنه مثل فتاة حسناء محتجة ، حرصوا أهلها عليها ووضعوا لها حراس يحرسونها من كل عدو ، هؤلاء الحراس يقفون حوالىها ويحرسونها ليلا ونهارا لا يغفلون عنها رافعين سلاحهم لكل من يقربها فيقول :

^١ أنظر : محمد عبد الواحد حجازي ، الأطلال فى الشعر العربي (دراسة جمالية) دار الوفاء - الإسكندرية ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ص ٢٦٥ .

^٢ لجنة من أدباء الأقطار العربية ، الوصف ، ص ٤١ .

مُطَّلَا بَزْرُق مَا يَدَاوَى رَمِيَّهَا وصفراءَ من نبع عليها الجلائزُ^١
تَخَيَّرَهَا الْقَوَاسُ مِنْ فِرْعِ ضَالَّةٍ لها شَدَبٌ مِنْ دُونِهَا وَحَزَائِرُ^١
نَمَتْ فِي مَكَانِ كَنَّهَا، فَاسْتَوَتْ بِهِ فما دونها من غيلها متلاجزُ^٢

فعدما وقع القواس على ضالته قال : هي عود صالح لأن يتخذ منه قوساً ، فبدأ بقطع الأغصان والشوك الذي حواليتها إلى أن وصل إليها بعد عناء ومشقة فوضع عليها فأسه القاطع فقطعها ، فأخذها فرحا مسرورا ثم مهد لها في الظل فراشا ، استقرت فيه عامين لتجف وتشرب ماء لحائها ، بعيدا عن أشعة الشمس المحرقة ، إشفافا عليها من أذى لهيبها المستعر . فكانت عامين في فترة تقويم للاعوجاج ، وصناعة القوس ، في وضعها على الخشبة التي تقوم بها الرماح والقصبه التي يعرف بها اعتدالها . فيقول :

فما زالَ ينجو كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ وَيَنْغَلُّ حَتَّى نَالَهَا وَهُوَ بَارِزٌ^١
فَأَنحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ، غَرَابُهَا عَدُو لَأَوْسَاطِ الْعَضَاهِ مُشَارِزٌ^٢
فَلَمَّا اطْمَأَنَّتْ فِي يَدَيْهِ رَأَى غِنَى أَحَاطَ بِهِ، وَازْوَرَ عَمَّنْ يَحَاوِزُ^٣
فَأَمْسَكَهَا عَامِينَ يَطْلُبُ دِرْأَهَا وَيَنْظُرُ مِنْهَا مَا الَّذِي هُوَ غَامِزُ^٤
أَقَامَ التَّقَافُ وَالطَّرِيدَةُ مَتْنَهَا كَمَا أُخْرِجَتْ ضِغْنُ الشَّمُوسِ الْمَهَامِزُ^٣

المشهد الثاني :

يصور الشماخ الصراع النفسي لصاحبها حين ساومه الشاري عليها بالتبر ، وبالفضة ، والعصب الموشاة ، والخز ، وثياب الخال ، ومعها جميعا جلد ماعز دبغ فأحسننت دباغته ، فيقول :

فوافى بها أهلَ المواسم، فانبرى لها بيّعٌ يُغلي بها السَّومَ رائِزُ^٤

^١ الشذب : العيدان المتفرقة . الحزاز ، جمع حزة : الفرض في العود . الغيل : الشجر الملتف . متلاجز : متضايق .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٤ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٤ .

^٤ البيع : البائع ، المشتري . السَّوم : أراد الثمن . الرائز ، من راز الدينار : وزنه ليعرف قدره ، أي اختبره .

فقال له : هل تشتريها؟! فإنها فقالوا له: بايع أخاك. ولا يكن فقال : إزار شرعبي، وأربع ثمان من الكوري، خمرة، كأنها وبردان من خال، وتسعون درهما

تباع بما بيع التلاد الحرائز لك اليوم عن ربح من البيع لاهز^١ من السيرا، أو أواق نواجز من الجمر ما أذكي على النار خبز على ذلك مقروظ من الجلد ماعز^٢

وصف الشماخ حال صانع القوس عندما صمت وأخذ يحدث نفسه ، وقد شبت بداخله حرب تضطرم ، يأخذ المال ويتخلص من البؤس ، أم يحتفظ بالقوس فهو لا يقوى على فراقها ؟ فيقول :

فظل يُناجي نفسه وأميرها أيأتي الذي يُعطى بها أم يجاوز^٣

ثم عزم على بيعها ، فلما باعها انتابته انفعالات حين فارقها وفاضت عيناه بدموع الندم وتقطعت نفسه حسرات واكتوى قلبه بجمر متقد . فيقول :

فلما شراها فاضت العين عبرة وفي الصدر حزاز من الوجد حامز^٤ لقد أبدع الشماخ في هذه القصة فكان له جمال في التصوير وروعة في الخيال .

المشهد الثالث :

أخذ المشتري الذي اشترى قوس الشماخ وجربه ، فإذا هي لينة مطواع قبل أن يغرق السهم . هذه القوس إذا جرب وترها الرامون أحدثت صوتاً مثل بكاء ونويح التلكى على الجنائز . فإذا أصابت الطبي أو الغزال عندما يرمي بالسهم فتحدث صوت ، أما إذا لم يصبه وثب وفر ، فيقول في ذلك :

^١ لاهز : صاد عن البيع .
^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٨٥ .
^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٥ .
^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .

وذاقَ..، فأعطته من اللينِ جانبا
كفى ولها أن يُغرقِ السهمَ حاجزُ
إذا أنبضَ الرامونَ عنها، ترنَّمتُ
ترنُّمُ تَكلى أوجعتها الجنائزُ
هتوفُ..، إذا ما خالطَ الطبي سهُمها!
وإن ريعَ منها أسلمته النواقرُ^١

ثم يصف لنا كيف كانت هذه الأقواس في جمالها ورونقها . ومحافظة صاحبها عليها في لبسه لها شعارا يقيها الندى ويؤثرها بجديد الثياب ضنا بها وحرصا عليها لكي لا يسقط الندى عليها ، وذلك في قوله :

إذا سقط الأنداءُ، صيَّنتُ وأشعرتُ
حَبيرا، ولم تُدرجَ عليها المعاوزُ^٢

كذلك يصفها في جمالها بعروس ليلة زفافها ، تعلوها صفرة الرهبة ، ويفوح منها شذا طيب عتيق . فيقول :

كأنَّ عليها زعفرانا تُميرُهُ
خوازنُ عَطَّارِ يمانِ كوايزُ^٣

^١ المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .
^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .
^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٦٦ .

المبحث الثاني: الغزل:

جاء في جمهرة اللغة (الغزل) مصدر غزل يغزل غزلا ، والمغزل والمغزل لغتان فصيحتان . والغزل محادثة النساء ومفاكهنّ . والتغازل محادثة الفتیان في الهوى)^١ . أما في لسان العرب فالغزل هو (حديث الفتیان والفتيات ، واللهو مع النساء ومغازلتهنّ ، ومحادثتهنّ ، ومرآودتهنّ ، ورجل غزل متغزل بالنساء . وفي المثل : هو أغزل من امرئ القيس ، والعرب تقول : أغزل من الحمى ، يريدون أنها معتادة للعليل ، متكررة عليه ، عاشقة له ، متغزلة به . غازل الأربعين دنا منها)^١ . والغزل هو الغناء العاطفي اللهيف ، الذي يصدر عن العاشق ، يعبر عن مشاعر مشتعلة ، وحنين معذب لا يهدأ ، بحيث يكون ذلك الغناء طاقة تنفيس تحقق من اصطخاب العواطف وتأزمها^٢ . وسار الغزل الجاهلي في أكثر الاتجاهات التي يمكن أن يتجه إليها الغزل في كل عصر بخطى تبدو سريعة في اتجاه آخر . وهو تفاوت لا بد منه ، اقتضته ، بل فرضته ظروف الجاهليين البيئية والاجتماعية ، وما يتصل بها من عوامل وأسباب^٣ . وقال ابن رشيق : " وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حب الغزل ، والميل إلى اللهو والنساء وإن في ذلك استدراج لما بعده^٤ ."

فمن جملة ما ذكرنا يمكننا أن نقول : إن الغزل لعب دوراً مهماً في الشعر العربي ومنذ أن دبت الحياة على الأرض سعى الرجل إلى كسب ود المرأة ورضائها ، في أساليب مختلفة . لكي يتملك قيادها ، ويتحدث إليها ويخبرها بما يلاقه ، وما يعانیه بسببها ، وحديثه هذا هو الغزل . وبعض الحكماء قال : " أول الحب العلاقة وهو شيء يحدثه النظر أو السمع ، فيخطر للبال ويعرض للفكر ، ويرتاح له القلب ثم ينمى بالطمع ، وإدمان الذكر ، ثم يقوى فيصير حبا ، ثم يصير هوى ، ثم

^١ ابن منظور ، لسان العرب ، ص ٤٩١ .

^٢ نازك الملائكة ، محاضرات في شعر علي محمود طه ، ص ٤٢ .

^٣ يوسف حسين بكار ، اتجاهات الغزل ، دار المعارف - مصر ، (بدون تاريخ) ، ص ١٣ .

^٤ ابن رشيق القيرواني ، العمدة في صناعة الشعر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة - القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٣م ، ص ٢٢٥ .

يصير خلة ، ثم عشقا ، ثم ولها ، فيسمى صاحبه مدلها ، ومستهما ، وهائما ، وحيران ، ثم يصير متيما ؛ وهو أرفع منازل الحب . لأن التتيم التعبد ، والوجد ألم الحب ، والهيمان الذهاب فى طلب غرض لا غاية له ، والكف والشغف اللهج بطلب الغرض .^١

لذا احتلت المقدمة الغزلية مكانا متميزا فى هيكل القصيدة العربية ، فجرى الشاعر العربي على أن يستهل قصيدته بمدخل غزلي يفضي به إلى غرضه الأصلي من القصيدة ، فكعب بن زهير يذكر فى قصيدته ، كيف كان حاله عندما فارقت محبوبته ، قلبه متيم وهائم بالحب ، ومأسور بهواها ، هذه الفتاة جميلة جذبتة لحبها ؛ إذ أنها مربوعة القامة وفاترة النظر ؛ أي " منكسرة الأجفان " ، لها أسنان بيضاء ناصعة إلى غير ذلك من أوصاف . وكان غرضه الاعتذار للرسول (صلى الله عليه وسلم) فيقول :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
وماسعاد غداة البين إذ رحلوا إلا
هيفاء مقبلة عجزاء مذبرة
متيم إثرها لم يفد مكبول
أغن غضيض الطرف مكحول
لا يشتكي قصر منها ولا طول^٢

بدأ كعب قصيدته كعادة الشعراء الجاهليين بالغزل ، ذكرا محبوبته وفراقها ، وكيف تركت قلبه هائما بها ومذلا بحبها وأسير هواها ، لم يقدر أحد على فكه من القيد ، إذ رحلت به واحتبسته عندها .

فجد كعبا ذكر كل محاسنها فى الغزل ووصفها كاملة من حيث الشكل والحجم والجمال ، ولم يترك حتى أخلاقها فيقول : هى فتاة حسناء ، فاتر نظرها ؛ أي " لم تنظر إلى أعلى حياء من الله " ، وغاضة للبصر . وغض البصر ورد ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

^١ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ، باب الغزل ، والنسيب والهوى ، المؤسسة المصرية العامة - القاهرة ، ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، ج ١ ، ص ١٦١ .
^٢ أبي زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٥ .

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْجُلَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ .^١

(أي يكفوها عما لا يحل لهم النظر إليه)^٢ . ثم يقول في صوتها غنة ؛ الغنة هي صوت تحبه العرب عموماً والشعراء خاصة في محبوباتهم . فهي مربوعة لا بالقصيرة ولا بالطويلة ، لها أسنان أمامية بيضاء ناصعة ، ذات بريق ولمعان ؛ لأنها مسقاة بالخمير مرة تلو الأخرى فيقول :

وَمَسْعَادُ غَدَاةِ الْبَيْنِ إِذِ رَحَلُوا إِلَّا	أَغْنُ غَضِيضِ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
هَيْفَاءُ مَقْبَلَةٌ عَجْزَاءُ مَدْبِرَةٌ	لَا يَشْتَكِي قِصْرٌ مِنْهَا وَلَا طَوْلُ
تَجَلُّو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ	كَأَنَّهُ مِنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ
شَجَّتْ بِذِي شَيْمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ	صَافٍ بِأَبْطَحٍ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ ^٣
تَنْفَى الرِّيَّاحُ الْقَدَى عَنْهُ وَأَفْرَطَةٌ	مِنْ صَوْبِ سَارِيَةٍ بَيْضِ يَعْالِيلُ ^٤

ثم يصف وعودها ويقول : ما أكرمها من صديقة ! لو صدقت وعودها أو قبلت نصحي ، لكن خلط دمها بإخلاف الوعد والكذب ، والولع ، ولا تدوم على حال ، كل مرة بحال أخرى ، ولا تفي بالعهد ، وإذا أوفت وعودها يوماً فهذا مستحيل كاستحالة وجود الماء داخل الغربال وذلك في قوله :

أَكْرَمَ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ	مَوْعُودَهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولُ
لَكِنَّا خُلَّةٌ قَدْ سَيَّطَ مِنْ دَمِهَا	فَجَعَّ وَوَلَعَّ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ
فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا	كَمَا تَلَوْنَ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ
وَلَا تَمْسِكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ	إِلَّا كَمَا يُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ ^٥

^١ سورة النور ، آية : ٣٠ .

^٢ السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين) ، الدر المنثور ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣م ، ج ٦ ، ص ١٧٦ .

^٣ شجّت : مزجت . ذو الشّيم : البارِد . الأبطح : المسيل المتسع . المشمول : الذي ضربته ريح الشمال .

^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٦٦ .

فلا تغرنك بالأمانى الفاشلة ، والوعود الكاذبة ، لأن كل أحلامها وأمانيتها تضليل ،
 فهي معتادة على الكذب وإخلاف الوعد ، حتى أصبح عرقوب مثلها الأعلى فيقول:
 ولا تَمَسِّكَ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ إلا كما يُمَسِّكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ
 فَلَا يَغُرُّنَكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ^١
 لكن نجده يقول مع أنها متصفة بالجفاء ، وابتعدت عني ، وأخلفت وعدها معي ،
 لا أقطع الرجاء من مودتها ، فأنا في انتظار حبها ومودتها . ولكن سرعان ما
 ينفي كلامه ، ويقول : ولا أحسب أن لي منك عطاء أرجوه وذلك في قوله :
 أرجو وأمل أن تَدُنُو مَوَدَّتَهَا وما إخالُ لدينا منك تَتَوِيلُ^٢

فكعب في صورته الغزلية نجد روح العشق والهيام ، في إظهار الشوق والبكاء
 على الحبيبة التي هجرته ، إلى غير ذلك من الصور التي تتضح من خلال كلماته
 (متبول ، متيم ، مكبول ...) بسبب حبه وشغفه بها . أيضا نجده كرر اسمها عدة
 مرات ، وهذا لأظهار الحزن لفراقها ، والتلذذ باسمها . فهذه المحبوبة مازالت
 "تهز قلوب الشعراء فتحرك فيهم لواعج الحب وألم البعد ، و فرحة اللقاء . فيكسبوا
 كل هذا شعرهم ذاكرين ما يلقونه من لوعة الصد ولذة الوصل وجمال الحبيبة"^٣
 فالغزل عندهم " أصدق فنون الشعر ، وهو تعبير صادق عن عاطفة صادقة ،
 وأكثر أشعار العرب وأروع قصائدهم ، ما يتصل بالمرأة ، ويصف حسناتها ،
 ويشهد بجمالها ، ويعلن الفرح بقربها ، والألم والحزن على بعدها .^٤ وهذا
القطامي يقول في قصيدته :

على منادٍ دعانا دعوةً كشفتُ عنا النعاسَ وفي أعناقنا ميلُ
 سمعتها ورعانُ الطَّوْدِ مُعْرِضَةٌ من دونها وكثيبُ الغينة السهلُ^٥

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٦ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

^٣ شفيق عبد الجبار الكمالي ، الشعر عند البدو ، ص ١٨١ .

^٤ محمد عبد المنعم خفاجي / د. صلاح الدين محمد عبد التواب ، الحياة الأدبية في الجاهلية و صدر الإسلام ،

مكتبة القدس (بدون تاريخ) ، ص ١٣٥ .

^٥ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٣ .

كان القظامي راكب على ناقته ومعه الركب ، وهم في سيرهم ، إذ أصابه النعاس ، ولم يدر بشيء ، إلا وفجأة دخلت به ناقته تحت شجر الآراك ، فحين ذاك سمع صوتاً يدعوهُ ، فلحظة هذا ذهب عنه النعاس . وفى الحقيقة لم يوجد مناد ولا أي صوت ، بل شوقه لمحبوبته خيل له إنها دعتة إليها ، فأخذ يخاطب الركب ويقول لهم : إني رأيت محبوبتي ولمحتها فى ضوء البرق .

ولكن هذه النظرة أو اللمحة لم تشفيه ، بل زادته تعباً وعذاباً فقال :

فقلتُ للركبِ لما أن علا بهمُ
من عن يمين الحُبِّيا نظرةً قَبْلُ^١
ألمحةً من سَناءِ برقِ رأى بصري
أم وجهَ عاليةً اختالتُ به الكَلَلُ^٢

ثم بدأ بالتعبير عنها وعن حبه لها بقوله : على الرغم من أن هذا الجبل العالي والمرتفعات والأشجار التى تفصل بيني وبينها ، إلا أني أشم رائحتها الطيبة ، عبر هذا الندى الذى سقط علينا وأتت به ريح الخزامي الباردة ، ثم يتمنى أن تبيت معه على فراشه وعند الصباح الباكر تسقيه خمرة عصرت من عنب أبيض بأطرافها اللينة فيقول :

تُهدِي لنا كُلَّ ما كانتُ علوتُنا
ريحَ الخُزامى جرى فيها الندى الخَصلُ
وقد أبيتُ إذا ما شئتُ مَالَ معي
على الفراشِ الضجيجُ الأغيذُ الرتَلُ^٣
وقد تُباكرني الصهباءُ ترفَعُها
إليَّ لينةً أطرافها ثَمَلُ^٤

فجدد القظامي أخبر أصحابه بما رآه ، من اللمحة ، وكذلك الرائحة التى أتته عبر الندى لسببين هما " التعبير عن عاطفة الحب لمحبوبته التى اختارها قلبه ، أو التعبير عن عاطفة إعجابه بجمالها كما يراها هو لا كما يراها غيره ، وهو بذلك يصور مشاعره وآلامه ويبين ما يختلج بقلبه ، ويتصل بنفسه"^٥.

^١ الحبيا : اسم موضع . القبل فى العينين : إقبال نظر كل من العينين على الأخرى .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٥ .

^٣ الأغيذ : الطويل العنق . الرتل : متفرق الأسنان ؛ وكلا الصفتين مستحبة فى النساء .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

^٥ يوسف الخليفة ، الأدب الجديد ، ١٩٧٠م ، ص ٨٧ .

الحطيئة استهل قصيدته بالغزل وكان غرضه طلب العفو والسماح من سيدنا عمر
(رضى الله عنه) فقال :

نَأْتِكَ أَمَامَةً إِلَّا سُؤَالَ
وَأَبْصَرْتَ مِنْهَا بَعِينَ خِيَالًا
خِيَالًا يَرُوعُكَ عِنْدَ الْمَنَامِ
وَيَأْبَى مَعَ الصُّبْحِ إِلَّا زَوَالَ
كِنَانِيَّةٌ دَارُهَا غَرَبَةٌ
تُجِدُّ وَصَالًا وَتُبْلَى وَصَالًا
كِعَاطِيَةٍ مِنْ ظَبَاءِ السَّلِيلِ
حُسَانَةَ الْجَبِيدِ تُرَعَى غَزَالًا^١

ذكر الشاعر محبوبته أمامة التي ابتعدت عنه وتركته ، فلا وصال بينهما ، وليست له قدرة على رؤيتها إلا عن طريق السؤال عنها ، وكذلك خيالها الذي يصحبه طوال الليل ، هذا الخيال الليلي يريح قلبه ويطفئ لهيب شوقه ، وترتاح نفسه من بعدها وهجرانها له . ولكن سرعان ما ينقضي الليل ويأتي الصباح ، يزول عنه ذاك الخيال ، فيظل في حيرة من أمره ، حيث أنها قطعت حبال الوصل معه . ولكن مرة أخرى تبين له وجه العزر ليزيل عنها اللوم .

نرى الحطيئة متغزلا بها ملهوبا برويتها ، يشبهها بالغزاة ذات العنق الجميل ، التي ترعى الحشائش بأنواعها ، ما كان على الأرض وما كان في فروع الأغصان المرتفعة في مكان كثر فيه النبات بألوانه وأشكاله وأنواعه المختلفة ، في طول عنقها وجمال عيونها فيقول :

تَعَاطَى الْعِضَاءَ إِذَا طَالَهَا
وَتَقَرُّوْا مِنَ النَّبْتِ أَرْضِي^٢ وَضَالًا^٣

فالشعراء تنوعوا في الغزل : فتغزلوا في المحبوب باسمه ، وكنوا عنه ، واستعاروا له ، ووصفوا أعضائه ، وشبهوه بأشياء ، فشبهوه العيون بالنرجس وأفعالها بالخمير والسهام ، وشبهوا الوجه بالشمس والقمر ، وشبهوا الخدود بالورد والتفاح ، وشبهوا الثغور بالأقحوان ، واللمي بالخمير ، والريق بالشهد ، والشفاء

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٧ .

^٢ العضاء والأرطي والضال : أنواع من الشجر .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٧٧ .

بالعقيق ، والأسنان باللؤلؤ ، وشبهوا النهود بالرُّمَّان ، والقوام بالخصون ،
والأرداف بالكتبان وغير ذلك .^١ فمن هؤلاء الشعراء نجد **تميم بن مقبل** يقول :

ومأتم كالدُّمى حورٍ مدامعُها لم تَيَّأسِ العَيْشَ أبكاراً ولا عُونَا
شمُّ مَخْضَرَةٍ صِينَتْ مُنْعَمَةً من كلِّ داءٍ بإذنِ الله يَشْفِينَا
كَأَنَّ أَعْيُنَ غِزْلَانَ إِذَا اكْتَحَلَتْ بالإثْمِدِ الجَوْنَ ، قد قرَضَتْه حِينَا^٢

يصف **تميم** النساء بأنها مثل الدمى ، وكالخور في مدامعها ، هؤلاء النسوة لم
تتأس من العيش في بداية عمرها ولا منتصفه ، ومنهنَّ محبوبة الشاعر التي
يتغزل بها ، فيقول : مخصرة ومضرة ومنعمة وما فيها داء ، وإذا أصابها داء
تشفى بأذن الله . لها عيون كالغزلان في جمالها .

فهؤلاء النسوة عندما يمشين ، يتبخترن في مشيهنَّ كأنهنَّ رمال منهالة جوانبها من
على جبل جعد التراب صب عليه المطر ، فينهال مرة ويهتز مرة أخرى ، أو مثل
أهتزاز الرمح في أيدي الرجال فزادوا مسه لينا فيقول :

كَأَنَّهُنَّ الظُّبَاءُ الأُدْمُ أَسْكَنَهَا ضالُّ بَغْرَةٍ أَوْ ضالُّ بَدَارِينَا
يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا مالتْ جَوَانِبُهُ يَنْهَالُ حِينَا وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينَا
مِنْ رَمْلِ عَرْنَانَ أَوْ مِنْ رَمْلِ أَسْنَمَةٍ جَعْدُ الثَّرَى بَاتَ فِي الأَمْطَارِ مَدْجُونَا
أَوْ كَاهْتِزَازِ رُدَيْنِيٍّ تَدَاوَلَهُ أَيَدِي الرِّجَالِ فَزَادُوا مَسَهُ لِينَا^٣

فالغزل في فترة بداية الإسلام لم يكثر الشعراء منه ورعا وحياء . وكان الغزل
في تلك الفترة ينمو في هدوء وسكينة ، لأنه أريد به التعفف والتحفظ ، والتعبير عن
تجربة صادقة وحب طاهر . فغزلهم لم يتجاوز مقدمة القصيدة ، لأن الظروف لم
تواكب الغزل ، فكانت الدعوة إلى الإسلام .

^١ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ص ١٩٦ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٨ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

فالغزل له صور عدة ، فمنها الوقوف على الأطلال التي لها أثر كبير في نفس الشاعر عندما يقف عليها ، فلا يرى إلا رسوما وبقايا تهيج ذكراه ، فيبكي ويحزن ويسكب دموعا ، لعل فيها شفاء لنفسه .

فالوقوف على الأطلال ومخاطبة الديار من أكثر الابتدآت في الشعر الجاهلي ، ولقد شاعت هذه الظاهرة عند كل الشعراء "... فما من شاعر إلا بكى الأطلال وحنّ إلى الديار ، وسكب في آثار الراحلين دموعا تروي الأرض العطشى".^١

وقد يدخل في النسب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة ، والبروق اللامعة ، والحمائم الهاتفة ، والخيالات الطائفة ، وآثار الديار العافية ، وآثار الأطلال الدائرة . وجميع ذلك إذا ذكر احتيج أن تكون فيه أدلة على عظيم الحسرة ومرمض الأسف والمنازعة.^٢ لذلك نقول لم يكن وصف الأطلال أو ذكر الديار الذي جاء به الشعر الجاهلي مجرد صور تقليدية جامدة لا حس فيها ولا حياة . قد ماتت فيها نضارة الإحساس ، وجسارة الإرادة الواعية ، ونبض القلب اللهيف .

ولكن الوقوف على الأطلال وذكر الديار في الشعر الجاهلي " دلالة إحساس صادق بالحياة في نضارتها ، ودلالة وعي فطري أصيل بالوشائج الإنسانية التي تربط الإنسان بالناس والأشياء".^٣ والشعراء الجاهليون يستهلون قصائدهم بالوقوف على الأطلال . ويعد الطلل من أهم الموضوعات التي ترد في القصيدة لعلاقته الوثيقة بإنسانية الشاعر وتنازعه مع ميوله وعواطفه وماضيه وحاضره.^٤

وقف النابغة في أطلال محبوبته واستوقف صاحبيه ساعة من نهار لتحية هذه الديار ، والأعتبار بما أصابها ، فتكلم عن الحياة بأنها قصيرة ، فإما أن يفزع المرء ، وإما أن يتأنى ويحلم فقال :

خليلي عوجا ساعةً، وتَهَجَّرَا ولوما على ما أحدثَ الدهرُ، أو ذرَا
ولا تجزعا إن الحياةَ دَمِيمَةٌ، فخفا لِرَوَعَاتِ الحوادثِ، أو قرَا^٥

^١ د. عبد الحميد المسلول ، نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي ، دار القلم - القاهرة (بدون تاريخ) ، ص ٦ ..

^٢ قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق : كامل مصطفى ، ط ٣ ، (بدون تاريخ) ج ١ ، ص ٢١ .

^٣ محمد عبد الواحد حجازي ، الأطلال في الشعر العربي ، ص ١٩٨ .

^٤ نوري حموي القيس ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، دار الكتب العلمية ، - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٥٤م ، ص ٢٥٧ .

^٥ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٧ .

وإن جاء أمرٌ لا تطيقان دفعه، فلا تجزعا مما قضى الله، واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها قليل، إذا ما الشيء ولى وأدبرا^١

في هذه الأبيات لم يطلب منهما البكاء معه على الأطلال ، بل طلب وتوسل إليهما للتوقف معه ساعة ، ثم اكتمال المسير ، وأن يخففا من لومه ، ولا يشمتا به ، إذ لا فائدة من اللوم في شئ مضى وانقضى . فبكى عليها لأن له أحبابا رحلوا عنها وخلفوا فيها ذكرياتهم . فربط الشاعر الأطلال بذكرى محبوبته ، كأنه أراد أن يثبت لهم ارتباطه بالماض الذي لم ينسأه ، لأنه " لم يكن وحده ليتفجع على ارتحال الأحبة وهجر ديارهم ، بل كان أغلب أفراد القبيلة يقعون في مثل هذه الفاجعة ، والواقع أن الشاعر الجاهلي لم يكن يصور المشاعر الفردية الخاصة في تلك الرؤيا ، وإنما كان يعيش مشاعر الآخرين من خلال ذاته ، أو مشاعره من خلال وعيه بمشاعر الآخرين .^٢

يقول **القطامي** مخاطبا الأطلال القديمة يصفها لنا ، فيخبر الطلل ويستخبره ويناجيه ويستلهمه ويتبرم إليه لكي يجيبه ، ثم يبدأ بتذكر الماضي ، فيمتد خياله إلى أيام العشق والوصل ، واقفا على تلك الديار منشدا فيقول :

إنّا مَحْيُوكُ فَاسَلِّمْ أَيُّهَا الطَّلُّ وإن بليتَ وإن طالتْ بك الطُّولُ
أنى اهتديتَ لتَسْلِيمِ على دِمَنِ بالغَمْرِ غَيْرَهُنَّ الأَعْصُرُ الأَوَّلُ
صافَتْ تَعَمَّجُ أعناقُ السَيُولِ به من باكرٍ سَبَطِ أو رائجٍ يَبْلُ^٣

يخاطب الشاعر الأطلال البالية ويحييها ، قائلا : سلمك الله أيها الطلل حتى ولو بليت وتهدمت ، وإن طال علينا الدهر ، وطال عليك الزمن . فيقف متأثرا ويتقسم قلبه إثر رحيل إحبته ، ويقف متعجبا إلى ما آلت له الديار التي لم يبق منها شيء غير الآبار القديمة ومكان مواعد النيران والرماد ، حيث غيرتها الأعصر الأول .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٧ .

^٢ عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري ، دراسة في النظرية والتطبيق ، دار العلوم - الرياض ، ط ١ ، ١٩٨٤م ، ص ١٥٤ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٣ .

كانت هذه الديار كالذهب المنقوش ، أو كالنقش الذى على باطن السيوف ، ولكن أصبحت مثل الكتاب الذى أصابه الماء فبقى أثره وذهب حسنه فقال :

فَهُنَّ كَالخِلِّ المَوْشِيِّ ظَاهِرُهَا أَوْ كَالكِتَابِ الَّذِي قَد مَسَّهُ البَلُّ
كَانَتْ مَنَازِلُ مَنَا قَدْ يُجِلُّ بِهَا حَتَّى تَغَيَّرَ دَهْرٌ خَائِنٌ خَبِلُ^١

فوقف القطامي ولم يرحل مع المرتحلين فتذكر ماضيه وبكى لوعته وحرمانه وشوقه . فهذه الأطلال التى بكأها ما هى إلا رموز طبيعية لها تأثيرها على الشعور والخيال والإحساس والفكر ، حسب اللحظة الوجودية النفسية التى يكون عليها الشاعر ، فنترك انطباعتها فى تصورهِ وخياله إذ أنه يتذوقها تذوقاً جمالياً أو يستمتع بها استمتاعاً جمالياً ، وبهذا الاستمتاع تنشأ ألوان من التآلف الوجداني بين الشاعر وتلك الرموز ، وتختلف صور التآلف بين الصداقة والحب ، كما تختلف أيضاً بالنسبة للوساطة الإنسانية التى عملت على إنشاء صور التآلف ، فربما نشأ التآلف بين الشاعر والرمز الطبيعي ؛ لأنه مكان اللقاء – أو موعد اللقاء – الذى ألفه الحبيبان زمناً ، حتى إذا مضت الأيام وتسارعت السنون ، ثم عاد الشاعر إليه فإنه يجد أن الزمان قد عبث بالرمز الطبيعي فأذهب جدته وجمال رونقه ، ومن ثم فقد صار طلالاً ... ، وربما وجده بإحساس نفس أسيف أنه بالذكريات التى شهدتها يعتبر طلالاً فى حاضره أو لحاضره ... فالشاعر من ثم يخلع ماضيه على الرمز أو يصنع الرمز الطبيعي بماضيه فإذا هو فى حكم الأطلال الدارسة فى ضوء الذكريات الماضية^٢ ، فهذه الأطلال وقف عليها تميم بن مقبل عندما مر بها ، حيث خاطب الطيف فى ذلك المكان فقال :

طَافَ الخِيَالُ بِنَا رُكْبًا يَمَانِينَا وَدُونَ لَيْلَى عَوَادٍ لَوْ تُعَدِّينَا
مَنْهُنَّ مَعْرُوفٌ آيَاتِ الكِتَابِ وَقَدْ تَعْتَادُ تَكْذِيبُ لَيْلَى مَا تُمَنِّينَا
لَمْ تَسْرِ لَيْلَى ، وَلَمْ تَطْرُقْ بِحَاجَتِهَا مِنْ أَهْلِ رِيْمَانَ إِلَّا حَاجَةٌ فِينَا
مِنْ سَرَوِ حَمِيرٍ أَبْوَالِ البِغَالِ بِهِ أَنَّى تَسَدَّيْتِ وَهَنَا ذَلِكَ البِينَا^٣

^١ المصدر السابق ، ص ٣٧٣ .

^٢ محمد عبد الواحد حجازي ، الأطلال فى الشعر العربي ، ص ٢٣٥ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٥ .

أَمَسْتُ بِأَذْرُعِ أَكْبَادٍ فَحُمَّ لَهُ
رَكْبٌ بَلِينَةٌ أَوْ رَكْبٌ بِسَاوِينَا
يَا دَارَ لَيْلَى خِلَاءَ لَا أُكَلِّفُهَا
إِلَّا الْمَرَانَةَ حَتَّى تَعْرِفَ الدِّينَا^١

يقول **تميم بن مقبل** : طاف وجال بنا خيال ليلي ، فلولا صروف الدهر ونوائبه لتجاوزنا كل شيء ووصلنا إلى ديارها باليمن ، ولكنها معتادة بالكذب علينا بالعود التي تمنينا بها . حيث كان الشاعر سائرا مع من معه ، وفي طريقه مرّ بديار ليلي التي كانت تسكنها ورحلت منها ، فوقف على تلك الأطلال وخاطب الطيف في ذاك المكان فقال له : أنا لا أحب أن أكلفك بشيء غير التعرف على حالي . ولكن يا للحسرة ! لم يرد ولم يهد له غير رمال الصيف الحارة في وقت الضحى .

أما بالليل فيأتها المطر برائحته المنعشة الجميلة .

نزل **تميم** عن راحلته ودخل الديار التي أصبحت طللا ، فسألها عن ليلي ، فلم تجبه ، حتى كاد يبكيها وتبكيه شوقا إلى محبوبته ، هذه الأطلال صامته لا ترد التحايا ولا الأسئلة . فيقول :

تُهْدِي زَنَانِيرُ أَرْوَاحِ الْمَصِيفِ لَنَا
وَمِنْ ثَنَائِهَا فُرُوجُ الْكُورِ تَهْدِينَا
هَيْفُ هُدُوجِ الضُّحَى سَهْوٌ مَنَاقِبُهَا
يَكْسُونَهَا بِالْعَشِيَّاتِ الْعَثَانِينَا
عَرَجْتُ فِيهَا أَحْيِيَّهَا وَأَسْأَلُهَا
فَكِدْنُ يُبَكِّينِي شَوْقًا وَيَبْكِينَا^٢

فسأله لها نجده وافق قول الله تعالى : ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾^٣ . هذه الديار أصبح آثار المشي فيها مطموس^٤ . فيقول :

وِطَاسِمٍ دَعَسُ أَثَارِ الْمَطِيِّ بِهِ
نَائِي الْمَخَارِمِ عَرْنِينًا فَعَرْنِينَا
قَدْ غَيَّرَتْهُ رِيَاخٌ ، وَاخْتَرَقْنَ بِهِ
مِنْ كُلِّ مَأْتَى سَبِيلِ الرِّيحِ يَأْتِينَا

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٥ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٩٦ .

^٣ سورة يوسف ، آية : ٨٢ .

^٤ مطموس : بمعنى غير ظاهر وغير مرني ، بسبب الرياح التي تهب عليها من وقت لآخر .

يَصْبَحْنَ دَعَسَ مَرَايِلِ الْمَطِيِّ بِهِ حَتَّى يُغَيِّرْنَ مِنْهُ أَوْ يُسَوِّبْنَ^١

هذه الرياح التي تهب من وقت لآخر ، والرمال التي أَلْفُوها في الصحراء اكسبتهم الشجاعة والمروءة والكرم والبدية ، وجعلتهم يبوحون بما في نفوسهم .

" وأفادت الصحراء البدو رقة في الإحساس وصفاء في الذهن ، وجيشانا في العاطفة ، وسرعة في البديهة ، وحرية مطلقة في التعبير عن المشاعر ، والبوح بما في الضمير " .^٢ فتميم عند وصفه للصحراء التي لا نبات فيها غير قطع السراب ، يقف شارداً مع الخيال إذ يسمع صوت طائر القطا في داخل الأطلال ويسمع الطائر صوته ، كذلك يخيل له صوت صغار الحمام في كل مكان ، وأصوات نساء القرية عندما يبكين ويجدن النوح ، فكل هذا الشرود بسبب أصوات الرياح ، وكأنه يسمع صوت النواقيس التي تدق بسبب تضييع الخادم للنوق فيقول:

فِي ظَهْرِ مَرْتِ عَسَاقِيلِ السَّرَابِ بِهِ	كَأَنَّ وَغَرَ قَطَاهُ وَغَرُّ حَادِينَا
كَأَنَّ أَصْوَاتِ أَبْكَارِ الْحَمَامِ بِهِ	مِنْ كُلِّ مَحْنِيَّةٍ مِنْهُ يُغْنِيْنَا
أَصْوَاتُ نِسْوَانٍ أَنْبَاطٍ بِمَصْنَعَةٍ	يَجِدْنَ لِلنَّوْحِ وَاجْتَبَيْنَ التَّبَانِينَا
صَوْتُ النَّوَّاقِيسِ فِيهِ ، مَا تَقَرُّطُهُ	أَيْدِي الْجَلَّادِي ، وَجُونٌ مَا يُغْنِيْنَا ^٣

ويقف حزينا يتذكر الراهبات اللائى يلبسن ثياب سود وسراويل قصيرة ، لا ينمن طوال الليل ، حيث يعملن بألة المندف فى الجذب والانتزاع . أيضا لم يجد فى هذه الديار غير البلاط الملتصق الذى كان يهدى للأسياذ والرؤساء فيقول :

كَأَنَّ أَصْوَاتَهَا مِنْ حَيْثُ تَسْمَعُهَا	صَوْتُ الْمَحَابِضِ يَخْلُجْنَ الْمَحَارِينَا
مِنْ مُشْرِفٍ لِيَطَّ الْبَلَّاطِ بِهِ	كَانَتْ لِسَاسَتِهِ تُهْدِي قَرَابِينَا ^٤

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٦ .

^٢ جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٢٨١ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٧ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ .

هذا الوقوف على تلك الأطلال وما حصل بها ، كان ليلاً والبدر كاملاً ، وظلام هذه الديار صار أبيض ، حتى اتضح له الطريق ، في هذه الصحراء التي يهجمها السراب وأشرف على أن يغطيهم فيقول :

وَاطَّأَتْهُ بِالسُّرَى حَتَّى تَرَكْتُ بِهِ لَيْلَ التَّمَامِ تُرَى أَسْدَافَهُ جُونَا
حَتَّى اسْتَبْنَتُ الْهَدَى، وَالْبَيْدُ هَاجِمَةٌ يَخْشَعْنَ فِي الْآلِ غُلْفًا أَوْ يُصَلِّينَا^١

فهذه الديار بعد أن كانت في نعمة وسعة من رغد العيش ، تحولت إلى عظة لأصحاب العقول ، وعبرة للناظر والمتأمل ، فالشاعر هنا لا يملك إلا الحسرة والمرارة والدموع الحارة التي نبعث من قلب محطم ، أمام هذه الفاجعة المؤلمة . ونجد صورة رائعة يصف فيها الشاعر ديار محبوبته من قبل كيف كانت ، ثم ينتقل لوصف ما آلت إليه ، وكأنه يعقد مقارنة بين الحالتين ، ليؤكد ويثبت ما أصاب هذه الديار من دمار ووحشة .

وصف تميم لهذه الديار وما حصل لها نجده في قول إعرابي عندما تحدث عن قوم سأل عنهم فقال : " كانوا بدور جموع ، ورجال ربوع ، فصارت منازلهم معتصر الدموع ، مرت بها لريح أذيالها ، وحطت بها الغيوث أتقالها ، وسلبتها الأيام جمالها ."^٢

للشعراء في الوقوف على الديار والتردد في الآثار والبكاء على الأطلال ، وتذكر أيام الوصال ، معان ترقص لها الأسماع طرباً وتستشعر العشاق هما ونصباً^٣ .
الشماخ كغيره من الشعراء الجاهليين بدأ قصيدته بالوقوف على الأطلال وذكر الدمن والآثار فقال :

عَفَا بَطْنُ قَوْوٍ مِنْ سُلَيْمَى فَعَالِزُ
فَذَاتِ الصَّفَا فَالْمُشْرِفَاتُ النَّوَّاشِزُ
وَمَرْقَبَةٌ لَا يُسْتَقَالُ بِهَا الرَّدَى
تَلَافَى بِهَا حَلْمَى عَنِ الْجَهْلِ حَاجِزُ
وَكُلُّ خَلِيلٍ غَيْرِهَا ضَمَّ نَفْسَهُ ،
لِوَصْلِ خَلِيلٍ ، صَارِمٌ أَوْ مُعَارِزُ^٤

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٧ .
^٢ الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، ١٩٦١م ، ج ٢ ، ص ٩٣ .
^٣ بهاء الدين الإربلي ، رسالة الطيف ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، ١٩٦٨م ، ج ١ ، ص ٦ .
^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨١ .

عندما كان الشماخ فى رحلته مرّ بديار محبوبته سليمى ، التى أطلق عليها الأسماء (قو ، عالىز ، وذات الصفا) وكذلك المرتفعات التى رآها فى طريقه . رأى الديار التى أصبحت أطلال عندما رحلت منها محبوبته ، ثم وصف الوادى الذى يقطع الطريق فتدخله المياه ولا تخرج منه ، وكذلك ذكر تلك القنطرة التى يعبر عليها المارون . فوقف يتذكر محبوبته وقال : كل صديق غيرها ضم نفسه لصديقه ، إلا سليمى ابتعدت عنى وتركتنى وتركت ديارها وارتحلت عنها .

المبحث الثالث:

المدح:

لغة : هو الثناء الحسن ، وبابه قطع . وكذا (المدحة) بكسر الميم ، و (المديح) و (الأمدوحة) بضم الهمزة ، و (امتدحه) مثل (مدحه) و (تمدح) الرجل تكلف أن يمدح ، ورجل (مُمدِّح) بوزن محمد ، أي ممدوح .^(١)

أما فى المصطلح الأدبي : فيطلق المدح أو المديح على ذلك الغرض الشعري الذى يهدف فيه الشاعر إلى إبراز فضائل الممدوح وإظهار صفاته ، وأياديه ، وإشادة بذكره ، ورفع مكانه ، فيمدحه بمآثره من الكرم والشجاعة ، والأدب ، والمروءة وغيرها من الصفات فى حياته ، ويقابله الهجاء : وهو ذكر الصفات الخلقية والخلقية - والمدح من أقدم الفنون الأدبية التى عرفها البدائيون يوم رفعوا صلواتهم إلى أربابهم ، واثنوا على أصنامهم ، وتغنوا بأمجاد آلهتهم . ثم تمت وصاية زعمائهم وأربابهم .^(٢) فهو من أهم أبواب الشعر العربي ، وكان للمدح مكانة كبيرة فى العصر الجاهلي ، كان الشعراء فى الجاهلية يمدحون أبطال القبيلة وساداتها ، ويشيدون بمكانتهم بين القبائل ويصفون أخلاقهم ومآثرهم ، ومحامدهم وشجاعتهم ، ويتغنون ببطولاتهم .^(٣) فعلى الرغم من غلبة الحماسة على الشعر العربي فى العصر الجاهلي ، وكثير من شعر العصر الإسلامي ، إلا أن للمديح مكانة فى الشعر ، وشعراء الطبقة الأولى قبل الإسلام كانوا يمدحون الملوك والرؤساء ، طمعا فى الحظوة لديهم وطلبا للثروة والغنى ، وقد رغب الأمراء والرؤساء فى أن يتجه إليهم الشعراء بالمدح ، وشجعوا الشعراء على أن يسلكوا هذا المسلك ، وأن يتخذوا الشعر وسيلة للكسب ، بأن أجزلوا لهم العطاء ، وأغرقوا عليهم الهبات .^(٤)

(١) عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الجيل - بيروت ، ط ١٩٨٧م ، ص ٦١٨ .

(٢) أحمد أبو حاققة ، فن المدح وتطوره فى الشعر العربي ، منشورات دار الشرق الجديد ، ط ١ ، ١٩٦٢م ، ص ٧ .

(٣) أحمد محمد الحوفي ، الحياة العربية فى الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة مصر - القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٦٢م ، ص ٣٠٩ .

(٤) طه حسين وآخرون ، التوجيه الأدبي ، دار المعارف - القاهرة ، ١١١٩م ، ص ١٧٣ .

فيمكننا أن نقول إن " شعر المديح بغض النظر عن صفة قائله يدور كله حول إبراز الصفات الطيبة ، والمزايا الرفيعة والأخلاق السامية عند الممدوح ، فهو يصل الرحم ، ويفك الأسير العاني ، ويحمي أعراض القبيلة ، ويجير المستجير ، وهو الكريم الشجاع ^١ ، كذلك يعتبر فناً من فنون الأدب العربي ، وباباً واسعاً من أبواب شعرنا منذ الجاهلية حتى الآن .

أما في الأدب العربي فنجد فيه المثل التي تعارف الناس عليها ، من الفروسية والشجاعة ، وكانت هذه المثل جماعية أكثر من فردية في مدح القبيلة ، ووصف مآثرها ، فكان الشاعر يحرص على التغني بالصفات والمثل التي تحت عليها التقاليد العربية ، ثم تطور الأمر بعد ذلك فتعلق الأفراد بهذه المثل ، وبالتالي تحول المديح إلى ثناء للأفراد ولهذا يقال : " أن الشعراء ومنذ أن عرفوا تلك الطبيعة في الإنسان اتخذوها سبباً إلى الأقوياء ، ووسيلة إلى أصحاب السلطان ، ليحتموا بقوتهم ... وأولئك يمدون لهم في حبل العطاء ، ليشيعوا محامدهم في الناس فيمتد سلطانهم ويبقى ذكركم ^٢ .

فمن هؤلاء الشعراء نجد **كعب بن زهير** الذي جاء معتذراً للرسول (صلى الله عليه وسلم) بلاميته المشهورة التي تعتبر من أبرز قصائد المديح في هذه الفترة ، فكان كعب صادقاً في مدحه ، حيث عبر عن حقائق وصفات خلقية وخلقية في الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) حيث قال :

أرى وأسمع ما لو يسمعُ الفيلُ	لقد أقومُ مقاماً لو يقومُ به
من النبي بإذنِ الله تتَّوِيلُ	لظلَّ يُرعدُ إلا أن يكونَ له
في كفِّ ذِي نِقَمَاتِ قَيْلِهِ القَيْلُ	حتى وضعتُ يميني لا أنازعُه
وقيل : إنك منسُوبٌ ومسؤولُ ^٣	ولهو أهيبُ عندي إذْ أُكلمه

يقول **كعب** : لقد رأيت وسمعت ما لو رأه الفيل أو سمعه لأخذته رجفة الخوف

^١ شفيق الكمالي ، الشعر عند البدو ، ص ٢٠٤ .

^٢ بدوي طبانة ، قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ، مطبعة مخيمر - القاهرة ، ١٩٥٤م ، ص ٢٨١ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٠ .

إلى أن يمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) عليه بالأمان ، وما زال حالي كذلك حتى وضعت يميني في يمينه (صلى الله عليه وسلم) وضع طاعة وإذعان ، وقد ارتاحت نفسي بعد أن أمني فهو رجل يحترم كلمته ويلتزم بها وينفذها .

" وكان العرب إذا تحالفوا على شيء ضرب كل منهما على يمين صاحبه إقراراً لما تحالفوا عليه وتأكيده له " .^١ فكعب مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث شبهه بالأسد الذي لا ينزل أسداً إلا غلبه . هذا الأسد القوي تهابه الرجال وحتى الوحوش ممتنعه عن المشي بواديه خوفاً منه فيقول :

بِبَطْنِ عَثْرٍ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلٌ	مِنْ ضَيْغَمٍ مِنْ ضِرَاءِ الْأَسَدِ مُخْدَرُهُ
لَحْمٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعْفُورٌ خِرَانِيلٌ ^٢	يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغَامِينَ عَيْشَهُمَا
أَنْ يَتْرَكَ الْقَرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَقْلُوبٌ	إِذَا يُسَاوِرُ قَرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ
وَلَا تَمْشَى بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ	مِنْهُ تَظَلُّ حَمِيرُ الْوَحْشِ ضَامِرَةً
مُطْرَحُ اللَّحْمِ وَالذَّرْسَانِ مَأْكُولٌ ^٣	وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ

أيضاً مدح المهاجرين فوصفهم بصفات جمّة ، بما فيها هجرتهم وخوضهم للمعارك فمدحهم بالسمع والطاعة ، عندما أمروا بأن يهاجروا من مكة إلى المدينة ، هاجروا فلم يبق منهم غير القليل . فخص كعب قريشاً في القصيدة وذكرهم من دون غيرهم ؛ لأن أغلب المهاجرين كانوا منها ، فوصف النبي (صلى الله عليه وسلم) في وسط أصحابه وهم محيطون به بالسيف المصقول ، هؤلاء المهاجرون عندما هاجروا ، كانوا أقوياء لا ضعفاء ، ولا مهزومين ، ولا مزعزين وذلك في قوله :

وَصَارِمٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوبٌ	إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُؤَلُوا	فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مَيْلٌ مَعَاذِيلُ ^٤	زُؤَلُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ

^١ عبده عبد العزيز قلقيلة ، خط سير الأدب ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧م ، ص ١١٣ .

^٢ معفور : مطروح على التراب . الخراذيل ، الواحدة خردلة : القطعة الصغيرة .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٠ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٧١ .

فمدحهم " بالقوة وشدة المداس ، وإيا الضيم ، وأنهم يلبسون الدروع السابغة فى القتال هذه الدروع لها حلق مثل نبات القفعاء الذى ينبسط على الأرض فى شكل خواتم ، ولا يفرحون بنصر ، ولا يجزعون من هزيمة بل يترامون على حياض الموت تراميا فيقول :

شُمُّ الْعَرَانِينَ ، أَبْطَالُ ، لَبُوسُهُمْ
بِيضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقُ
لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ
لَا يَقَعُّ الطَّعْنَ إِلَّا فِي نَحُورِهِمْ
مَنْ نَسَجَ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا ، سَرَائِيلُ^١
كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ ، مَجْدُولُ
قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا
وَمَا لَهُمْ عَنِ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ^٢

وتبلغ به العصبية القديمة فى المديح ، أن يعرض بالأنصار ، وكأنه يمدح محمدا القرشي وقبيلته من قريش ، لا محمد الرسول الذى هدم العصبية القبلية ، والذى أثر بعد فتح مكة ، المقام مع الأنصار على قومه . " فمدحه للمهاجرين ووصفه لهم بطول القامة والضخامة وبياض البشرة والرفق فى المشي ، وذلك دليل الوقار على أنهم سادة إذ لا يفرون من المعركة ويهجمون على الأعداء حيث لا يخرجهم النصر عن وقارهم ، ولا تتال الهزيمة من رزانتهم وهم شجعان ، يستقبلون عدوهم ولا يستدبرونه فيقول :

يَمْشُونَ مَشَى الْجَمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ
ضَرْبُ إِذَا عَرَدَّ السُّودُ التَّنَابِيلُ^٤

نجده جمع المدح والتعريض فى بيت واحد ، مدح المهاجرين فى صدر البيت وعرض بالأنصار فى عجز البيت .

فنقول " أن كعباً جعل البياض دليل أنواره اللامعة . وحلقه دوائر الأعمال مع اتصاله بالكمال وارتباطها بالإخلاص أشد ارتباط ، وجعل الخادر إشارة إلى الحقيقة المستترة فى مقابل الشريعة الظاهرة التى يخاطب بها كل إنسان . وواديه

^١ سراييل : دروع .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧١ . حياض الموت : موارد الهلاك . تهليل : جبن وفرار .

^٣ شوقي ضيف ، التطور والتجديد ، ص ١٧ .

^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧١ .

هم خاصته وأهل حضرته . والأراجيل — هنا — هم رجال إبليس الذين ليس لهم عليهم سلطان ^١ .

تتميز هذه القصيدة في جانب المدح بأنها حصيلة لتفاعل الشاعر مع المتلقي (المدوح) ، وهذه الخاصية جعلت الشاعر بجانب إهتمامه أن يبالغ في المدح ، لذا نبه النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه لأن يسمعوا لهذا المدح ، ومن ثم أعطاه بردته الشريفة ، لمدحه له ولأصحابه ، عندما شبهه بالسيف المصقول وهم يحيطون به . فربط المدح بذكر الأسد ، لأنه رمز القوة والشجاعة والبطولة .

المدح أكثر الأغراض الشعرية استهلالاً بالمقدمات التقليدية ، بحيث لم يتخل عنها فيه شاعر من الشعراء ، ومما تجدر ملاحظته ، أن مقدمات المدح تتأرجح بين الطول والقصر بحسب الشعراء . وسبيل الشاعر — إذا مدح ملكاً أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للمدوح ، وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية ، غير مبتذلة سوقية ، ويتجنب — مع ذلك — التقصير والتجاوز والتطويل ؛ فإن للملك سامة وضجراً ربما عاب من أجلها ما لا يعاب ، وحرماً من لا يريد حرمانه ^٢ ، فالقرشيون أصحاب العزة والكرامة الذين فدوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنفسهم ، مدحهم أكثر شعراء المشوبات في مشوباتهم . فالشاعر القطامي واحد منهم فنجده يقول :

أما قُرَيْشٌ فلن تلقاهمُ أبداً إلا وهم خيرٌ من يحفى وينتعلُ
قومٌ همُ ثبتوا الإسلامَ واتبعوا قولَ الرسول الذي ما بعده رسلُ
منْ صالحوه رأى في عَيْشِهِ سعةً ولا يرى مَنْ أرادوا ضرَّه يئُلُ ^٣

يمدح القطامي قريشاً بأن لم يوجد مثلهم أبداً ، ولا خير منهم ، فلست هم الذين كانوا في الجاهلية ، بل هم حماة الدين ثبتوه وأعزوه ، واتبعوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي هو آخر الرسل ، فمن صالحوه ظل سعيداً في حياته ، ومن أراد بهم الضر وعاداهم ، فلم ينج منهم ولم يجد له مخرج . أيضاً نجده يمدحهم

^١ السيد إبراهيم محمد ، قصيدة " بانث سعاد " لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي ، ص ١٧٦ .

^٢ ابن رشيقي ، العمدة ، ص ١٢٨ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٦ ، ينل : ينجو .

بصفات الكرم والفضل والمنّة . فيقول هم من أعانوني فى حياتي وثبتوا قدمي ،
وبسببهم أصبحت أرمي بسهامي على الأعداء ، فلم يفسدوا معروفًا قدموه لي ، ولم
ينضموا مع رجل كان ضدي فيقول :

كَمْ نالني منهم فَضْلٌ عَلَى عَدَمٍ إذ لا أكادُ من الإقتارِ أَحْتَمِلُ^١
وكَمْ من الدهرِ ما قد ثَبَّتُوا قَدَمِي إذ لا أزالُ مع الأعداءِ أَنْتَضِلُ^٢
فلا هم صَالِحُوا مَنْ يبتغي عَنِّي ولا هُمْ كَدَّرُوا الخَيْرَ الذي فَعلُوا^٣

فيقول هم الملوك والرؤساء ، وأبناء الملوك خدام لهم ، والآخذون بالملك وهم
السادة الأوائل وذلك فى قوله :

هُمُ الملوِكُ وأبناؤُ الملوِكِ لَهُم والآخذون به والسادةُ الأوَّلُ

كان بعض الشعراء إذا أراد أن يمدح أحداً ذكر المصاعب والمهالك والمخاوف
التي يمر بها ، وكذلك يمدح الطبيعة ثم يدخل فى عرضه الأساسى الذى كانت من
أجله القصيدة . هذا الحطيئة الذى ذهب إلى سيدنا عمر (رضى الله عنه) معتذرا
له من هجائه للزبرقان . قاطعا الفيافي والصحراء الشاسعة ، فوصف الصحراء
عندما أرتادها ؛ استعظام له ، إذ تجشم العقبات وأرتاد وحشتها طالبا أن يكذب
المقالة التى وصلته فقال :

ولَيْلٌ تَخَطَّيْتُ أَهْوَالَهُ إلى عمرٍ ارتجيه ثمالا
طويتُ مهالكٍ مخشيةً إليك لتكذب عني المقالا
بِمِثْلِ الحَنِيِّ بَرَاهَا الكَلَا لِيُنزِعَنَّ آلاَ وَيَرْكُضَنَّ آلاَ^٣
إلى حاكمٍ عادلٍ حكمه فلما وضعنا لديه الرِّحالا
صرى قول من كان ذا مئرة ومَنْ كان يَأْمَلُ في الضَّلَالا^٤

فعندما وصل إليه انقطع قول الأعداء .

^١ الإقتار : الشح .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٦ .

^٣ الحنى ، الواحدة حنية : القوس . ينضون : يخلعن . الآل : ما أشرف من البعير .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .

ثم بدأ الحطيئة بالمدح فقال له : أنت خليفة أبي بكر الصديق (رضى الله عنه)
الذى هو خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، المعروف لدى قريش جميعا
بوفائك إذا وعدت ، وبالكرم ووصل الأرحام ، وأفضل الناس وأكثرهم فعالا
للخيرات وذلك فى قوله :

أمينُ الخليفة بعد الرسول و أوفى قريشٍ جميعاً حبالاً
و أطولهم في الندى بسطةً و أفضلهم حين عدُّوا فعالاً^١

ثم قال له : يا أمير المؤمنين اتاني شخص بأخبار فكذبتها وكنت فى حذر منها ،
وأن ناقلوا الأخبار أتوك وأخبروك بأشياء محال أنى لم أقلها ، فها أنا جئتك معتذرا
وراجياً عفوك فأعف عني ، لا تسمع في قول الذين ينقلون الأخبار الكاذبة ، لأنك
أنت من هديت الرجال ، و خير من الزبرقان بن بدر ، وأشد من يعاقب على
الخطا ويجعل الأنسان عبرة لغيره ، وخير عطاء . فيقول :

أنتني لسانٌ فكذبتُها و ما كنتُ أذرّها أن تقالا
بأن الوشاة بلا جرمة أتوك فراموا لديك المحالا
فجئتُك مُعتذراً راجياً لعفوك أرهبُ منك النكالا
فلا تسمعن بي مقال العدا و لا تُكَلِّني هُديت الرجالا
فإنك خيرٌ من الزبرقان أشدُّ نكالا وخيرٌ نوالا^٢

يتواصل المدح لأصحاب العزة والشهامة فى قصيدة عمرو بن أحمـر عندما يقول :
من أهل بيتٍ هم لله خالصةً قد صعّدوا بزمام الأمرِ وأنحدرُوا
كأنه صُبِحَ يسرى القوم ليّهم ماضٍ من الهندوانيات مُنسدِرُ
يعلو معدّاً ويُسْتَسقى الغمامُ به بدرٌ تضاعل فيه الشمسُ والقمرُ^٣

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٩ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٩٣ .

يقول عمرو عن القرشيين : هم من أهل بيت معروف بالإسلام ، وهم الذين أمسكوا الخلافة وبأيديهم زمام الأمور ، كالصبح بعد إنجلاء الليل المظلم ، ومثل البدر الكامل ، والسيف الهندي المسرع ، كذلك يعلو معدا في الكرم والسخاء ، وإقراء الضيف ، و كالبدر الذى اجتمع فيه ضوء الشمس والقمر .

إن القرشيين والأنصار أهل العزة والشموخ ، والرفعة والكرم ، والشجاعة ، لم يقف مدحهم عند الشعراء فحسب ، بل مدحهم الله عز وجل فى كتابه العزيز وكذلك مدح نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه رضوان الله عليهم فقال

فى نبيه : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤ ﴾ ^١ أي وإنك يا محمد على دين كريم شريف على الله ، ويقال على منة عظيمة ، وهى الأخلاق الحسنة التى أكرمه الله بها . ^٢ وفى أصحابه : قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿ ١٨ ﴾ ^٣ كان المؤمنون ألفا وأربعمائة بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا

، وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان ، فعلم ما فى قلوبهم من الإخلاص والوفاء ، فأنزل الله الطمأنينة فى قلوبهم ، وأتلى الصدور بالنصر من الله تعالى لرسوله .

وأثابهم فتحا قريبا . أي فتح خبير . ^٤ وكذلك قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ

مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ^٥ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ^٦ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ^٧ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ

أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ^٨

وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ ٢٩ ﴾ ^٩ هنا يخبر

^١ سورة القلم ، آية : ٤ .

^٢ الفيروز آبادي ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، دار الكتب العلمية - لبنان ، (بدون تاريخ) ، ج ١ ، ص ٤٨٠ .

^٣ سورة الفتح ، آية : ١٨ .

^٤ علي بن أحمد الواحدي ، الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق : صفوان عدنان داؤدى ، دار القلم - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، ج ٢ ، ص ١٠١٠ .

^٥ سورة الفتح ، آية : ٢٩ .

الله تعالى عن محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه رسوله حقا بلا شك ولا ريب ، ثم أتتى الثناء الجميل على أصحابه رضى الله عنهم . ووصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهى خير الأعمال ، ووصفهم بالاخلاص فيها لله عز وجل ، والإحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل ، وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم ، سيماهم فى وجوههم ، أي السمات الحسن ، يعنى الخشوع والتواضع — وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم فى الكتب المنزلة والأخبار المتداولة بأنهم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) آزره وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطاء مع الزرع — فلهم ثوابا جزيلا ورزقا كريما^١ . أيضا مدحهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أكثر من مرة فقال عنهم : " إنكم لتقلون عند الطمع وتكثررون عند الفزع " ^٢ ؛ " أي الأنصار " . وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأقواهم على دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأفضاهم علي بن أبي طالب ، وأقراهم أبي بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح " ^٣ .

^١ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ .

^٢ ابن عبد البر (يوسف بن عمر القرطبي . ت ٤٦٣ هـ) بهجة المجالس وأنس المجالس وشذذ الزاهن والهاجس ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة ، { ١٩ } - م ، ج ١ ، ص ١٠٩ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

المبحث الرابع:

الفخر:

الفخر لغة : التمدح بالخصال والافتخار وعدّ القديم ، والتفاخر والتعظيم والتفخر والتكبر : نشر المناقب وذكر الكلام .

اصطلاحاً : هو غرض من أغراض الشعر ينطوي على الشاعر واعتزازه بنفسه وقومه ، وهو وليد الأثرة بالإعجاب بالذات .^١ والفخر بفاء مفتوحة ، فحاء معجمة ساكنة فراء : ادعاء العظم والكبر والشرف .^٢

وهو من أكثر الموضوعات التي تحدث عنها الشعراء ، بل مفخرة الشعوب منذ بداية الشعر ونشأته ، أو هو لون من ألوان المديح ، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه . كما جاء في العمدة : " الفخر : هو المدح نفسه ، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه ، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار ، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار .^٣ ولقد اتفق مؤرخو الأدب على أن يجعلوا الفخر والحماسة باباً واحداً ، لما بينهما من الاتصال الوثيق ، لأن الحماسة ليست سوى فخر الفاجر ببطولته ، وذكر وقائعه ، ووصف فرسه وسلاحه ، وباب الفخر اتسع إلى موضوعات غير الفروسية ، كالنسيب ، والكرم ، والأخلاق ، والأهل ، والفصاحة ولايخلو أصلاً عن المباهاة بالشجاعة والإقدام .^٤

فالعربي بفطرته نزوع إلى المفاخرة والمباهاة ، شديد الوله بالتطلع إلى ما مضى من الزمان ... إلى مآثر الآباء والأجداد .^٥ وقد ذمّ الله تعالى الفخر في القرآن العظيم ونهى عن الفخر بالأنساب ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَرَكُمْ إِنَّ

^١ غازي ظليمات ، الأدب الجاهلي ، أغراضه وأعلامه وفنونه ، دار الفكر المعاصر - دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م ص ١٦٤ .

^٢ محمد يوسف الصالحي الشامي ، سبيل الهدى والرشاد في سير خير العباد ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة ، ١٩٩٧ م ، ج ٦ ، ص ٢٧٤ .

^٣ ابن رشيق ، العمدة ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

^٤ بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام ، دار مأمون عبور ، ط ١٩٧٩ م ، ج ١ ، ص ٤٦ .

^٥ شفيق الكمالي ، الشعر عند البدو ، ص ٢٣١ .

اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ فالفخر في الإسلام بالتقوى وليست بالمباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه ، ويقال في الفخر : رجل فاخر وفخور^١ . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَصَعَّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴾ ﴿١٨﴾ وهذا نهى عن الخيلاء وأمر بالتواضع ، والمرح : شدة الفرح ، وقيل التكبر في المشي ، وقيل تجاوز الإنسان قدره ، وقيل هو النشاط ، وهذه الأقوال متقاربة ولكنها منقسمة قسمين ، أحدهما مزوم والآخر محمود ، فالتكبر والبطر والخيلاء ، وتجاوز الإنسان قدره مزوم ، والفرح والنشاط محمود^٢ . وأيضا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ يَأْتِيهِ آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٤٠﴾ نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر . فقابل الإلقاء في النار بالإتيان آمنة مبالغة في إحماد حال المؤمنين^٣ . ونجد حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) في قوله : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " أي لا أفخر بالسيادة وإنما الفخر لي بالعبودية لله سبحانه وتعالى . وقال علي بن الحسين (رضى الله عنهما) : " لا يفخر أحد على أحد فإنكم عبيد والمولى واحد " ^٤ .

فنقول الفخر هو : العزة والعظم ، والفخر بالأباء والأجداد والخصال المحمودة .

فنجد الفخر في المشوبات في قول النابغة :

وَمَهْمَا يَقُلْ فِينَا الْعُدُوَّ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَعْرُوفًا، وَآخَرَ مُنْكَرًا^٥

^١ - الأصفهاني ، غريب القرآن والحديث ، تحقيق : عبد الكريم الغريباوي ، مركز إحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة ، ١٩٨٩م ، ج ١ ، ص ٣٧٤ .

^٢ - سورة لقمان ، آية : ١٨ .

^٣ - محمد بن أحمد بن أبو بكر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، توزيع مكتبة الغزالي مؤسسة مناهل العرفان ، ج ١٠ ، ص ٢٦٠ .

^٤ - سورة فصلت ، آية : ٤٠ .

^٥ - عبد الله بن محمد بن محمد البيضاوي الفارسي ، تفسير البيضاوي ، (بدون تاريخ) ، ج ٥ ، ص ١١٦ .

^٦ - شهاب الدين الاشبيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، دار المعارف - القاهرة ، ١٩٧٣م ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

^٧ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، دار صادر - بيروت ، ١٩٩٦م ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .

^٨ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٢ .

فَمَا وَجَدَتْ مِنْ فِرْقَةٍ عَرَبِيَّةٍ كَفِيلاً، دَنَا مِنَّا، أَعَزَّ وَأَنْصَرَ
وَأَكْثَرَ مِنَّا نَاكِحاً لَغَرِيبَةٍ، أُصِيبَتْ سِبَاءً، أَوْ أَرَادَتْ تَخِيْرًا^١

فخر النابغة الجعدي بقبيلته وعظماؤها في الإسلام فقال : هم أبطال ، أشداء ، أقوياء يحاربون عدوهم ، يقدمون على المعارك ، فكاكون للأسرى ، أقوياء على تحمل صعاب الأمور . ويفتخر النابغة بمنادمته للملوك وبعزة قومه ، فليس في الكون من هم أعز منهم وأكبر ، ولا أكثر منهم ناكحا لغريبة باختيارها أو بالسبي وكذلك فخر بالحرب لقبيلته وأجادها وأيامهم ؛ يوم علقمة الجعفي ، كما أفتخر ببطولة قومه في يوم الصفا ، حيث ضربوا آل دارم وذبيان وابن الجون ضربا شديدا مبرحا ، حتى سالت دماؤهم وارتوت النسور حتى عجزت عن الطيران . وكذلك افتخر بمقتل شراحيل وذلك في قوله :

وَأَسْرَعَ مِنَّا إِنْ أَرَدْنَا أَنْصِرَافَهُ وَأَكْثَرَ مِنَّا دَارِعِينَ وَحَسَّرَا
وَأَجْدَرَ أَنْ لَا يَتْرِكُوا عَانِيَا لَهُمْ فَيَغْبِرَ حَوْلًا فِي الْحَدِيدِ مَكْفَرَا
وَقَدْ أَنْسَتْ مِنَّا قُضَاعَةٌ كَالثَأْ فَأَضْحَوْا بِبِصْرِي يَعْصُرُونَ الصُّتُوبِرَا
وَكَئِدَةٌ كَانَتْ بِالْحَقِيقِ مُقِيمَةً، وَنَهْدٌ فَكُلًّا قَدْ طَحَرْنَاهُ مَطْحَرَا
كِنَانَةٌ بَيْنَ الصَّخْرِ وَالْبَحْرِ دَارُهُمْ فَأَحْبَرَهَا إِذْ لَمْ تَجِدْ مِتْأَخْرَا
وَنَحْنُ ضَرْبِنَا بِالصَّفَا آلِ دَارِمٍ وَحَسَّانَ وَابْنَ الْجَوْنِ ضَرْبِيَا مُنْكَرَا
وَعَلْقَمَةُ الْجَعْفِيِّ أَدْرَاكَ رَكُضُنَا بِذِي النَّخْلِ، إِذْ صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا
ضَرْبِنَا بَطُونَ الْخَيْلِ حَتَّى تَتَاوَلَتْ عَمِيدِي بَنِي شَيْبَانَ: عَمْرًا وَمُنْذِرَا
أَرْحَنَا مَعَدًّا مِنْ شَرَّاحِيلَ، بَعْدَمَا أَرَاهَا مَعَ الصُّبْحِ الْكَوَاكِبُ مَظْهَرَا
تَرَنَّ فِيهِ الْمَضْرَحِيَّةُ بَعْدَمَا رَوَيْنَ نَجِيْعًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَحْمَرَا^٢

وفخر بعفو قومه عن الأسرى لديهم ، وبحميتهم ، فهم لا يطيقون بقاء اخوانهم أسرى بيد أعدائهم . أيضا افتخر بفرسه ومهاراته في الحرب وركوب الخيل ، فقد

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٢ .
^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

خاض المعركة بفرس أعدها لها . فهم الذين عودوا خيلهم الثبات فى الحروب وعدم الفرار من المعارك حتى أصبحوا معروفين فى المعارك عندما تشتت فيها الطعان ، حتى ينكر الفارس لون فرسه الذى تغير لونه بكثرة الدماء ، فليس من عادتهم أن يعودوا بخيلهم سليمة معافاة فيقول :

وَمِنْ أَسَدٍ أَغْوَى كُهُولاً كَثِيرَةً بَنَهَى غُرَابٌ ، يَوْمَ مَا عُوِّجَ الذَّرَا
وَتُنْكِرُ يَوْمَ الرُّوعِ لَوْ أَنَّ خَيْلَنَا مِنْ الطَّعْنِ ، حَتَّى تَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا نَعُودُ خَيْلَنَا إِذَا مَا التَّقِينَا ، أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفُرَا
وَمَا كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صِحَاحًا ، وَلَا مُسْتَتَكِرًا أَنْ تُعَقَّرَا^١

فهذا الفخر ليس سوى " تعبير عن الناحية الايجابية من مصير الإنسان ، إنه تعبير عن النصر ، والتكافؤ ، والشعور بالرضا عن النفس وعن الوجود . لا شك أنه ثمة نوع من الفخر الذى يغلب عليه التعقيد ، إذ يوهم بالانتصار . بينما يكون فى الواقع تنكرا للشعور بالفشل والهزيمة ، فالإنسان عندما يستبد به الشعور بالضعف والفشل يثور على هذا الشعور فتتولد فى نفسه حال من العنجهية ، إلا أن الميزة الغالبة للشعور الفخري ، هى التعبير عن غبطة النفس وزهوها إثر الانتصار ، أو شعورها بالتفوق والقدرة^٢ .

النايعة فخره فى هذه القصيدة لم يقم على المعاني الإسلامية ، فنراها كلها جاهلية ؛ لأن أيامه التى اعتمد عليها فى فخره كانت جاهلية ، ولأنه حديث عهد بحياة العرب ، كذلك نجده عاش أكثر عمره فى الجاهلية وطبع بطبائعها ، حتى صعب عليه الانسلاخ منها .

فلا عجب من هذا الفخر والاعتزاز بفضائل قوم النايعة ، هذه الفضائل بلغت عنان السماء ، فغمرتها الروح الجاهلية ، إذ هو واقف أمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) منشدا قصيدته ، وقد جاء مسلما فقال :

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٤ .
^٢ - ايليا الحاوي ، فن الفخر وتطوره فى الأدب العربي ، منشورات دار الشرق الجديد ، ط ١ ، ١٩٦٠ م ، ص ٦ .

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدًا وَجُودًا وَسُودَدًا وَإِنَّا لَنَرْجُو، فَوْقَ ذَلِكَ، مَظْهَرًا^١

فأكد بذلك سيادة النهج الجاهلي في قصيدته ، وهى جاهلية لمحها الرسول (صلى الله عليه وسلم) فنجده قائلاً له : " إلى أين يا أبا ليلي ؟ " ، فأحسن النابغة التخلص إذ قال : إلى الجنة بك يا رسول الله ، فأكرمه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودعا له .

عمرو بن أحمر افتخر بنفسه وقبيلته فقال :

نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا مَا شَتَّتْ أَسْمَعْنَا دَاعٍ فَجئْنَا لِأَيِّ الْأَمْرِ نَأْتِمِرُ
لَسْنَا بِأَجْسَادٍ عَادٍ فِي طِبَائِعِنَا لَا نَأْلَمُ الشَّرَّ حَتَّى يَأْلَمَ الْحَجْرُ
وَلَا نَصَارَى عَلَيْنَا جُزِيَّةٌ نُسَكُّ وَلَا يَهُودُ طَغَامٌ دِينُهُمْ هَدَرُ
إِن نَحْنُ إِلَّا أَنْاسُ أَهْلِ سَائِمَةٍ مَا إِنْ لَنَا دُونَهَا حَرْثٌ وَلَا غُرْرُ^٢

فخره بنفسه وقبيلته نجده في سماعهم لداعي الجهاد ، فيتسابقون لأي أمر يأمرونهم به . ثم يقول : نحن ليس كقبيلة عاد الذين هم كبار الحجم ، لكننا نحن أهل شجاعة وفراسة ، لا نخاف الشر ولا نتألم منه إلا إذا تألم الحجر ، صبورين فى وقت الشدة ؛ لأننا مسلمون ، ليست نصارى ولا يهود أوغاد هدر دينهم ، بل نحن بدو أهل أبل وماشية ، ما لنا غيرها حرث ولا إماء ولا عبيد .

فالفخر هنا " يمتل ويحسد تلك المشاهد عبر اللفظ ، ويقدر ما يوغل الإنسان فى البداوة بقدر ذلك تشتت نزع الفخر فى شعره ، فالبدوي لا ينظر إلى الأشياء نظرة منطقية . بل ينظر فى شعور حاد كثير الصخب ، يولد المعاني الهائلة ، الخارقة التى تغلب على شعر الفخر . ولعلنا نتبين ذلك فى مظاهر حياته كافة "^٣ . فتميم بن

مقبل يفتخر على خديج أخ النجاشي الشاعر فيقول :

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٤ .

^٢ - المصدر نفسه ، ص ٣٩٣ .

^٣ ايليا الحاوي ، فن الفخر ، ص ٧ .

أَبْلَغُ خَدِيجًا ، فَإِنِّي قَدْ كَرِهْتُ لَهُ
أَرَكَ تَجْرِي إِلَيْنَا غَيْرَ ذِي رَسَنِ
وَقَدْ بَرَيْتَ قِدَاحًا أَنْتَ مُرْسِلُهَا
فَاقْصِدْ بِذِرْعِكَ، وَاعْلَمْ لَوْ تَجَامِعُنَا
مَرَّ السَّهَامِ بِخِرْصَانٍ مُسَوِّمَةٍ
بَعْضَ الْمَقَالَةِ يُهْدِينَا فَتَأْتِينَا
وَقَدْ تَكُونُ إِذَا نَجْرِيكَ تُعِينَا
وَنَحْنُ رَامُوكَ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَرْمِينَا
أَنَا بَنُو الْحَرْبِ نَسْقِيهَا وَتَسْقِينَا
وَالْمَشْرِفِيَّةُ نَهْدِيهَا بِأَيْدِينَا^١

افتخر تميم على خديج الذي أرسل له يحذره من كلام قاله واستهزأ به ، فقال له:
أراك تجري إلينا من غير رسن ، أي من غير تعب وجهد ، فأنت قد بريت سهامك
كي ترمينا بها ، وسوف نرمىك بذات السهام ، ونسقيك بالدماء ؛ لأننا معروفين
بدرونا وأيامنا في الحرب ، فنحن بنوها خبرناها وخبرتنا ، ومشائيم أشرار في
الحرب على أعدائنا ، وميامين أصحاب خير وبركة ، فإذا كنت جاهلها ولم تدري
بها فأترك الحرب وابتعد عنا ، فإن لم تكن بعيداً سوف نأخذك وتصبح مرهونا
على أيدينا ، فنحن أهل حرب إن احتجت لها فيقول :

أَيَامُنَا شِيمٌ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهَا
وَعَاقِدِ التَّاجِ أَوْسَامٍ لَهُ شَرَفٌ
فَاسْتَبْهَلِ الْحَرْبَ مِنْ حَرَآنٍ مُطْرِدٍ^٢
يَوْمَ الطَّعَانِ، وَتَلْقَاهَا مِيَامِينَا
مِنْ سُوْقَةِ النَّاسِ نَالَتْهُ عَوَالِينَا
حَتَّى يَظَلَّ عَلَى الْكَفِيِّنِ مَرْهُونَا^٣

أيضا يفخر برماحهم ودروعهم ، وأيامهم المعروفة ، وحربهم وشجاعتهم ،
وقوتهم في سقايتهم له بدم الأعداء . ففخر تميم هنا بالأبء والأجداد والتطاول
بالأهل والعشيرة ، وخوضهم للمعارك ، بجمعهم وكميتهم الهائلة وذلك في قوله :
وَإِنَّ فِينَا صَبُوحًا^٤ إِنْ أَرَبْتَ بِهِ
جَمْعًا بَهِيًّا وَلَا فَا ثَمَانِينَا^٥

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٩ .

^٢ استبهل : أترك . الحران : الشديد العطش . مطرد : مبتعد .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٩١ .

^٤ الصبوح : شراب الصباح ، وأراد به الحرب . أربت : كلفت .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ .

فالفخر من الأغراض الشعرية القديمة ، مثله في ذلك مثل غرض المدح ، وقد ظل الشعراء منذ العصر الجاهلي يتغنون بهذا اللون الشعري ، مجسدين من خلاله مآثرهم ومثالياتهم الخلقية على المستوى الذاتي والجماعي ، من الشجاعة والوفاء والمروءة والعزة والكرامة وغير ذلك من الشيم الرفيعة التي ترفع من شأن الإنسان والقبيلة في المجتمع . حيث أنه غرض يتناسب مع البيئة العربية ومع إنسانها ، كما أنه ينسجم مع النسيج الاجتماعي لمجتمع القبيلة ، فدواعي القوة والشجاعة تشكل في أهم خصائص المجتمع العربي .

المبحث الخامس :

أغراض أخرى

- ١ . الهجاء .
- ٢ . الشكوى والعتاب .
- ٣ . الإعتذار .
- ٤ . الحكمة والمثل .

الهجاء لغة : الشتم بالشعر .

إصطلاحاً : هو غرض من أغراض الشعر ، يتناول فيه الشاعر الذم والتشهير بعيوب خصمه المعنوية والجسمية ، وهونقيض المدح .^١ فهو من الأبواب القديمة فى الشعر العربي ، لكنه فى الجاهلية و صدر الإسلام كان يقصد به الحط من قبيلة أو عشيرة ، وقلما كان يقصد به تحقير فرد . وكان متمماً لباب الفخر ، فالشاعر كان يبذل جهده فى أن يرفع من شأن قبيلته ، ويحط من شأن قبيلة أعدائه^٢ وهو فن من الفنون العربية القديمة التى نظم فيها الشعراء .

الهجاء ضد المدح ، وهو أخراج العيوب ، ويقال : فلان يهجو فلانا هجاء يعد معانيه^٣ . والقصد منه الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ، ومعان بديعة ، لا التشفي بالأعراض والوقوع فيها ، وليس الهجاء دليلاً على إساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به ، فما كل مزوم بزميم ، وقد يهجي الإنسان بهتاناً وظلماً ، أو عبثاً ، أو إرهاباً

وقف القاضي الجرجاني على أبلغ الهجاء فقال :

" فأما الهجو فابلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه ، وسهل حفظه ، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه

^١ غازي ظليمات ، الأدب الجاهلي ، ص ٢١٨ ..

^٢ طه حسين ، التوجيه الأدبي ، ص ١٦٩ .

^٣ سراج الدين محمد ، الهجاء فى الشعر العربي ، دار الراتب الجامعية - بيروت ، (بدون تاريخ) ، ص ٢٧ .

^٤ الاشبيهي ، المستطرف فى كل فن مستظرف ، ص ٢٤٥ .

بالنفس ، فأما القذف والإفحاش فسباب محض ، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن ، وتصحيح النظم^١ .

ففى المشوبات لم أجده ، إلا أبيات معدودة عند النابغة الجعدي وهى :
إذا افتخر الأزدي يوماً، فقل له تأخر، فلم يجعل لك الله مفخراً
فإن ترد العلياً، فاست بأهلها وإن تبسط الكفين بالمجد تقصراً
إذا أدلج الأزدي أدلج سارقاً فأصبح مخطوماً بلوم معزراً^٢

يقول النابغة هاجئاً لقبيلة الأزدي ، إذا أراد أن يفتخر منكم أحد ، فليصبر ولينتظر ، لأنه لم يصل إلى الفخر ولم يجعل الله له ذلك ، وإذا أراد أن يبلغ العلا ، فلم يكن هو من أهلها ، وهل يحق للأزدي أن يفتخر بقومه وشرفهم وعزهم مع أن الله لم يهبه ما يفخر به ؟ ! بل إذا أراد أن يفخر تقصر يداه ، لأنه ليس أهل لذلك . فالنابغة كان لسان قبيلته والمدافع عنها ، وكان على أعدائها كالسيف القاطع ، لذا كان فى الجاهلية إذا نبغ شاعر فى القبيلة يقيمون له الاحتفالات فرحاً به ، وكم من قبيلة لم تكن شيئاً لولا شعرائها .

الشكوى والعتاب :

شكوت فلانا اشكوه شكوى وشكاية وشكية وشكاة إذا أخبرت عنه بسوء فعله بك ، فهو مشكو ومشكى ، والاسم الشكوى . الشكاية والشكية إظهار ما يصفك به غيرك من المكروه ، واشكيتته أيضا إذا اعتبته من شكواه ونزعت عن شكائه وأزلت عما يشكوه^٣

فالشكوى هى التألم والتوجع مما به من مرض ، والشكو عند العرب الحمل الصغير ، شكا مرضه للطبيب : إذا شرحه له ، وشكا أمره إلى الله إذا تضرع إليه بالدعاء . كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ

^١ القاضي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبى وخصومه ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص ٢٤ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٤ .

^٣ ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٤ ، ص ٤٣٩ .

مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وقوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ . وفى الدعاء المعروف لابن الأسقع ، أنه كان يحفظ من دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) : " يا موضع كل شكوى ، ويا شاهد كل نجوى ، بكل سبيل أنت مقيم ، ترى ولا ترى ، وأنت بالمنظر الأعلى " .^٣

أما العتاب فقال بعض الحكماء فيه : " العتاب علامة الوفاء ، وسلاح الأكفاء ، وحاصد الجفاء " ، وقال سيدنا عمر (رضى الله عنه) " اعقل الناس اعذرهم لهم " .^٤ فهو نعم الدواء إذا عرض فى الود داء ، ولكنه إذا لم يصادف العلة ، أفسد الصحة ، ومعاتبة البرئى والسليم ك معالجة الصحيح غير السقيم .^٥ وجاء فى الأمثال " ظاهر العتاب خير من باطن الحقد ، العتاب قبل العقاب " .^٦

أما فى القرآن الكريم فجاء أسلوب العتاب كثيراً ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿١٤﴾ .^٧ أي بسبب ما قلتم فى السيدة عائشة (رضى الله عنها) عذاب عظيم فى الدنيا والآخرة . وهذا عتاب من الله تعالى بليغ ، ولكنه برحمته ستر عليكم فى الدنيا ، ويرحم فى الآخرة من اتاه تائباً .^٨ وقوله تعالى : ﴿ إِنْ نُنُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ ﴿٤﴾ .^٩ الخطاب للسيدة حفصة والسيدة عائشة (رضى الله عنهما)

^١ سورة يوسف ، آية : ٨٦ .

^٢ سورة المجادلة ، آية ١ .

^٣ ابن قتيبة ، غريب الحديث ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨ م ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ .

^٤ ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص ١٥٥ .

^٥ الثعالبي ، سحر البلاغة وسر البراعة ، تحقيق : أحمد عبيد ، مطبعة الترقى ، ط ١ ، (بدون تاريخ) ، ج ١ ، ص ٤٧ .

^٦ الميداني (أبى الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني) ، مجمع الأمثال ، تحقيق : عبد الرحمن محمد ، ١٣٥٢ هـ ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

^٧ سورة النور ، آية : ١٤ .

^٨ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٢ ، ص ٢٠٣ .

^٩ سورة التحريم ، آية : ٤ .

على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في المعاتبة^١. فالعتاب : وإن كان حياة المودة وشاهد الوفاء باب من ابواب الخديعة ، يسرع إلى الهجاء وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء ، فإذا قلَّ كان داعيه الإلفة وقيد الصحبة ، وإذا كثُر خشن جانبه ، وثقل صاحبه ، وللعتاب طرائف كثيرة ، وللناس ضروب مختلفة ؛ فمنه ما يمازجه الاستعطف والاستئلاف ، ومنه ما يدخله الاحتجاج والانتصاف ، وقد يعرض فيه المن والاحجاف مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف^٢. وأحسن

الناس طريقا في عتاب الأشراف **كعب بن زهير** حيث يقول :

وقال كلُّ خليلٍ كنتُ أملهُ
لا ألهيئكِ إنِّي عنك مشغولٌ
فقلتُ خلّوا سبيلي لا أبأ لكمُ
فكلُّ ما قدرَ الرحمنُ مفعولٌ^٣

هذا العتاب لسيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) عندما استجارهم . فقالوا له : إنا نكره أن نجير على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد أهدر دمك ، فلما يئس من نصرة أخلائه أمرهم أن يخلوا طريقه ولا يحبسوه عن المثل بين يدي النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فيقضي فيه حكمه ، فإن نفسه قد أيقنت أن كل شيء قدره الله تعالى فهو واقع^٤

الإعتذار :

هو " أن يذهب الشاعر في ذلك مذهبا لطيفا ، ليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه ، وكيف يمسح أعطافه ، ويستجلب رضاه ، فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج ، واقامة الدليل خطأ ولا سيما مع الملوك وذوي السلطان ، وحقه أن يلفظ برهانه ، طالب الكشف عن كذب الناقل ، محيلا الكذب على الحاسد ، متصلا من الذنب"^٥ ، وينبغي للشاعر " أن لا يقول شيئا يحتاج أن يعتذر منه إلا إذا اضطره المقدار إلى ذلك ، وأوقعه فيه القضاء^٦ .

^١ الألويسي ، روح المعاني ، ج ٢١ ، ص ٩٥ .

^٢ الأزدي ، العمدة ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل - بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٢م ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٩ .

^٤ التبريزي ، بانت سعاد ، ص ٦٥ .

^٥ جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٢٧١ .

^٦ أنظر : الأزدي ، العمدة ، ص ٧٦ .

روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " من أعتذر إليه أخوه المسلم فليقبل عذره ما لم يعلم كذبه " ^١ ، وقال سيدنا الحسن بن سيدنا علي (رضى الله عنهما) : " لو أن رجلا شتمني في اذني هذه وأعتذر في اذني هذه لقبات عذره " ^٢ ، وقيل : " إذا نطق لسان الاعتذار ، فليتسع نطاق الاغتفار " ^٣ .

في المشروبات نجد الاعتذار قليل عند كعب والحطيئة فقط .
فالاعتذار عند كعب ، عندما أخبروه بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أهدر دمه ، فجاء للنبي (صلى الله عليه وسلم) معذرا طالبا للعفو والصفح الجميل فقال :

<p>وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ قُرْآنٍ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلٌ أُذِنَبُ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ مِنَ النَّبِيِّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلٌ</p>	<p>أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي مَهْلًا! هَذَاكَ اللَّهُ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْ لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ لَظَلَّ يُرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ</p>
---	--

يقول أخبرت أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تهددني ، وأنا آمل في عفوهِ .
ثم يخاطب النبي (صلى الله عليه وسلم) فيقول له : لا تعجل لي العقاب ، فأنت الذى أنزل عليك القرآن الكريم فيه وعظ وأحكام ، ولا تصدق في قول الوشاة ؛ الذين ينقلون الأخبار ، فأنا برئ مما نسبوه إلي على الرغم من كثرة ما قالوه ضدي . ثم ذكر مجلس الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهيبته بين أصحابه وألتفافهم حوله فى الأدب والاحترام فقال: هذا المقام الذى أنا فيه أرى وأسمع ، لو حضره الفيل وسمعه لأخذته رجفة الخوف إلى أن يمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليه بالأمان . فذكر الفيل دون باقي الحيوانات الأخرى واختصه بذلك ؛ لعظم حجمه وكبره .

^١ ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص ١٠٥ .
^٢ الحصري (أبو اسحق إبراهيم بن علي القيرواني ، ت ٤٥٣ هـ) ، زهر الآداب وثمر الألباب ، شرح زكي مبارك ، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ، ط ٢ ، [١٩ - م] ، ج ١ ، ص ١٤١ .
^٣ الثعالبي ، يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، (بدون تاريخ) ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .
^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٩ .

أما الحطيئة فيعتذر لسيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) من هجاءه للزبرقان بن بدر فقال :

أَنْتَ لِسَانٌ فَكَذَّبْتُهَا و ما كنتُ أحذرُها أن تقالا
بأن الوشاة بلا عذرة أتوك فقالوا لديك المحالا
فَجِئْتُكَ مُعْتَذِرًا رَاجِيًا لِعَفْوِكَ أَرْهَبُ مِنْكَ النَّكَالَا
فلا تسمعن بي قول الوشاة و لا تُوكِلنني هُدَيْتَ الرَّجَالَا
فإنك خيرٌ من الزبرقان أشدُّ نكالا وخيرٌ نوالا^١

يقول الحطيئة لسيدنا عمر (رضى الله عنه) : جاءني خبر فكذبتك وكنت خائف منه ، بأن ناقلا الأخبار جاءوا إليك وقالوا لك ما لم أقله . والآن أنا بين يديك جئت اعتذر راجياً العفو والسماح ، واخاف العقاب والعذاب ، فلا تسمع في قول الأعداء ولا تتركني لهم ؛ لأنك أنت من هديت وأصلحت الرجال ، وخير حكم عدل ، وتجعل من يخطأ عبرة للغير .

الحكمة :

كان الشعراء في الجاهلية من أرقى الطبقات عقلاً وأدقهم شعوراً ، ولقد سبقوا قومهم إلى إدراك كثير من حقائق الحياة فصاغوها في شعرهم فكانت تدل على صفاء أذهانهم وصدق نظرهم في الطبيعة وأحوال الناس . لذا ظهر في العصر الجاهلي عديد " من الحكماء ، منهم الشعراء ومنهم الخطباء ، فمن الخطباء قس بن ساعدة ، ولقمان بن عاد ، وأكثم بن صيفي ، ومن الشعراء عدي بن زيد ومن ذلك قوله :

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلَّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي^٢
وعبيد الأبرص القائل :

تَرَى الْمَرْءَ يَصْبُو لِلْحَيَاةِ وَطُولِهَا وفي طول عَيْشِ الْمَرْءِ أْبْرَحُ تَعْذِيبِ^٣

(١) أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٩ .
(٢) ديوان عدي بن زيد ، تحقيق : محمد جبار المعيب ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد - مديرية الثقافة العامة - بغداد ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ، ص ٤٠ .
ديوان عبيد الأبرص ، دار بيروت للطباعة ، ١٩٥٨ م ، ص ٢٤٦ .

وطرفة بن العبد في قوله :

سُتَبْدَى لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ^١

ويعلق على ذلك عبد الحميد الجندي بقوله : " إن هذه الحكم لم تزد على أن تكون في جملتها أشبه بالحقائق المجردة التي لا تبعد عن تناول الفطرة ونتاج التجربة والمشاهدة ، وتجدها منشورة هنا وهناك في شعرهم ، لا تتجاوز عند الواحد منهم البيت أو البيتين ، فهي خواطر عابرة لا تستطيع أن تقف هيكلًا لفن بذاته هو فن الحكم " ^٢

ولم تكن غرضا خاصا من أغراض الشعراء يقصدون إليه ، وإنما كانوا يضعون الحكمة في ثنايا شعرهم أو آخر قصيدتهم ودرجوا على هذا المنوال ، فضمنوا قصائدهم نظراتهم في الحياة مركزة في جمل قصيرة. ^٣

لذلك تعد الحكمة العربية في الجاهلية أشد ما يميز ثقافة العربي في ذلك الوقت حتى إن العرب تناقلتها فيما بينها ، واشتهرت فكثرت في شعرها ونثرها . فترددت الحكمة في المشوبات على تفاوت فيما بينها ، ولكننا أكثر ما نراها واضحة في قصيدة النابغة في قوله :

وَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَا تُطِيقَانِ دَفْعَهُ فَلَا تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ، وَأَصْبِرَا
أَلَمْ تَرَيَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعُهَا قَلِيلٌ، إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَّى وَأَذْبِرَا
تَهْيِجُ الْبُكَاءِ وَالنَّدَامَةَ ثُمَّ لَا تُغَيِّرُ شَيْئًا، غَيْرَ مَا كَانَ قُدْرًا^٤

فحكمته هذه جاءت لطول تجاربه ، وأظهر فيها روح الدين الإسلامي ، فهو لا يرى في الملامة نفعا إذا ما وقع قضاء الله وقدره . فحكمه تدل على البيئة التي عاش فيها وتجاربه الكثيرة مع طول عمره . وفيها مفاهيم إسلامية واضحة . ومن حكمه أيضا نجده يقول :

^١ ديوان طرفة ، ص ٤٤ .
^٢ عبد الحميد سند الجندي ، زهير بن أبي سلمى شاعر السلم في الجاهلية ، المؤسسة العلمية العامة ، (بدون تاريخ) ، ص ٢٤٨ .
^٣ جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٢٨٩ .
^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٧ .

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
حَلِيمٌ، إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أُصْدِرَا^١

يقول النابغة : لا خير في الحلم ولا الجهل ، إذا لم توجد له بوادير تمنع الصفو من التكدير ، وكذلك شخص حليم يأخذ الأمر ويتمته . يتمثل في قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^٢ أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم ، وما أتى منهم ، وتسهل من غير كلفة ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا^٣ . كقوله (صلى الله عليه وسلم) : " يسروا ولا تعسروا"^٤ .

أيضا الحكمة نجدها في الحديث : قول النبي (صلى الله عليه وسلم) " ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب "^٥ .

كذلك نجد الحكمة في قصيدة كعب يقول فيها :

كُلُّ ابْنِ أُنْتَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ ،
يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذْبَاءَ مَحْمُولٍ^٦

يقول كل إنسان وإن طال عمره ، وسلم من مصائب الزمن ، سيأتي عليه يوم يحمل فيه على النعش .

فهذا وارد ذكره في قول الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾^٧

والمعنى فلا تقيموا في دار الشرك خوفا من الموت ، ثم إلينا ترجعون بعد

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٤ .

^٢ سورة الأعراف ، آية : ١٩٩ .

^٣ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : عبد الرازق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، (بدون تاريخ) ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .

^٤ النساء ، السنن الكبرى ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ج ٣ ، رقم الحديث ٥٨٩٠ ، ص ٤٤٩ .

^٥ صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، (بدون تاريخ) ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ ، رقم الحديث ٢٦٠٩ .

^٦ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٩ .

^٧ سورة العنكبوت ، آية : ٥٧ .

الموت فنجزيكم بأعمالكم^١. وكذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيُّمَّا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾^٢ (٧٨) المعنى : حيثما تكونوا ينلكم الموت فتموتوا ولو كنتم فى قصور محصنة^٣.

وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^٤ (٨) فى هذه الآية دليل على أنهم لو تمنوا ماتوا ، وأنهم لو لم يتمنوا فرار من الموت فإنه ملاقيهم^٥.
فالحكمة هى تعبير دقيق مؤجز عن تجربة من التجارب الإنسانية العامة ، تتضمن تفسيراً وتصويراً لوقوعها على النفس ، بحيث تجعلها تتعظ وتأخذ العبرة .

وتأتى الحكمة نتيجة لتجارب نفس حساسة ، أثرت فيها التجارب من جراء أحداث وقعت عليها . وبذلك تعيش عبر الزمن بنفس القوة والحيوية . كما قال القطامي :

ليسَ الجديدُ به تبقى بشاشته إلا قليلاً ولا ذو خلة يصل
والعيشُ لا عيشَ إلا ما تقرُّ به عيناً ولا حال إلا سوف ينتقل
والناسُ من يلقَ خيراً قائلون له ما يشتهي ولأمُّ المخطئ الهبل
قد يدرك المتأنى بعضَ حاجته وقد يكونُ مع المُستعجلِ الزللُ^٦

يقول القطامي : ليس كل شئ جديد يبقى على حاله إلا ما ندر ، ولا الصديق يداوم على التواصل . هذا إلتماس فى قول الله تعالى :

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ﴾^٧ (٨٨) فكل شئ هالك إلا وجهه ، أى إلا إياه فالوجه يعبر به عن الذات^٨.

^١ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، زاد المسير فى علم التفسير ، المكتب الإسلامى - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٧م ، ج ٦ ، ص ٢٨١ .

^٢ سورة النساء ، آية : ٧٨ .

^٣ محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ج ٥ ، ص ١٧٢ .

^٤ سورة الجمعة ، آية : ٨ .

^٥ السمعاني ، تفسير القرآن ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس غنيم ، دار الوطن - الرياض - السعودية ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، ج ٥ ، ص ٤٣٣ .

^٦ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٤ .

^٧ سورة القصص ، آية : ٨٨ .

^٨ النسفى ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفى) ، طبعة القاهرة ، ١٣٤٤هـ ، ج ٣ ، ص ٢٤٩ .

فالأبيات السابقة فيها حكم صالحة لجميع الأزمنة والأمكنة . فالناس فى حال متغيرة لأن الدهر فى تغير ، يوم لك ويوم عليك ، والأيام دول . ففى التانى السلام وبلوغ المرام كما فى العجلة الزلل وعدم التوفيق . يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة " .^١ إذا لكل محب فلسفته الخاصة فى الحب ، يستقرئها من نظرتة إلى الحياة بشكل عام ويدعمها بتجربته الخاصة ، حتى يصل إلى مرحلة يستطيع معها أن يطلق ما يشبه الحكمة والموعظة فى أحوال الحب والمحبين .

^١ الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري فى شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة - بيروت ، (بدون تاريخ) ، ج ١٠ ، ص ٥٣٧ .

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول

بناء القصيدة فى المشوبات

المبحث الثاني

اللغة والأسلوب

المبحث الثالث

الأوزان والقوافي

المبحث الرابع

الصورة الفنية

المبحث الخامس

الفنون البديعية

المبحث الأول :

بناء القصيدة :

علل ابن قتيبة بناء القصيدة العربية : من استهلها بالبكاء على الأطلال ثم الانتقال إلى وصف الرحلة والنسيب : " ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعي إصغاء الأسماع ؛ لأن التشبيب قريب من النفوس لائت بالقلوب لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام ، فإذا استوثق من الاصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق^١ .

لذا يجب أن تكون " القصيدة كلها ككلمة واحدة في إشتباه أولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة ، وجزالة ألفاظ ، ودقة معان وصواب تأليف ، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يضعه إلى غيره من المعاني خروجا لطيفا . حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً^٢ . فابن قتيبة يؤمن أن بناء القصيدة على هذه المقدمات إنما كانت تستدعيه الرغبة في لفت الانتباه ، وإشراك السامعين في عاطفة الشاعر ، ثم قال : لا بد أن يظل متناسب الأجزاء معتدل الأقسام ، فلا يطيل في قسم منها فيملئه السامعين ، ولا يقطع بالنفوس ظمأ إلى مزيد ، يذكر أن القصيدة قد تتكون من مقدمة طللية ومن نسيب ثم وصف الرحلة للممدوح ، ثم المدح ، فإنه يدلنا على أن لا بد للقصيدة أن تحافظ على الطول المعين^٣ .

كانت القصيدة الجاهلية موضعا للعديد من الموضوعات ، فهي تحمل تاريخ أمة بأكملها ، وتقاليد مجتمع في فترة زمنية محدودة ، يبدوها الشاعر بالغزل أو بالوقوف على الأطلال ووصف الديار الدارسة ، ثم منتقلا للوصف ، سواء كان وصف ناقته التي يركبها أو وصف الصحراء بما فيها ، ثم يأتي بعد ذلك لغرضه الأساسي الذي كانت من أجله القصيدة سواء كان مدحا أو فخرا أو غيرها من

^١ إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة - بيروت - لبنان ، ط ٤ ، ١٩٨٣ م ، ج ١ ، ص ١١٢ ، الشعر والشعراء ، ص ٢٠ .

^٢ ابن طباطبا ، عيار الشعر ، تحقيق : عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، (بدون تاريخ) ج ١ ، ص ٣٧ .

^٣ أنظر : إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ج ١ ، ص ١١٢ .

الأغراض الأخرى ، ثم يختتمها بما شاء من حكمة أو مثل وغير ذلك ، وعلى هذا كانت القصيدة الجاهلية .

وإذا انتقلنا بالموضوع إلى بناء القصيدة فى المشوبات ، فالقصيدة عندهم تبدأ بالوقوف على الأطلال وذكر الديار ، أو وصف الطيف والخيال ، وغالبا ما تبدأ بالغزل ، أو التحسر على الشباب والبكاء عليه ، ثم يخرجون للفخر أو المديح أو الاعتذار أو الحكمة ، وينفذون من خلال معان الفخر والمديح إلى وصف الناقة والصحراء من حولهم ، فناقتهم قوية صبورة تتحمل المشاق كأنما اكتسبت هذه الصفات من صاحبها ، والصحراء واسعة ممتدة مجهولة الطرق مخوفة بالمخاطر. فالبناء الفني للقصيدة يفرض علينا أن نتعرض لثلاث قضايا هامة تشكل فى مجموعها القضايا الأكثر أهمية فى بناء القصيدة ومنهجها الفني . وهذه القضايا هى :

١/ الاستهلال " المقدمة " .

٢/ التخلص والخروج .

٣/ الخاتمة والنهاية .

الاستهلال أو المقدمة :

يشكل الاستهلال أو المطلع عند النقاد أهمية بالغة ، ويحظى باهتمام كبير ، فابن رشيق يرى أن الشعر " قفل أوله مفتاحه " ^١. فأثارت مقدمة القصيدة العربية " اهتمام النقاد والدارسين ، قدماء ومعاصرين ، من عرب ومستشرقين ؛ فأقبلوا عليها ، محللين ومحللين ، ودارسين ، وكُتِبَ فيها البحوث ، وأُلِّفَت فيها الكتب ، وعلى الرغم من ذلك فهى لا تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسات والبحوث لتجلية بعض الجوانب ، وتغطية بعض المساحات التى لا تزال بكرا لم تردها الأقدام ولم تطأها المناسم ^٢. وقد كانوا حريصين على أن يكون المطلع على قدر كبير من

^١ ابن رشيق ، العمدة ، ص ٢١٨ .

^٢ د . محمود عبد الله أبو الخير ، أستاذ اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والادارية ، جامعة الملك خالد ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، مقدمة القصيدة الجاهلية عند حسان بن ثابت رضى الله عنه ، العدد ٢١ ، ج ٧ ، ص ٢٧٨ .

الجودة والدلالة على المقصود ، ويرى ابن الأثير " إن كان هناء فهناء ، وإن كان عزاء فعزاء^١ .

وخلاصة القول إن الاستهلال يعد بابا من أبواب البلاغة ، وبالذات من أبواب المحسنات الأسلوبية ، وهو عنصر من عناصر بناء العمل الأدبي ، سواء كان خطبة أم قصيدة . ولا بد أن يراعي في الاستهلال أو المطلع مجموعة من القواعد حددها النقاد بقولهم " وحسن الابتداء أو براعة المطلع : هو أن يجعل الكلام رقيقا واضح المعاني ، مستقلا عما بعده ، مناسباً للمقام ، بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكلية ؛ لأنه أول ما يقرع السمع وبه يعرف مما عنده^٢ .

فالقصيدة الجاهلية غالبا ما تبدأ بالنسيب والوقوف على الأطلال ، بعدها يتخلص الشاعر من مواطن لوعته وذكرياته إلى وصف مسيرته . كذلك يعمد إلى وصف الحيوان وصفا شاملا ، بعدها يدخل في موضوع القصيدة ، وقد لا يتجه الشاعر الجاهلي إلى التعبير عن حقيقة موضوعه إلا في آخر القصيدة ، ونقف هنا أمام مقدمة غزلية ، موضوعها الاعتذار وطلب العفو . فيقول كعب :

بانتُ سَعَادُ ، فقلبي اليوم متبول	مَتَيْمٌ إِثْرَهَا ، لم يَفَدَ ، مَكْبُولُ
وما سَعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إِذ رَحَلُوا	إِلَّا أَغْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
هَيْفَاءُ مَقْبَلَةً ، عَجَزَاءُ مُدْبِرَةً	لا يُشْتَكِي قِصْرُ مِنْهَا ، ولا طُولُ
تَجَلُّو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ	كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ
شَجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ ،	صَافٍ بِأَبْطَحِ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ
تَنْفَى الرِّيحُ القَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطُهُ	مِنْ صَوْبِ سَارِيَةٍ بِيضٍ يَعْالِيلُ
أَكْرَمَ بِهَا خَلَّةً ، لو صدقت	مَوْعُودَهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولُ
لكنها خَلَّةٌ قَدْ سَيِّطَ مِنْ دَمِهَا	فَجَعُ ، وولعُ ، وإِخْلَافُ ، وتَبْدِيلُ
فما تَدُومُ على حالٍ تكونُ بِهَا ،	كما تَلَوْنُ في أَثْوَابِهَا الغُولُ
ولا تَمَسُّكَ بالعَهْدِ الذِي زَعَمْتُ	إِلَّا كما يُمَسِّكُ المَاءَ الغَرَابِيلُ ^٣

^١ ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : د . أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر - القاهرة ، ط ١ ، ١٩٥٩م ، ج ٣ ، ص ٩٦ .

^٢ يس النصير ، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، ١٩٩٣م ، ص ٦٦ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

فَلَا يَغْرُنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ
 كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مَثَلًا
 أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا ،
 إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ
 وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
 وَمَا إِخَالُ لَدِينَا مِنْكَ تَنْوِيلُ^١

كذلك نجد قصيدة الحطيئة التي بدأها بالغزل والخيال الذي يروعه ، موضوعها
 الاعتذار وطلب العفو . فقال :

نَأْتُكَ أُمَامَةً إِلَّا سُؤَالَ
 خِيَالًا يَرُوعُكَ عِنْدَ الْمَنَامِ
 وَابْصُرْتَ مِنْهَا بَغِيْبٍ خِيَالًا
 وَيَأْبَى مَعَ الصُّبْحِ إِلَّا زَوَالَ
 كِنَانِيَّةً دَارَهَا غَرَبَةٌ
 تُجِدُّ وَصَالًا وَتُبْلِي وَصَالًا^٢

فهذه الأطلال هي التي كانت تسكنها الحبيبة ، وإليها يخفق قلب الشاعر ، ويمتد
 نظره إليها ، وخياله يحوم حواليتها ، حيث كان لقاءه . فما زالت باقية في نفسه ،
 وذكرياتها في خياله لا تفارقه .

فمعظم قصائد المشوبات تمثلت في النهج القديم ؛ منهج الشعراء الجاهليين في
 افتتاح قصائدهم بذكر الديار والوقوف على الأطلال وذكر المحبوبة ووصفها.

ولقد وقف النابغة مثل غيره من الشعراء الجاهليين على الأطلال الدارسة يسفح
 عبراته ويستوقف أصحابه بجانب هذه الديار الدارسة التي محتها الطبيعة ، فيقول:

خَلِيلِي عُوْجَا سَاعَةً، وَتَهَجَّرَا
 وَلَا تَجْزَعَا إِنَّ الْحَيَاةَ دَمِيمَةٌ
 وَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَا تُطِيقَانِ دَفْعَهُ
 أَلَمْ تَرِيَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعَهَا
 تَهِيحُ الْبُكَاءَ وَالنَّدَامَةَ ثُمَّ لَا
 أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى،
 وَلَوْ مَا عَلَى مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ، أَوْ ذَرَا
 فَخَفًا لِرُوعَاتِ الْحَوَادِثِ، أَوْ قَرَا
 فَلَا تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ، وَاصْبِرَا
 قَلِيلٌ ، إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَى وَأَدْبِرَا
 تُغَيِّرُ شَيْئًا، غَيْرَ مَا كَانَ قُدْرًا^٣
 وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ نَيْرًا

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٦ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٧٧ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٥٧ .

خَلِيلِيَّ قَدْ لَاقَيْتُ مَا لَمْ تَلَاقِيَا، وَسَيَّرْتُ فِي الْأَحْيَاءِ مَا لَمْ تُسَيِّرَا
تَذَكَّرْتُ، وَالذَكَرَى تَهِيجُ لَذِي الْهَوَى، وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بَنِ مُحَرَّقِ، أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ مَقْفَرَا
كُهُولًا وَشُبَّانًا، كَأَنَّ وَجوهَهُمْ دَنَانِيرُ مِمَّا شَيْفَ فِي أَرْضِ قَيْصَرَا
وَمَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَ بَابِ وَدَارِهِ بِنَجْرَانَ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ أَتَنَصَّرَا
لدى مَلِكٍ مِنْ آلِ جَفْنَةَ، خَالَهُ وَجَدَّاهُ مِنْ آلِ امْرِئِ الْقَيْسِ أَزْهَرَا
يُذِيرُ عَلَيْنَا كَأَسَهُ وَشِوَاءَهُ مَنَاصِفُهُ وَالْحَضْرَمِيِّ الْمُحْبَّرَا
رَحِيقًا عِرَاقِيًّا، وَرَيْطًا شَامِيًّا وَمُعْتَصِرًا مِنْ مِسْكِ دَارِينَ أَذْفَرَا^١

أيضا نجد القطامي استهل قصيدته بمقدمة طليية ، ذكر فيها المنازل التي غيرها الزمن ، متحدثا فيها عن ما كانت عليه في الماضي حيث " علق ذهنه بوصف مكان الأهل والأحبة ، حتى أصبح خاصية في نشاطه الفني ، يبدع من خلاله عن همومه ومآسيه التي علفت بذاكرته " ^٢ فقال :

إِنَا مَحْيُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلُّ وَإِنْ بَلِيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطُّولُ
أَنْى اهْتَدَيْتَ لَتَسْلِمَ عَلَى دَمِنِ بِالْغَمْرِ غَيْرَهْنَ الْأَعْصُرُ الْأَوَّلُ
صَافَتْ تَعْمَجُ أَعْنَاقُ السِّيُولِ بِهِ مِنْ بَاكِرِ سَبِيْطٍ أَوْ رَائِحِ يَبْلُ
فَهَنَّ كَالْحَلْلِ الْمَوْشِيِّ ظَاهِرُهَا أَوْ كَالْكِتَابِ الَّذِي قَدْ مَسَّهُ الْبَلُّ
كَانَتْ مَنَازِلُ مَنْ قَدْ يُحِلُّ بِهَا حَتَّى تَغْيِرَ دَهْرٌ خَائِنٌ خَبْلُ
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بِشَاشْتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو خُلَّةٍ يَصِلُ
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنًا وَلَا حَالَةَ إِلَّا سَوْفَ يَنْتَقِلُ
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَالْأُمُّ الْمُخْطِئُ الْهَبْلُ
قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَّانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعَجِلِ الزَّلُّ^٣
أَضَحَتْ عُلْيَةُ يِرْتَاخُ الْفَوَادِ لَهَا وَلِلرَّوَسِمِ فِيمَا دُونَهَا عَمَلُ

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .
^٢ د . عبد القادر فيدوح ، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، دار صفاء - عمان ، ط ١ ، ٢٠١٠ م ، ص ٢٤٣
^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٣ .

بكل مُنخَرِقٍ يَجْرِي السَّرَابُ بِهِ يُمَسِّي وَرَاكِبُهُ مِنْ خَوْفِهِ وَجَلُّ^١

كذلك مقدمة الشماخ التي تحدث فيها عن الأطلال ، وعن محبوبته التي تركته وابتعدت عنه ، حيث ذكر اسمها وربط ذلك بالأطلال . كأنه أراد أن يثبت لها ارتباطه بالماض الذي لم ينسأه ، فقال :

عَفَا بَطْنُ قَوٍّْ مِنْ سُلَيْمَى فَعَالِزُ ، فَذَاتِ الصَّفَا فَاَلْمُشْرِفَاتُ النُّوَاشِزُ
وَمَرْقَبَةٌ لَا يُسْتَقَالُ بِهَا الرَّدَى ، تَلَافَى بِهَا حِلْمِي عَنِ الْجَهْلِ حَاجِزُ
وَكُلُّ خَلِيلٍ غَيْرِهَا ضَمَّ نَفْسِهِ ، لَوَصَّلِ خَلِيلٍ ، صَارِمٌ أَوْ مُعَارِزُ^٢

وفى مقدمة تميم بن مقبل الرائعة التي ذكر فيها محبوبته ليلى وكرر اسمها ، ثم ذكرا خيالها ووعودها الكاذبة ، وديارها التي كانت تسكنها فأصبحت أطلال لا يوجد بها غير الآثار البالية وآثار أخرى ، فهي عميقة الأثر في نفسه ، مرتبطه بحبه لها ، فيقول :

طَافَ الْخِيَالَ بِنَا رَكْبًا يَمَانِينَا وَدُونَ لَيْلَى عَوَادٍ لَوْ تُعَدِّينَا
مَنْهَنْ مَعْرُوفٍ آيَاتِ الْكِتَابِ وَقَدْ تَعْتَادُ تَكْذِيبُ لَيْلَى مَا تُمْنِينَا
لَمْ تَسْرِ لَيْلَى ، وَلَمْ تَطْرُقْ لِحَاجَتِهَا مِنْ سَرَوٍ حَمِيرَ أَبْوَالِ الْبِغَالِ بِهِ
أَمْسَتْ بِأَذْرَعِ أَكْبَادٍ فَحَمٌّ لَهُ يَا دَارَ لَيْلَى خِلَاءً لَا أَكْفَهُ
تُهْدِي الزَّنَانِيرُ أَرْوَاحَ الْمَصِيفِ لَنَا هَيْفٌ هُدُوجُ الضَّحَى سَهْوٌ مَنَاكِهَهَا
عَرَّجْتُ فِيهَا أَحْيِيهَا وَأَسْأَلُهَا فَقُلْتُ لِلْقَوْمِ : سَيِّرُوا لَا أَبَا لَكُمْ
وَطَاسِمٍ دَعَسُ أَثَارِ الْمَطِيِّ بِهِ وَكُنَّ يَمَانِينَا بِرُكْبَانِهَا
وَمِنْ ثَنَائِهَا فُرُوجُ الْكُورِ تَهْدِينَا يَكْسُونَهَا بِالْعَشِيَّاتِ الْعَثَانِينَا
فَكَذَنْ يُبْكِينَنِي شَوْقًا وَيَبْكِينَا أَرَى مَنَازِلَ لَيْلَى لَا تُحْيِينَا^٣
نَائِي الْمَخَارِمِ عَرْتِينَا فَعَرْتِينَا

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٨١ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٩٥ .

قد غيّرته رياحٌ ، واخترقن به
يصبحن دعساً مراسيل المطي به
في ظهر مرت عساقيل السراب به
كان أصوات أبكار الحمام به
أصوات نسوان أنباط بمصنعة
صوت النواقيس فيه ، ما تفرطه
كان أصواتها من حيث تسمعها
من مشرف ليط البلاط به
واطأته بالسرى حتى تركت به
حتى استبنت الهدى ، والبيد هاجمة

في كل ماتي سبيل الريح يأتينا
حتى يغيرن منه أو يسوينا
كان وغر قطاه وغر حادينا
من كل محنية منه يغنيننا
يجدن للنوح واجتبن التباينا
أيدي الجلادي ، وجون ما يغنيننا
صوت المحابض يخلجن المحارينا
كانت لساسته تهدي قرابيننا
ليل التمام ترى أسدافه جونا
يخشعن في الآل غلفاً أو يصلينا^١

أما عمرو بن أحمر فمقدمته أشبه بالأطلال الدائرة ، إذ هو ابتلاء وجودي له ،
عانى من ضياع الشباب وذهاب روعته ، وصار شائباً هرماً عجوزاً ، مثل الطلل
البالي ، فذكر شبابه وتحسر عليه ، بعد ما افناه الكبر . فقال :

بان الشباب وأفنى ضيعقه العمر
هل أنت طالب وتر لست مدركه
أم كنت تعرف آيات فقد جعلت
أم لا نزال نرجى عيشة أنفاً
يلحى على ذاك أصحابي فقلت لهم

لله درك أي العيش تنتظر
أم هل لقلبك عن الأفه وطر
آيات الفك بالودكاء تدثر
لم ترج قبل ولم يكتب بها زبر
ذاكم زمان وهذا بعده عصر^٢

وخلاصة القول أن النقاد قد أشاروا إلى ضرورة المطالع والاستهلالات فى
القصيدة ، فقد أعابوا على الشاعر عدم التمهيد لموضوعه الذى يقصده فقالوا :

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٧ .
^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٨٩ .

" فلا يهجم عليه مكافحة ويتناوله مصافحة ، فقد سموا ذلك ، الوثب ، والبتير ، والقطع ، والقصيدة إذا كانت على تلك الحال سميت بترا ، كالخطبة التي لا يبدأ فيها بحمد الله عز وجل " ^١ .

التخلص أو الخروج :

هو الخروج من معنى إلى معنى آخر ، " وبعض النقاد يسمي الخروج توسلا وتخلصا " ^٢ وانتقال الشاعر من وصف الناقة المؤجر إلى الغرض الأصلي الذي يصب فيه خلاصة ولائه في جمال وجودة ، يدل على أنه شاعر يحكم صنعة الشعر ويجوده ، فأنت لا تكاد تحس فرقا كبيرا بين ما كان فيه ، وما انتقل إليه ، وأنت لا تكاد تحس بفجائية الانتقال إلى المعنى الجديد ، فهو يربط بين المعاني بطريقة خفية ، تتسرب إلى نفسك في هدوء ، وتعد لونا من الصلة الشعرية بين السابق واللاحق " ^٣ ، بل يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول ، إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد ^٤ ، ويأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني ، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الأول سببا إليه — فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض ، من غير أن يقطع كلامه ، ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ أفرغا ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه ، من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ، ويكون منبعاً للوزن والقافية فلا توانيه الألفاظ على حسب أرائته ، وأما الناثر فإنه مطلق العنان يمضي حيث شاء ، فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر ^٥ .

^١ ابن رشيق ، العمدة ، ص ٢٣١ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ .

^٣ أنظر . فتحي أحمد عامر ، في مراعاة الشعر الجاهلي ، دار الاتحاد العربي للطباعة - القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ٢٧٣ .

^٤ ابن حجة الحموي ، خزنة الأدب وغاية الأرب ، تحقيق : عصام شعيتو ، دار مكتبة الهلال - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ م ، ج ١ ، ص ٣٢٩ .

^٥ ابن الأثير ، المثل السائر ، ص ٢٤٥ .

يقول حازم القرطاجني : " إن التخلص قد يأتي في شطر بيت أو في بيت بجملته أو في بيتين ، وإنه كلما قرب السبيل في ذلك كان أبلغ ، وأن من الأمور التي يجب اعتمادها في حسن التخلص الاحتراز من انقطاع الكلام من التضمين ، والحشو ، والإخلال ، واضطراب الكلام ، وقلة تمكن القافية والنقطة بغير تلطف".^١ فشعراء المشوبات في مشوباتهم اجادوا الخروج والتخلص كما اجادوا في الاستهلال والمطالع

ومن أمثلة التخلص الحسن عند **كعب بن زهير** . استهل قصيدته المدحية بمقدمة غزلية ، فهي من بديع وروائع المقدمات ، فأعرض من خلالها تجربته الخاصة في الحب وما كان يشعر به من لوعة ، وتتميم ، وشوق ، وصبابة ، فما زال يتكلم ويصف محبوبته . إلى أن تحول بخفة ورشاقة إلى غرض آخر وهو وصف الناقة التي توصله إلى مكان محبوبته الذي رحلت إليه ، فاستخدم في تخلصه أداة الاستثناء وهي " إلا " ليجذب السامع والقارئ إلى نقطة التحول والانتقال ، فيكون في البيت الثاني الذي يلي هذا البيت وصفه للناقة أكثر وضوحا ، فيشير إلى قدرتها على التعب والمشقة والمسافات البعيدة لكي تلحقه بمحبوبته سعاد فقال :

ولن يبَلِّغها إلا عذافرة	لها على الأيمن إرقال وتبغيل
من كل نضاعة الذفرى إذا عرقت	عُرِضَتْها طامسُ الأعلامِ مَجْهُولُ
ترمى الغيوبَ بعينى مُفردٍ لهق	إذا توقّدتِ الحِزَّانِ والميلُ
ضخَمَ مقلِّدُها فَعَمَّ مقلِّدُها	في خَلَقِها عن بناتِ الفحلِ تفضيلُ
غلباءٌ وجنَّاءٌ علكومٌ مُذكِّرةٌ	في دَفِّها سَعاةٌ قَدَّامَها ميلُ
وجلِّدُها من أطومٍ ما يؤيسُّه	طَلْحُ بضحاحيةِ المَتَّينِ مَهزولُ
حرفٌ أخوها أبوها من مَهجَنَّةٍ	وعَمُّها خالُها قوداءُ شِمْلِيلُ
يمشى القُرَّادُ عليها ثم يُزلقُه	منها لَبانٌ وأقربُ زَهاليلُ
عيرانةٌ قذفتُ بالنحنضِ عن عُرْضِ	مِرْفَقِها عن ضلوعِ الزورِ مَفْتولُ
كأنما فات عينيها ومذبحها	من خَطْمِها ومن اللِّحْيَيْنِ بِرِطِيلُ ^٢

^١ حازم القرطاجني ، منهاج البلاغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار المغرب الإسلامي - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٦م ، ص ٣٢١ .
^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٦ - ٣٦٨ .

تَمْرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصْلِ
قَنَوَاءٍ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا
تَخْدِي عَلَى يَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاهِيَةٌ
سُمْرُ الْعَجَايَاتِ يَبْرُكُنَ الْحَصَى زَيْمًا
يَوْمًا تَظَلُّ حِدَابِ الْأَرْضِ تَرْفَعُهَا
كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرَقَتْ
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ
شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعًا عَيْطَلُ نِصْفِ
نَوَاحِي رِخْوَةِ الضَّبْعِينَ لَيْسَ لَهَا
تَقْرِي اللَّبَانَ بِكْفِيهَا وَمَدْرَعُهَا
فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوِّتُهُ الْأَحَالِيلُ
عَتَقُ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَيْنِ تَسْهِيلُ
ذَوَابِلُ وَقَعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ
وَلَا يَقِيهَا رُؤُوسَ الْأَكْمِ تَنْعِيلُ
مِنَ اللُّوَامِعِ تَخْلِيْطُ وَتَزْيِيلُ
وَقَدْ تَلْفَعُ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ
وَرَقُ الْجِنَادِبِ يَرْكُضُ الْحَصَى قِيلُوا
قَامَتْ فَجَاوِبَهَا نَكْدٌ مَثَاكِيلُ
لَمَّا نَعَى بِكَرْهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ
مَشَقُّقٌ عَنِ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ^١

أيضا من تخلصه الحسن ما قاله في العتاب فنراه كيف أجاد الانتقال من وصف

الناقة إلى العتاب دون إحساس المستمع بهذه النقلة الرائعة فيقول :

يَسْعَى الْوُشَاةُ بِجَنبَيْهَا ، وَقَوْلُهُمْ :
وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ أُمَّلُهُ :
فَقُلْتُ : خَلُّوا سَبِيلِي ، لَا أَبَا لَكُمْ
كُلُّ ابْنٍ أَنْثَى وَأَنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
إِنَّكَ يَا بَنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ
لَا أَلْهَيْنَكَ ، إِنَّي عَنْكَ مَشْغُولُ
فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ^٢

كذلك من أمثلة التخلص نجد **النابعة الجعدي** في قصيدته التي ابتدأها بالوقوف على الأطلال ذاكرا أحبابه وحاكم الحيرة ونداماه وهذه الذكرى تهيج حبه ، وتجعله يستوقف أصحابه ساعة ، ثم ينتقل إلى الحديث عن وصف ناقته التي كان راكبا عليها عندما مرَّ على ديار أحبابه فقال :

رَحِيقًا عِرَاقِيًّا ، وَرَيْطًا شَامِيًّا
وَتِيهِ عَلَيْهَا نَسْجُ رِيحِ مَرِيضَةٍ
وَمُعْتَصِرًا مِنْ مِسْكِ دَارِينَ أذْفَرَا
قَطَعْتُ بِحَرْجُوجِ مَسَانِدَةِ الْقَرَا^٣

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٨ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٦٩ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٥٨ .

خَنُوفٍ مَرُوحٍ تُعَجِّلُ الْوَرُوقَ، بَعْدَمَا
 وَتُعْبِرُ يَعْفُورَ الصَّرِيمِ كِنَاسَهُ
 تُعَرِّسُ تُشَكُّو آهَةً وَتَذَمُّرًا
 وَتُخْرِجُهُ طَوْرًا، وَإِنْ كَانَ مَظْهَرًا^١

فكان الانتقال هنا بشكل انسيابي دون أن يحدث أي نوع من الاضطراب والانتقطاع حيث استعمل حرف " الواو " ليربط الكلام ويجذب له السامع ، وهذا ما نسميه بحسن التخلص وجيد الخروج من غرض إلى غرض ، فيقول في حسن تخلصه بعد وصف الناقة إلى وصف البقرة الوحشية وجؤذرها وقصتها مع الذئب :

كَمُرْقَدَةٍ فَرَدِّ مِنَ الْوَحْشِ حُرَّةٍ
 فَأَمْسَى عَلَيْهِ أَطْلَسَ اللَّوْنِ شَاحِيًا
 طَوِيلُ الْقَرَا، عَارِي الْأَشْجَعِ، مَارِدٌ
 فَبَاتَ يُذَكِّيهِ بِغَيْرِ حَادِدَةٍ
 فَلَاقَتْ بَيَانًا عِنْدَ أَوَّلِ مَرْبَضٍ
 وَوَجَّهًا كَبُرْقُوعِ الْفَتَاةِ مُلَمَّعًا
 فَلَمَّا سَقَاهَا الْيَأْسَ وَارْتَدَّ هُمُّهَا
 أُتِيحَ لَهَا فَرْدٌ خَلَا بَيْنَ عَالِجِ
 كَسَا دَفْعَ رِجْلَيْهَا صَفِيحَةً وَجْهَهُ
 وَوَلَّتْ بِهِ رُوحٌ خِفَافٌ، كَأَنَّهَا
 كَأَصْدَافِ هِنْدِيِّينَ صُهِبَ لِحَاؤُهَا
 فَبَاتَتْ ثَلَاثًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
 وَبَاتَتْ كَأَنَّ كَشْحًا لَهَا طَيِّ رِيْطَةٍ
 تَلَالًا كَالشُّعْرِيِّ الْعَبُورِ، تَوَقَّدَتْ
 أَنَامَتْ بِذِي الذَّنْبِينِ بِالصَّيْفِ جُودْرًا
 شَحِيحًا تُسَمِّيهِ النَّبَاطِيَّ، نَهْسَرًا
 كَشَقَّ الْعَصَا فُوهُ، إِذَا مَا تَضَوَّرَا
 أُخُو قَنْصٍ يُمْسِي وَيُصْبِحُ مُقْفِرًا
 إِهَابًا، وَمَعْبُوطًا مِنَ الْجَوْفِ أَحْمَرًا
 وَرَوَقِينَ لَمَّا يَعْدُوا أَنْ تَقْمَرَا
 إِلَيْهَا، وَلَمْ يَتْرُكْ لَهَا مُتَأَخَّرًا
 وَبَيْنَ حِيَالِ الرَّمْلِ فِي الصَّيْفِ أَشْهُرًا
 إِذَا انْجَرَدَتْ، نَبَتَ الْخَزَامِيُّ الْمُنُورًا
 خَدَارِيفُ تُزْجِي سَاطِعَ اللَّوْنِ أَغْبَرَا
 يَبِيعُونَ فِي دَارِينَ مِسْكًَا وَعَنْبَرًا
 بَكَرَّ الْبُكُورِ أَنْ يُضَافَ وَيُجْبَرَا
 إِلَى رَاجِحٍ مِنْ ظَاهِرِ الرَّمْلِ أَعْفَرَا
 وَكَانَ عَمَاءَ دُونَهَا فَتَحَسَّرَا^٢

فربط الشاعر بين هذه الموضوعات بجزالة الأسلوب ودقة المعاني في استعماله لإداة التشبيه وهي " الكاف " ، ثم ينتقل إلى وصف الفرس فيقول :

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٨ .
^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

وَعَادِيَةٍ سَوْمِ الْجَرَادِ شَهَدْتُهَا
 شَدِيدُ قِلَاتِ الْمَرْقِقِينَ، كَأَنَّمَا
 وَيُعْلِي وَجِيفُ الْأَرْبَعِ السُّودِ لِحْمَهُ
 فَلَمَّا أَتَى لَا يُنْقِصُ الْقَوْدُ لِحْمَهُ
 وَكَانَ أَمَامَ الْقَوْمِ مِنْهُمْ طَلِيعَةٌ
 وَنَهْنَهْتُهُ حَتَّى لَبَسَتْ مَفَاضَةً
 وَجَمَعْتُ بَزِي فَوْقَهُ، وَدَفَعْتُهُ
 وَعَرَفْتُهُ فِي شِدَّةِ الْجَرِيِّ بِاسْمِهِ
 فَظَلَّ يُجَارِيهِمْ كَأَنَّهُ هُوِيَّةُ
 أَنْجُجُ بِذَلْقِ الرَّمَحِ لَحْيِيهِ، سَابِقًا
 لَهُ عُنُقٌ فِي كَاهِلٍ غَيْرِ جَانِبٍ
 وَبَطْنٌ كَظَهْرِ التَّرْسِ لَوْ شُلَّ أَرْبَعًا
 فَأَرْسِلَ فِي دُهْمٍ كَأَنَّ حَبِيئَهَا
 فَكَفَّلْتُهَا سَيْدًا أَزَلَّ مُصَدِّرًا
 بِهِ نَفَسٌ، أَوْ قَدْ أَرَادَ لِيَزْفِرَا
 كَمَا بَنِي التَّابُوتِ أَحْزَمَ مُجْفِرَا
 نَقَصْتُ الْمَدِيدَ وَالشَّعِيرَ لِيَضْمُرَا
 فَأَرَبِي يَفَاعًا مِنْ بَعِيدٍ، فَبَشَّرَا
 مُضَاعَفَةً كَالنَّهْيِ رِيحًا، وَأَمَطُرَا
 وَنَأْنَأْتُ مِنْهُ خَشِيَّةً أَنْ يُكْسِرَا
 وَأَشْلَيْتُهُ حَتَّى أَرَاخَ وَأَبْصَرَا
 هُوِيُّ قَطَامِي مِنَ الطَّيْرِ أَمْعَرَا
 نَزَائِعَ مَا ضَمَّ الْخَمِيسُ وَضَمَّرَا
 وَلَجَّ بِالْحَبِيئِهِ وَنَحَى مُدْبِرَا
 لِأَصْبَحَ صِفْرًا بَطْنُهُ مَا تَجَرَّجِرَا
 فَحَيْحُ الْأَفَاعِي أُعْجِلْتُ أَنْ تَحَجَّرَا^١

فهذا التخلص من وصف الفرس إلى وصف الناقة ثانية .

كذلك فخره باجداده ، ومن ثم ذكرا لحكمه ، فجاء انتقاله متسلسلا ومنطوقيا ، وهذا التخلص والخروج اللطيف كان من وحي الصحراء التي عاش فيها .

"فمن الأبيات التي تخلص بها قائلوها إلى المعاني التي أرادوها في مديح أو هجاء أو افتخار أو غير ذلك ، ولطفوا في صلة ما بعدها بها فصارت غير منقطعة عنها"^٢ قول القطامي في تخلصه من المقدمة الطللية إلى وصف الناقة فقال :

أضحَتْ عَلِيَّةٌ يَرْتَاخُ الْفَوَادُ لَهَا
 بَكلٍ مُنْخَرِقٍ يَجْرِي السَّرَابُ بِهِ
 يُنْضِي الْهَجَانَ الَّتِي كَانَتْ تَكُونُ بِهِ
 وَلِلرَّوَاثِمِ فِيهَا دُونَهَا عَمَلُ
 يُمْسِي وَرَاكِبُهُ مِنْ خَوْفِهِ وَجَلُ
 عَرْضِيَّةٌ وَهِيَابٌ حِينَ تُرْتَحَلُ^٣

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ .

^٢ ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، ص ٣١ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٤ .

أما الحطيئة في قصيدته سلك طريقة المتقدمين إلى التخلص من الغزل إلى وصف
الناقة بقطعها الفيافي وحكاية ما عانى في سفره من أجل ممدوحه فقال :

كأن بحافته للطراف رجلاً لحميرٍ لاقت رجلاً
فهل تبلغنيكها عرماً صموتُ السرى لا تشكى الكلالا
مفرجة الضبع مورة تخذُ الإكامَ وتتفي النقالا
إذا ما النواعيجُ واكبتها جشمنَ من السير ربواً عضالا^١

في هذه الأبيات أنتقل الحطيئة من الغزل إلى وصف الناقة في البيت الثاني
بأسلوب جيد ومحكم .

وفي قول الشماخ عندما تخلص من مقدمته الطللية إلى وصف الناقة ثم منتقلاً إلى
وصف الأتن الوحشية رابطاً ذلك بحرف " الواو " وحرف التشبيه " كأن " .
لتشويق السامع لما سيأتي فقال :

وكلُّ خليلٍ ، غيرِها ، ضمَّ نفسه لوصلِ خليلٍ ، صارمٍ أو معارزُ
وعوجاءَ مجذامٍ وأمرِ صريمةٍ ، تركتُ بها الشكَّ الذي هو عاجز
كأنَّ قتودي فوق جأبٍ مطردٍ ؛ من الحقب لاحته الجداد الغوارز
طوى ظمأها في بيضة الصيفِ بعدما جرى في عنانِ الشعرينِ الأماعز^٢

عزم الشاعر على وصال محبوبته فامتطى ناقته الهزيلة التي شبهها بحمار الوحش
الغليظ ، الذي رأى الأتن الوحشية عندما أصابها الظمأ وهمت بالورد .
نجد الانتقال أو التخلص هنا أخذ صورة واضحة ربطت بين الانتقالات ، فكان
التقارب بينها .

كذلك من حسن تخلصه ، خروجه من وصف الأتن الوحشية إلى وصف القوس
فقال :

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٨ .
^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٨٢ .

فحلاها عن ذي الأراكةِ عامرٌ
مُطَّلًا بزُرُقٍ ما يداوى رميها
تخيَّرها القواسُ من فرع ضالَّةٍ
نمت في مكان كنها، فاستوت بهِ
أخو الخُضْرِ يرمي حيث تكوى النواحرُ
وصفراءَ من نبع عليها الجلائزُ
لها شذبٌ من دونها وحزائزُ
فما دونها من غيلها متلاجزُ^١

يحكي الشماخ عن الصائد بأنه مطل على موارد المياه التي تردّها الأتّن بقوسه التي خصّ بها كثير من الأبيات في قصيدته ، واصفا مكانها وصعوبة الوصول إليها من خلال الشجر الملتف الأغصان . فهو إنتقال جيد مرتبط بما قبله لذلك لم يدع للسامع أن ينتبه له .

الشاعر عمرو بن أحمر بعدما استهل قصيدته بذكر الشيب وفناء الشباب التي هي أشبه بالأطلال ، إلى وصف الإبل ، ثم إلى البقرة الوحشية ، رابطا بينهما بأداة التشبيه " كأن " فقال :

يلحى علىّ ذاك أصحابي فقلت لهم :
مَنْ للنواعِجِ تَنزُو في أزمَّتِها ،
كأنَّها بنقا العزافِ قاربُهُ ،
ماريةٌ لؤلؤانُ اللون ، أوَّدها
ذاكم زمانٌ وهذا بَعْدَهُ عُصْرُ
أُمٍ للنتائِ حُمولُ الحيِّ قد بكرُوا
لما انطوى نِيْها واخروطَ الشَّفْرُ
طَلُّ ، وبَنَسَ عنها فرقدَ خَصِرُ^٢

يوصل عمرو بن أحمر انتقالاته وتخلصه في داخل قصيدته من وصف الناقة إلى البقرة الوحشية ، ثم نجده يعود مرة أخرى للناقة التي خاطبها بأن تسير به إلى يحيى لكي يخبره بحال الناس وما أصابهم من هلاك وفقر وقلة المال ، فيمدحه في البدء ثم يدخل في الاسترحام مستعملا أداة النداء " يا " لينتبه السامع إلى ما سيأتي بعد الأداة فقال :

خبِّي فليس إلى عثمَانَ مُرتَجِعُ
إلاَّ العدا ، وإلاَّ مُكْنَعَ ضَرَرُ

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٤ .
^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٩٠ .

وَأَنَّ يَحْيَىٰ غِيَاثُ النَّاسِ وَالْعَصْرُ
ضَرْبُ الْجُلُودِ وَعُسْرُ الْمَالِ وَالْحَسْرُ
فَمَا لِحَاجَتِنَا وَرَدُّ وَلَا صَدْرُ
وَمَا كَرِهْتَ فِكْرُهُ عِنْدَنَا قَدْرُ^١

وَأَنْجِي ، فَإِنِّي إِخَالُ النَّاسَ فِي نَكْصِ
يَا يَحْيَىٰ ، يَا بَنَ إِمَامِ النَّاسِ أَهْلَكْنَا
إِن قُمْتَ يَا بَنَ الْعَاصِ بِحَاجَتِنَا
مَا تَرْضَىٰ نَرْضَىٰ وَإِنْ كَلَفْتَنَا شَطَطًا

نجد عمرو بن أحمَر قد انتقل من الاسترحام إلى الفخر بنفسه وقبيلته ، بقوله " نحن الذين إذا سمعنا داع ، نتسابق لأي أمر تامرنا به " ، فسلك صورة ربطت بين هذه الانتقالات فكان التقارب بينهما ، وانتهج نهج من كان قبله في التخلص باستعماله لأداة التشبيه " الكاف " وأيضا أداة النداء " يا " ، دون أحساس القاري بهذا التخلص ، فهو أكثر من التعدد في موضوعات القصيدة ، فهذا إن دلّ إنما يدل على تجاربه الكثيرة في حياته الجاهلية .

فقد أحسن شعراء المشويات في " التخلص من موضوع إلى آخر بجزالة الأسلوب والدقة ، أو تحولا من الخشونة والإغماض إلى السلامة والتوضيح " ^٢ . فمن هؤلاء الشعراء تميم بن مقبل الذي تخلص من مقدمته الطللية إلى وصف الناقة السريعة القوية ، ثم انتقل إلى التغزل بالنساء التي شبهها بالخور في مدامعها وجمالها ، ثم لجأ إلى الهجاء لقبيلة الأزدي حيث يهددهم ويخبرهم بأنهم بنوا الحرب خبرتهم وخبروها ، ثم انتقل إلى الفخر في دقة وسلاسة وأسلوب جزل فهذه الانتقالات لها علاقة بما قبلها فقال :

حَتَّى اسْتَبْنَتُ الْهَدْيَ ، وَالْبَيْدُ هَاجِمَةٌ
وَاسْتَحْمَلُ الشَّوْقَ مِنِّْي عَرْمِسُ سُرْحُ
تَرْمِي الْفَجَاجَ بِحَيْدَارِ الْحَصَى قُمْزًا
تَرْمِي بِهِ ، وَهِيَ كَالْحَرْدَاءِ خَائِفَةٌ ،
كَانَتْ تُدَوِّمُ إِرْقَالًا فَتَجْمَعُهُ
شُمَّمٌ مُخْضَرَةٌ ، صَيِنَتْ مُنْعَمَةٌ
يَخْشَعْنَ فِي الْآلِ غُلْفًا أَوْ يُصَلِّينَا
تَخَالُ بَاغِرَهَا بِاللَّيْلِ مَجْنُونًا
فِي مِشْيَةِ سُرْحِ خَلَطِ أَفَانِينَا
قَذَفَ الْبِنَانَ الْحَصَى بَيْنَ الْمُخَاسِينَا
إِلَى مَنَاكِبَ يَدْفَعْنَ الْمَذَاعِينَا
مِنْ كُلِّ دَاءٍ يَا بَنَ اللَّهِ يَشْفِينَا

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٢ .
^٢ فتحي أحمد عامر ، في مرآة الشعر الجاهلي ، ص ١٢٩ .

كَأَنَّ أَعْيُنَ غَزْلَانَ، إِذَا اِكْتَحَلَتْ
 كَأَنَّهِنَّ الظُّبَاءُ الأَدْمُ أُسْكَنَهَا
 يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ
 مِنْ رَمَلٍ عَرْنَانَ أَوْ مِنْ رَمَلٍ أُسْنَمَةً
 أَوْ كَاهْتِرَازِ رُدَيْبِيِّ تَدَاوَلَهُ
 نَازَعَتْ أَلْبَابَهَا لُبِّي بِمُخْتَرَنٍ
 أَبْلَغُ خَدِيجًا ، فَإِنِّي قَدْ كَرِهْتُ لَهُ
 أَرَاكَ تَجْرِي إِلَيْنَا غَيْرَ ذِي رَسَنِ
 وَقَدْ بَرَيْتَ قِدَاحًا أَنْتَ مُرْسِلُهَا ،
 فَاقْصِدْ بِذِرْعِكَ، وَاعْلَمْ لَوْ تَجَامِعُنَا
 بِالْإِثْمِ الْجَوْنِ ، قَدْ قَرَضْنَهَا حِينَا
 ضَالٌّ بَغْرَةً ، أَوْ ضَالٌّ بَدَارِينَا
 يَنْهَالُ حِينًا ، وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينَا
 جَعَدِ الثَّرَى بَاتَ فِي الأَمْطَارِ مَدْجُونَا
 أَيَدِي الرِّجَالِ فَرَادُوا مَسَّهُ لِينَا
 مِنَ الأَحَادِيثِ حَتَّى ازْدَدْنَ لِي لِينَا
 بَعْضَ المَقَالَةِ يَهْدِينَا فَتَأْتِينَا
 وَقَدْ تَكُونُ إِذَا نَجْرِيكَ تُعِينَا
 وَنَحْنُ رَامُوكَ ، فَانظُرْ كَيْفَ تَرْمِينَا
 أَنَا بَنُو الحَرْبِ نَسْقِيهَا وَتَسْقِينَا^١

فهذا تخلص حسن فيما قاله في الغزل ، الفخر ، والهجاء . هذا التخلص كان سببه التشبيه .

فالتخلص أو الانتقال في المشوبات لم يكن واضحاً ليحس القاري به ؛ لأن معظم الأغراض كانت وصفية وكل غرض له علاقة بما قبله ، كما قال ابن سنان الخفاجي : " من صحة النسق والنظم هو أن يستمر المؤلف في المعنى الواحد ، وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص إليه حتى يكون متعلقاً بالأول غير منقطع عنه " ^٢ .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٧ - ٣٩٩ .
^٢ عبد الله بن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، تحقيق : عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة ١٩٦٩ م ، ص ٢٥٩ .

خاتمة القصيدة:

يجب على الشاعر والناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة ، فإنها آخر ما يبقى في الأسماع ، ولأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال ، فيجب أن يجتهدا في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها.^١ لأنها هي " المواقف التي تستعطف أسماع الحضور ، وتستميلهم إلى الاصغاء " ^٢ فيجب على الناظم والناثر أن يجعلوا خاتمة كلامهما غاية في الاحسان ، فإنه آخر ما يبقى في الأسماع وربما حفظ دون سائر الكلام في غالب الأحوال ، فلا يحسن السكوت على غير حسن الخاتمة . وغاية الغايات في ذلك مقاطع الكتاب العزيز في خواتم السور الكريمة

، فمن المعجز في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ

الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۗ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۗ بِأَنَّ رَبَّكَ

أَوْحَىٰ لَهَا ۗ ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۗ ۝٦ فَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ۝٨ ﴾^٣

فإذا نظرنا إلى هذه السورة الكريمة وتندبرنا بلاغتها المعجزة نجدها بدئت بأهوال

يوم القيامة وختمت بقوله : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ۝٧ وَمَنْ

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ۝٨ ﴾^٤

أما النقاد يسمونها مقطع القصيدة ، وهي لا تقل أهمية عن المطلع والتخلص في بناء القصيدة ، فهي مسك الختام ، والنقاد المحدثون يشيرون إلى أهمية الخاتمة في البناء الفني للقصيدة ، فالنهاية أو حسن الختام عندهم " أن يجعل المتكلم آخر كلامه عذب اللفظ ، حسن السبك ، صحيح المعنى ، مشعرا بالتمام حتى تتحقق براعة

^١ ابن أبي الإصبع ، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر ، تحقيق : حفني شرف ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٣م ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

^٢ القاضي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ج ١ ، ص ١٤ .

^٣ سورة الزلزلة .

^٤ سورة الزلزلة ، آية : ٧ - ٨ .

المقطع بحسن الختام ، إذ هو آخر ما يبقى منه فى الأسماع وربما حفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به .^١

فمن روائع النهايات قول النابغة :

إذا افتخر الأزدي يوماً، فقل له تأخر، فلم يجعل لك الله مفخراً
فإن ترد العلياً، فليست بأهلها وإن تبسط الكفين بالمجد تقصراً
إذا أدلج الأزدي أدلج سارقاً فأصبح مخطوما بلوم معزراً^٢

نراه ختم قصيدته بالهجاء لقبيلة الأزدي وفخره عليهم .

وقصيدة كعب من روائع القصائد مقدمة ، تخلص ، خاتمة ، فقد بدأها بالغزل ثم انتقل إلى وصف الناقة ، ومن بعد ذلك إلى العتاب ، منتقلاً للعفو والاعتذار ، ثم ختمها بالمدح فقال :

إن الرسول لنور يستضاء به، وصارم من سيوف الله مسلول
في عصابة من قريش قال قائلهم، ببطن مكة، لما أسلموا: زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف، عند اللقاء، ولا ميل معازيل
شم العرانيين، أبطال، لبوسهم من نسج داود في الهيجا سراويل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق، كأنها حلق القفعاء، مجدول^٣

أيضا من روائع النهايات قصيدة القطامي ، التى كانت نتيجة طبيعية لمعان القصيدة التى تحدثت عن المقدمة الطللية ، ومن ثم إلى الحكمة ، منتقلاً لوصف الناقة ، ومن ثم للغزل ، ثم ختمها بالمدح لأهل قريش الذين لم يوجد مثلهم أبدا فقال :

أما قريش فلن تلقاهم أبداً إلا وهم خير من يحفى وينتعل
قوم هم ثبتوا الإسلام واتبعوا قول الرسول الذي ما بعده رسل
من صالحوه رأى في عيشه سعة ولا يرى من أرادوا ضره يئل^١

^١ أنظر . يس النصور ، الاستهلال فن البدايات فى النص الأدبي ، ص ٦٧ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٤ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

كَمْ نالني منهم فَضْلٌ عَلَى عَدَمٍ
وَكَمْ من الدهر ما قد تَبَّتُوا قَدَمِي
فلا هم صَالِحُوا مَنْ يَبْتَغِي عَنِّي
هُمُ الملوِكُ وأبناءُ الملوِكِ لهم
إذ لا أكادُ من الإِقْتارِ أحتَمُلُ
إذ لا أزالُ مع الأعداءِ أُنْتَضِلُ
ولا هُمُ كَدَّرُوا الخَيْرَ الذي فَعلُوا
والأخْذون به والسَّادةُ الأوَّلُ^٢

كذلك نجد الحطيئة ختم قصيدته بالاعتذار لسيدنا عمر (رضى الله عنه) ، ومما يزيد هذه النهاية جمالا وابداعا ، ذكره وتخطيه المهالك والمصاعب التي مرّ بها طالبا العفو والسماح ، وخائف من العقاب والعذاب ، فخاتمته كانت جيدة مبنية على الموضوع الذي بنيت عليه القصيدة فقال :

أَنْتَنِي لِسَانٌ فَكَذَّبْتُهَا
و ما كنتُ أحرها أن تقالا
بأن الوشاة بلا عذرة
أتوك فقالوا لديك المحالا
فَجَبْنُكَ مُعْتَذِرًا راجياً
لِعَفْوِكَ أَرْهَبُ مِنْكَ النكالا
فلا تسمعن بي قول الوشاة
و لا تُوكِنِّي هُدَيْتَ الرَّجالا
فإنك خيرٌ من الزبرقان
أشدُّ نكالا وخيرٌ نوالا^٣

أمّا الشماخ فختم قصيدته بوصف الأتن ، وكان قد بدأها بالوقوف على الأطلال ، فأحسن التخلص إلى وصف الأتن ، منتقلا لوصف القوس ، من تحسس الأشجار لصناعته إلى بيعه ، إلى أن وصل إلى خاتمة قصيدته فأبدع فيها فهي تفرع الآذان لسماعها ، بقوة معانيها ، وجمالها في وصف الأتن مرة أخرى وما حصل لها في قصتها مع الحمار الوحشي فقال :

مُحَامٍ عَلَى رَوَعَاتِهَا، لا يَرُوعُهَا
وَقَابِلَهَا مِنْ بَطْنِ ذُرْوَةِ مُصْعِدَاءِ،
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الحَقْفِ حَقْفٌ تَبالَةَ،
خِمَالٌ، ولا ساعي الرُّمَةِ المَنَاهِزِ
على طُرُقِ كَأَنَّهِنَّ نَحَائِزُ
له مَرَكِضٌ فِي مُسْتَوَى الأَرْضِ بَارِزُ^٤

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٦ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٧٦ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٨٧ .

وَأَضْحَتْ تُغَالِي بِالسِّتَارِ، كَأَنَّهَا رِمَاحُ نَحَاهَا وَجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزاً^١

ونجد أن عمرو بن أحمر قد ختم قصيدته بالاسترحام وصحبها بألفاظ معبرا فيها عن حزنه وألمه ، وشفقته على النساء والشباب ، من ظلم السعاة وظلمهم لقومه فقال :

إِنْ لَا تُدَارِكُهُمْ تُصْبِحُ دِيَارُهُمْ قَفْرًا، تَصِيحُ عَلَى أَرْجَائِهَا الْحُمْرُ
أَدْرِكُ نِسَاءً وَشِيْبَانٌ لَا قَرَارَ لَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيمَا قَدْ لَقُوا غَيْرُ
إِنَّ الْعِيَابَ الَّتِي يُخْفُونَ مُشْرَجَةً فِيهَا الْبِيَانُ، وَيُلْوِي دُونَكَ الْخَبْرُ
فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ، فَحَاسِبُهُمْ مُحَاسِبَةً، لَا تُخْفَ عَيْنٌ عَلَى عَيْنٍ وَلَا أَنْزُ
لَا تَقُولَنَّ : زَهْوًا مَا تُخْبِرُنِي، لَمْ يَتْرِكِ الشَّيْبُ لِي زَهْوًا وَلَا الْعَوْرُ
سَأَلُهُمْ حَيْثُ بِيَدِي اللَّهُ عَوْرَتَهُمْ: هَلْ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ خَوْفِنَا وَحَرِّ؟^٢

ختم تميم العامري قصيدته بوصف الخيل ، فأشتتت خاتمته على الصورة الجميلة المعبرة عن الخيل وأصواتها الرنانة وشكلها الجميل الذي لم يوجد في الخيول التركية فقال :

وَمُقَرَّبَاتٍ عَنَاجِيْجًا مُطَهَّمَةً مِنْ آلِ أَعْوَجٍ مَلْحُوفًا وَمَلْبُونًا
إِذَا تَجَاوَيْنَ صَعْدَنَ الصَّهِيْلِ إِلَى صُلْبِ الشُّؤْنِ وَلَمْ تَصْهَلْ بَرَانِينَا^٣

فشعراء المشوبات في مشوباتهم أجادوا في الوحدة البنائية للقصيدة من خلال مقدماتهم وتخلصاتهم وخاتمتهم .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٧ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٩٤ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٤٠٠ .

المبحث الثاني:

اللغة والأسلوب:

أولاً اللغة:

وهي الأداة التي يشكل بها الشاعر شعره ، والمادة التي يخلق منها كائنا سويًا ينبغي بالحياة^١ " ويجمع اللغويين على أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وبها يتميز الإنسان عن الحيوان^٢ ، لذلك " إن بعض الألفاظ تحمل من إيحائها من مشاعر يحسها السامع لا يحمله مراده لها فمثلا في المدلول العادي نجد ألفاظا مثل " جاء ، أتى ، قدم ، أقبل ، حضر " تؤدي في المدلول العادي معنى واحد ، ويمكن أن يوضع أحدهما مكان الآخر ، فلا يتغير المعنى ، وتوصف بأنهما مترادفة ، ولكن الاستعمال الأدبي بمعناه الصحيح يختلف في نظرته إلى الترادف ، فالأديب الرقيق لا يكاد يعترف بالترادف ؛ لأن لكل لفظ في موضعه الأدبي مدلولًا لا يؤديه مرادفه ، حيث يشعر السامع بأنه اللفظ الأدبي يوحى إليه فوق المدلول العادي بمشاعر وأحاسيس خاصة تكاد تكون هي الانفعالات والمشاعر النفسية لقائل هذا الكلام...^٣ فاللغة العربية ليست بدعا بين اللغات التي توصف أبدا بأنها كائن حي قابل للتطور والنمو ، ومن صفات اللغة الحية المرونة ، ومواكبة الحياة في سيرها والمجتمعات في تطورها . ومن يرافق اللغة العربية في رحلتها الطويلة عبر القرون يجد أنها واكبت الحياة العربية في شتى عهودها ، ففتحت صدرها لقبول كثير من الجديد الطارئ من مولد ومعرب ، ومترجم ، كما أنها لم تأسى لانحصار جملة من ألفاظها وتراكيبها ، فهي إن شاعت في عصر ولائمه ، قد لا تلائم عصرا آخر ، أو تتماشى معه . ثم إنها لم تجد بأسا من

^١ محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار المعرفة - القاهرة ، (بدون تاريخ) ص ٢٩ .

^٢ ابن جني ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب - القاهرة ، ١٩٥٢م ، ج ١ ، ص ٣٣ .

^٣ د . عبد الحكم مفتي الهيئة المصرية العامة للكتاب ، أسلوب السخرية في القرآن الكريم ، ١٩٨٧م ، ص ٤٥ .

تطور بعض ألفاظها في دلالاتها ومعانيها ، وقد تمتشت لغة الشعر في القرن الثاني مع ناموس التطور وإنقادت له ^١ .

اشترط النقاد القدامى في لغة الشعر شروطا ، ومن تلك الشروط : أن يكون الكلام جزلا سهلا بعيدا عن العامية ، ولا تدخله الكلمات الصعبة . وتكلم القاضي الجرجاني عن هذه الشروط في قوله : " فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ولا تعرضك ، بل ترتب كل مرتبته ، وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتضخم إذا افتخرت ، وتعرف للمديح تصرف مواقعته ^٢ . ولم تخرج لغة الشعر في المشوبات من الشروط التي اشترطها النقاد لها فأتسمت لغتهم بالسهولة والوضوح ، فالفاظهم فصيحة ، جزلة ، موحية ، رقيقة ، تعبر عن أهدافهم ، فلم يلجأوا إلى التعقيد اللفظي والمعنوي ؛ لأنه يفسد ويذهب رونق الكلمة . فجاءت الفاظهم ملائمة لقصائدهم . فعندما يتغزلون تجدهم يختارون الألفاظ الدالة على الرقة واللطافة ، والسهولة التي تناسب الغرض نفسه ، فمثلا في قول كعب :

بَأَنْتُ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ ، مُنِيْمٌ إِثْرَهَا ، لَمْ يُفَدَ ، مَكْبُولُ
وما سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ، إِلَّا أَغْنُ غُضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
هَيْفَاءُ مُقْبِلَةٌ ، عَجَزَاءُ مُدْبِرَةٌ ، لَا يَشْتَكِي قَصْرٌ مِنْهَا وَلَا طُولُ
تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ
شُجِبَتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ، صَافٍ بِأَبْطَحِ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ ^٣

تدل هذه الأبيات على حب الشاعر لمحبوته وتأثره برحيلها عنه ، حيث احس بحرقة في قلبه الذي يحبها لدرجة الافتتان بها والخضوع لها ، فهو مع حبه لها فقلبه مقيد به ومخلص لها . فعندما رحلت عنه كانت ذات صوت رخيم وطرف أسر بدلاله واكتحاله ، وهذا ما زاده تتيما . ثم يصفها بالرشاقة والإملاء ، وهذا مقياس من مقاييس الجمال ، فعندما تبتسم ترى أسنان لامعة لذيذه جميلة تبدو

^١ يوسف حسين بكار ، اتجاهات الغزل ، ص ٣٨٧ .

^٢ القاضي الجرجاني ، الوساطة ، ص ٢٤٠ .

^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٥ .

للناظر إليها كالمنتشية بالخمرة ، فأسنانها مصحوبة بريقها العذب كأنه ماء
جاري هبت عليه ريح الشمال .

فهذه الأبيات قوية فى عباراتها ، وفى لغتها ، وجزلة ، وسهلة ، وواضحة ،
ورقيقة . والذى زادها رقة تكرير اسم المحبوبة (سعاد) ليدل على الوله والتتيم .
أيضا نجد فى قول تميم :

طَافَ الْخِيَالَ بِنَا رَكْبًا يَمَانِينَا ودونَ لَيْلَى عَوَادٍ لَوْ تُعَدِّينَا
مَنْهُنَّ مَعْرُوفٌ آيَاتِ الْكِتَابِ وَقَدْ تَعْتَادُ تَكْذِبُ لَيْلَى مَا تُمَنِّينَا
لَمْ تَسْرِ لَيْلَى، وَلَمْ تَطْرُقْ لِحَاجَتِهَا مِنْ أَهْلِ رِيْمَانَ إِلَّا حَاجَةٌ فِينَا^١

تدل هذه الأبيات على حبه الشديد لمحبوبته ليلي ، ودليل ذلك تكرار اسمها فى
كل بيت من هذه الأبيات ، فبالرغم من تصريح الشاعر بانشغاله بآيات القرآن
الكريم خاصة ، إلا أنه يقول إن ليلي دائما تكذب ما تمنيه . ولكن ما هو ذلك
الشيء الذى كانت تمنيه إياه ؟ وثمة حاجة إلى ليلي ما تزال فى نفسه . فما هى
هذه الحاجة التى تشده إلى ليلي ، وما الذى ترمز إليه ليلي بخيالها الذى يطوف ؟
يقول الشاعر إنه " حاجة فينا " ، فهو الذى يتمنى ، وليلى لم تسر ، ولم تطرق .
فجاءت الفاظه ملائمة لقصيدته بما فيها من الرقة واللطافة .

فلغة هؤلاء الشعراء من حيث طبيعتها هى " أداة زمانية تتكون من مجموعة من
الأصوات والمقاطع المحدودة . وكذلك الجانب الصوتي هو النافذة إلى سائر
التأثيرات فى القصيدة ، وإن الشاعر حينما يستخدم اللغة للتعبير عما يدور فى
نفسه ، فإنما يشكل بنية زمانية ، مكانية متأنفة التأثير ذات نسق نفسي ودلالي
خاص^٢ . فهذه اللغة عبر بها عمرو بن أحمر عن احساسه ، حيث استخدمها فى
اسلوب جزل ورصين وربطها بالفخر فى قوله :

لَسْنَا بِأَجْسَادٍ عَادٍ فِي طِبَائِعِنَا ، لَا نَأْلَمُ الشَّرَّ حَتَّى يَأْلَمَ الْحَجْرُ
وَلَا نَصَارًا ، عَلَيْنَا جَزِيَّةٌ نُسُكٌ ، وَلَا يَهُودًا طَغَامًا دِينُهُمْ هَدْرٌ

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٥ .
^٢ عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، مكتبة غريب العامة - القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٦٣م ، ص ١٥٥ .

إِنْ نَحْنُ إِلَّا أَنْاسٌ أَهْلُ سَائِمَةٍ،^١ ما إِنْ لَنَا دُونَهَا حَرْثٌ وَلَا غَرَرٌ^٢

فهذه الكلمات ناسبت البيئة واللغة والعادات والتقاليد ، فكانت جزلة وقوية السبك .

فيمكننا القول بأن اللغة ما هي إلا " رموز منطوقة أو مكتوبة ، أو كلاهما معا هذبها الإنسان وصقلها كي تعبر عن حاجاته ومطالبه ، ولتكون وسيلة الإتصال والتفاهم مع غيره ، وهي بهذا ضرورية لكل ؛ الفرد والمجتمع ، ومطلب من مطالبهما ، ولغة كل أمة لسان حالها الذي يعبر عما يجيش في نفسه من آمال وآلام واحاسيس بل تجدهم قد استخدموا اللغة للتنافس في اساليب الصياغة والفصاحة والتعبير"^٣. لأنها وسيلة الشاعر لتوصيل تجربته ، وهي أدواته الأولى في تشكيل صورته ، وهي مادة الشاعر وخاماته المتجدده^٤.

الأسلوب:

نعني به العبارات اللفظية التي تعبر عن طريقتي التفكير والتصوير عند الكاتب وهو طريقة الكاتب الخاصة في التفكير والشعور ، ونقلهما في صورة لغوية^٥، لذا نجد أن " النقاد اختلفوا في تعريفهم للأسلوب فمنهم من قال : أنه الطابع الخاص الذي يطبع به الكاتب كتابه ، والشاعر شعره ، والقاص قصته ، ومنهم من حدده بأنه القالب الذي يصب فيه فكره وعاطفته ، والمنوال الذي ينسج فيه التراكيب ، ومنهم من قال إنه المنهج الذي انتهجه الأديب في الإفصاح عن فكر يختلج فيه ذهنه ، أو عاطفة تعمل في قلبه^٦.

^١ السائمة : الماشية والإبل الراعية .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٣ .

^٣ زكريا إسماعيل ، طرق تدريس اللغة العربية ، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ص

٣٣ .

^٤ د . علي إبراهيم ، الصورة الفنية في شعر دعبيل بن علي الخزاعي ، دار المعارف - مصر ، ط ١ ، ١٩٨١م ،

ص ٣٣١ .

^٥ أحمد الشائب ، الاسلوب ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ط ٦ ، (بدون تاريخ) ، ص ٥٤ .

^٦ عز الدين إسماعيل ، الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي - بيروت ، ط ٦ ، ١٩٧٦م ، ص ٢٣ .

^٧ عبد العزيز عتيق ، النقد الأدبي ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ١٤٥ .

وهذا الاسلوب ورد في القرآن الكريم في كثير من المواضع ، فعلى سبيل المثال ، قوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهِ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾^١ فقد أمرهما الله أن يترفقا في مخاطبة هذا الجائر العاتي لعله أن يستجيب ويهتدي . ولم يكن رد فرعون ، ولا موقفه غائبا عن علم الله المحيط قبل أن يصل إليه موسى ويكلمه بالاسلوب الذي أمره الله به^٢ .

وأمر الله سبحانه رسوله عليه السلام أن يأمر عباده المؤمنين بقول الأحسن معللا ذلك بأن تركه مدخل من مداخل نزغات الشيطان ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ^٣ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾^٤ ٥٣ . وهذا الأمر الكريم الذي تجاوز مدلوله الكلام الحسن إلى الأحسن – بصيغة التفضيل له دلالاته البالغة على أهمية الاسلوب الراقى . واللفظ الراقى في مخاطبات المؤمنين ومحاوراتهم بعضهم مع بعض ومع غيرهم

من المخالفين^٤ . أيضا قوله تعالى : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِّدَّبَرُوا^٥ آيَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^٦ ٢٩ . فانظر كيف حث بهذا الاسلوب البارع على تدبر القرآن والتذكر والاتعاظ^٦ . هذا نموزج من القرآن الكريم .

أما الاسلوب في الأدب فيختلف من شاعر إلى شاعر ومن كاتب إلى كاتب ، ولكن الاسلوب في المشوبات اتصف بالرصانة والقوة والتماسك ، وذلك لتقافتهم العربية ، وبيئتهم الجاهلية ، وبراعتهم في اللغة العربية خاصة ، وأسلوبهم قوي جدا ، لذا جاءت أشعارهم متميزة بتعدد الاساليب في قصائدهم فقد استطاعوا بواسطته أن ينقلوا إلينا عواطفهم ومشاعرهم بمختلف أنواعها .

^١ سورة طه ، آية : ٤٤ .
^٢ مجموعة من العلماء ، بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في الوسطية ودفع الغلو ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ط ٢ ١٤٢٥ هـ ، ص ١٤٦ .
^٣ سورة الإسراء ، آية : ٥٣ .
^٤ مجموعة من العلماء ، بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في الوسطية ودفع الغلو ، ص ١٤٧ .
^٥ سورة ص ، آية : ٢٩ .
^٦ محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق : مكتبة البحوث والدراسات ، دار الفكر - بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٢ م ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

فوجد الاسلوب الخطابي ، وهو أكثر شيوعا فى الجاهلية ، عند النابغة فى قوله :
 خليلي عوجا ساعةً، وتَهَجَّرَا ولوما على ما أحدثَ الدهرُ أو ذرَا
 ولا تجزعا إن الحياةَ دَمِيمَةً فخفا لِرَوَعَاتِ الحوادثِ، أو قرا
 وإن جاء أمرٌ لا تطيقان دَفْعَهُ فلا تجزعا مما قضى اللهُ، واصبرا^١

هذا الاسلوب الخطابي عنى وخاطب به من كان معه فى رحلته بالصبر والتحمل ، وعدم الجزع من قضاء الله وقدره . فهذه الأبيات سهلة الألفاظ ، اتسمت بالبساطة . واسلوبها خطابي رائع دل على شوق وشكوى الشاعر ومعاناته النفسية وحالته المتعبة .

كذلك يمتاز اسلوب الشعر بما فيه " من عاطفة ، وما يسطع من نظم ، وسحر ، وعذوبة ، وموسيقى وحرية الأداة والتصوير ، وأثره فى العاطفة ، والشعور والوجدان ، والاساليب ليست كلها من جنس واحد ، وإنما تختلف باختلاف صفات المعاني التى تؤديها ، وعرف العرب أربعة أنواع من الاساليب ، وهى الاسلوب الجزل ، والسهل ، والسوقي ، والحوشي^٢ .

كعب بن زهير له اسلوب جزل فى المدح يقطر رقة وحلاوة وهو قوله :
 إن الرسولَ لنورٌ يُستضاءُ بهِ ، وصارمٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ
 فى عَصْبَةٍ من قريشٍ قال قائلهم ببطنِ مكة لما أسلموا زولوا
 زالوا، فما زال أنكاسٌ ولا كُشفٌ عندَ اللقاءِ، ولا ميلٌ معازيل^٣
 شمُّ العرانيين، أبطالٌ ، لبوسهم من نسجِ داودَ فى الهيجا سرابيل
 بيضٌ سوابغٌ قدْ شكَّتْ لها حلقٌ، كأنها حلقُ القفعاءِ^٤ ، مجدول^٥

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٧ .

^٢ عبد العزيز عتيق ، النقد الأدبي ، ص ١٤٥ .

^٣ معازيل ، الواحد معزول : من لا سلاح له

^٤ القفعاء : نبات ينبسط على وجه الأرض له حلق كالخواتم شبه به حلق الدرع.

^٥ أبوزيد القرشي، الجمهرة ، ص ٣٧١ .

استخدم **كعب** الفاظ سهلة وجزلة وقوية ، ولا يوجد بها تعقيد ولا غرابة ، حيث أنها اتسمت بالبساطة ، و أدت المعنى خير أداء ، مثل قوله : (إن الرسول ، صارم ، سيف ، مسلول ، عصبه ، أنكاس ، شم العرانيين ، بيض) .
أيضا قوله :

وقال كل خليل كنت أمّله : لا ألهينك ، إنني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم ، فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آله حذباء محمول^١

الألفاظ في هذه الأبيات تقترب من السهولة ، بقدر ما تبتعد عن الغرابة والتوعر ، فنشوة الفرح أوصدت أمامه كل طريق وعر . فهذه الألفاظ لم يتخلها أي لفظ غريب ، فكلها ألفاظ رشيقة لا تتأخر بين مخارج حروفها ، ولعل هذا راجع إلى الطمأنينة التي وجدها عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) من ناحية ، وفرحته بإخوانه المهاجرين وأختلاطه بهم من ناحية أخرى .

ولقد اجتهد **الحطيئة** في انتقاء ألفاظه عندما أراد الوصف ، فحشد مجموعة من الصفات المتتالية ليحاول بها أن يعطينا لوحة متكاملة ، ولكي يعطي الصورة حقها فتخرج في نسق جميل وتركيب منسجم . قال :

إلى حاكم عادلٍ حكمه فلما وضعنا لديه الرّحالا
صرى قول من كان ذا منرة^٢ و من كان يأمل في الضّلالا
أمين الخليفة بعد الرسول وأوفى قريش جميعاً حبالا
و أطولهم في الندى بسطة^٣ و أفضلهم حين عدوا فعلا^٣

فاستخدامه لهذه الألفاظ البسيطة التي لا غموض فيها ولا لبس . سهل فهمها على القارئ . لأنّ "الاسلوب هو الوسيلة التي ينقل بها الأديب فكرته وعاطفته وآراه ومعانيه إلى الناس ، وهو الطريقة التي يسير عليها في اختيار كلماته وتراكيبه ،

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٩ .

^٢ المنرة : العداوة .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .

وما يؤثر في لغة تعبيره وتصويره من سهولة أو غرابة ، ومن عذوبة أو جزالة ،
ومن وضوح أو خفاء^١ . أيضا يقول في اسلوب عذب جزل :

نَأْتِكَ أُمَامَةً إِلَّا سُؤَالَ وَ أَبْصَرْتَ مِنْهَا بَغِيْبٍ خِيَالَا
خِيَالَا يَرُوعُكَ عِنْدَ الْمَنَامِ وَ يَأْبَى مَعَ الصُّبْحِ إِلَّا زَوَالَ
كِنَانِيَّةً دَارَهَا غَرَبَةٌ تُجِدُّ وَصَالًا وَتُبْلَى وَصَالَ^٢

فقد عبر الشاعر عن شوقه وحزنه وصابته باستخدام ألفاظ البكاء والطيْف والخيال والذكري ، التي دلت على لوعته وشوقه ، وكشفت عن حالته المتعبة ، وعبر عن حزنه بكلمات منها (نأتك ، أمامة ، خيالا ، يروعك ، عند المنام) .

أيضا من الاساليب الجزلة قول الشماخ :

وَذَاقَ فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبَا كَفَى وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ
إِذَا أَنْبَضَ الرَّامُونَ عَنْهَا، تَرَنَّمْتُ تَرْنَمٌ تَكْلَى أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِزُ
هَتُوفٌ إِذَا مَا خَالَطَ الطَّبِي سَهْمُهَا! وَإِنْ رِيْعَ مِنْهَا أَسْلَمَتْهُ النَّوَاقِزُ^٣

فالشماخ اختار مفردات سهلة ، وهذا لا يقلل من جودة وصفه ، فألفاظه متينة ورصينة ، قل أن تجد لها نظيرا عند غيره من الشعراء في وصفه للقوس .

كذلك من الاساليب السهلة ، اسلوب ابن مقبل في فخره بمجد آبائه ، فقال :

أَيَّامُنَا شِيْمٌ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهَا يَوْمَ الطَّعَانِ ، وَتَلَقَّانَا مِيَّامِينَا
وَعَاقِدِ التَّاجِ أَوْسَامٍ لَهُ شَرَفٌ مِنْ سُوْقَةِ النَّاسِ ، نَالَتْهُ عَوَالِينَا
فَاسْتَبْهَلَ الْحَرْبَ مِنْ حَرَّانٍ مُطْرِدٍ حَتَّى يَظَلَّ عَلَى الْكَفِيِّنِ مَرْهُونَا
وَإِنَّ فِينَا صَبُوحًا إِنْ أَرَبْتَ بِهِ جَمْعًا بَهِيًّا وَأَلْفًا ثَمَانِينَا^٤

^١ محمد عبد المنعم خفاجي ، ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، دار الطباعة - القاهرة ، ط ١ ، ١٩٤٩م ، ص ٣٦٠ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجماهرة ص ٣٧٧ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٤٠٠ .

جاءت ألفاظه قوية دلت على قوته في فخره بأبائه وسهلت المعنى مما ساعد على تذوق هذه المعاني وفهمها بصورة واضحة ، ليس فيها ضعف ، وقد يفهما عامة الناس .

أما عمرو بن أحمـر له بعض الأبيات لا يفهم كلماتها إلا بالرجوع للمعاجم فقال :

مَارِيَّةٌ لَوْلُوَانُ اللَّوْنِ ، أَوَدَّهَا	طَلٌّ ، وَبَنَسَ عَنْهَا فَرَقْدٌ خَصِيرٌ
ظَلَّتْ تُمَاحِلُ عَنْهُ عَسْعَسًا لِحِمًّا	يَمَشِي الضَّرَاءُ خَفِيًّا دُونَهُ النَّظْرُ
يَرَى لَهَا وَهُوَ مَسْرُورٌ بِغَفَلَتِهَا	طَوْرًا وَطَوْرًا تَسْنَاهُ ، فَتَعْتَكِرُ ^١

هذه الأبيات فيها نوع من الغرابة بعض الشيء ، لذا يصعب فهمها إذا لم يكن هنالك رجوع للمعاجم ، والألفاظ مثل : (بنس ، فرقد ، عسعس ، تماحل ...) فهذه الألفاظ لا تعيب القصيدة ، بل يرجع هذا لبيئته الجاهلية التي عاش فيها .

أيضا بيت القطامي الذي يقول فيه :

لَمَا وَرَدَنَ نَبِيًّا ، وَاسْتَنَّبَ بِنَا مُسْحَنَفِرٌ ، كَخَطُوطِ السَّيْحِ مُنْسَحِلٍ^٢

هذا البيت فيه غرابة في اللفظ بعض الشيء في (مسحنفر ، السيح ، منسحل) لذا يصعب فهم معانيها .

مثلما تأثر شعراء المشوبات ببيئتهم الجاهلية كذلك تأثروا بالدين الإسلامي ، فوردت في شعرهم ألفاظا إسلامية في مواضع شتى في شعرهم ، على سبيل المثال قول النابغة في الحكمة :

وَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَا تُطِيقَانِ دَفْعَهُ فَلَا تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ ، وَاصْبِرَا^٣

وقول كعب في الحكمة :

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى ، وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ ، يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولٌ^٤

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٠ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٧٥ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٥٧ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٦٩ .

كذلك قول القطامي :

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ ،
وَقَدْ يَكُونُ الْمُسْتَعْجِلُ الزَّلَّلُ^١

أيضا قول عمرو بن أحمَر في :

هَلْ فِي الثَّمَانِي مِنَ التَّسْعِينَ مَظْلَمَةٌ ،
وَرَبُّهَا لِكِتَابِ اللَّهِ مُسْتَطِيرٌ^٢

مما سبق يتضح أن الاسلوب في المشوبات امتاز بالجزالة ، والفخامة ، والرقعة ، والسهولة ، والعذوبة ، والسلاسة ، فجاءت ألفاظهم رشيقة ذات جرس خاص يميزها ، فاساليبهم ظهر فيها الإسلام في المدح كثيرا والحكمة ، ولاغرو في ذلك ، لأن أصبحت لديهم ثقافة إسلامية عربية ، وجانب ديني كبير ، أوحى لهم بذلك . في المشوبات نجد التكرار " وهو وسيلة قوية التأثير لاقتراح اللون العاطفي الحزين ، أو الهائم الشارد الذهن ، أو الطرب الذي يراد إشاعته في الاسماع والقلوب ، قبل البلوغ إلى الغرض^٣ ، " و اللغة العربية قد عرفت التكرار المراد به النغم منذ القدم^٤ .

ففي القرآن الكريم ورد اسلوب التكرار في بعض السور المكية مثل قوله تعالى :

﴿ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾^{١٣} ° وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ

فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾^{١٧} °^٦

لقد تفاوت التكرار في المشوبات ، فهناك تكرار للحرف ، وتكرار للكلمة ، وآخر لعبارة كاملة . فمن أمثلة تكرار العبارة قول النابغة :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَةَ أَنْ يُكْذَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ ، إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أُصْدِرَا^٧

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٤ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٩٣ .

^٣ د . عبد الله الطيب ، المرشد ، دار الفكر - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٠م ، ج ١ ، ص ٥٢١ .

^٤ د . عبد الله الطيب ، المرشد ، مطبعة جامعة الخرطوم ، ط ٤ ، ١٩٩١م ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

^٥ سورة الرحمن ، آية : ١٣ .

^٦ سورة القمر ، آية : ١٧ .

^٧ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٤ .

تكرير هذه العبارات فى صدرى البيتين جاء لتقوية الحكمة .
أيضا قوله :

ولا تجزعا إن الحياة دَمِيمَةٌ فَخَفَا لِرَوَعَاتِ الحَوَادِثِ، أو قرا
وإن جاء أمرٌ لا تطيقان دَفَعَهُ فَلَا تجزعا مما قضى الله، وأصبرا^١

فقد تكررت كلمة لا تجزعا فى البيتين وهذا التكرار جاء للنهى عن الجزع من
قضاء الله وقدره .
كذلك قوله :

إذا أدلج الأزديُّ أدلج سارقاً، فأصبحَ مخطوماً بلومٍ مُعزِّراً^٢

تكررت كلمة أدلج فى صدر البيت مرتين ، وهذا التكرار جاء لتقوية الهجاء لقبيلة
الأزد .

أما عند كعب فقوله :

بانت سعادُ، فقلبي اليوم متبولُ، مُتَيِّمٌ إثرها ، لم يفد ، مكبولُ
وما سعادُ، غداة البين، إذ رحلوا، إلا أغنُّ غضيضُ الطرفِ مكحول^٣

تكرر اسم سعاد مرتين فى صدرى البيتين ، وغرض هذا التكرار هو ، التلذذ باسم
المحبوبة .

أيضا نجد التكرار فى قوله :

أكرم بها خلَّة، لو أنّها صدقتْ مَوْعُودَهَا أو لو انّ النصحَ مقبولُ
لكنها خلَّة قد سيط من دمها فَجَّعٌ ، وولعٌ ، وإخلافٌ ، وتبديلُ
ولا تمسكُ بالعهد الذي زعمتْ، إلا كما يمسكُ الماء الغرابيلُ
كانت مَواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً، وما مَواعيدُها إلا الأباطيلُ^٤

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٧ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٦٤ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٦٥ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٦٦ .

تكررت كلمات فى كل هذه الأبيات وهى (خلة ، وتمسك .يمسك ، مواعيد ، مواعيدها ، موعودها) هذه الأبيات ركز فيها الشاعر حديثه على خلق محبوبته ، وما اتصفت به من خيانة للعهود ، وعدم وفائها بالوعود ، وتلون ودّها ، وكثرت مواعيدها الباطلة ، وإخلافها لذلك أبد الدهر . فتكرار هذه الكلمات جاء لتقوية ذلك الحكم .

كذلك قوله :

أُنْبِتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ^١

فتكرر اسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، يوحى بالتعظيم والتقدير .

أما القطامي فنجد التكرار عنده فى قوله :

يَمْشِينَ رَهْوَاً فَلَا الْأَعْجَازُ خَازِلَةٌ وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّمُ
يَنْبَعْنَ سَامِيَةَ الْعَيْنَيْنِ تَحْسَبُهَا مَجْنُونَةً أَوْ تَرَى مَا لَا تَرَى الْإِبِلُ^٢

كرر القطامي كلمة الأعجاز ، وكذلك كلمة ترى . وكان الغرض من ذلك تقوية الوصف لهذه الناقة الكريمة .

أما الحطيئة فيقول :

فإنك خيرٌ من الزبرقان^٣ ، أشدُّ نكالاً وخيرٌ نوالاً^٤

كرر كلمة خير ، ليعفو عنه أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٩ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

^٣ الزبرقان بن بدر : صحابى ، من رؤساء قومه . ولاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر ، وتوفى أيام معاوية نحو ٤٥هـ / ٦٦٥م الأعلام ، ج ٣ ، ص ٤١ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .

إذا لا بد في اللفظ المكرر " أن يرتبط بالسياق ، وأن يلقي ما بعده عناية الشاعر ،
 وحين تتوفر للشاعر العناية بتكراره فإنه يؤدي به دورا جماليا ويجعل منه أداة
 تساعده على التشكيل الفني ، يترجم به عن تجربته ، ويعبر به عن موقفه ، ويخلق
 منه صورا فنية عديدة^١، وهذا ما نجده في قول الشماخ :
 وكل خليل، غيرها ، ضم نفسه ، لوصل خليل ، صارم أو معارز^٢

كرر كلمة خليل ، لحبه لها ، ومع ذلك ابتعدت عنه وتركته . مع أن كل صديق
 ضم نفسه لصديقه إلا هي . فهذا التكرار جاء من باب اللوم والعتاب .
 أيضا قوله :

تُعَادِي إِذَا اسْتَذَكَى عَلَيْهَا ، وَتَتَّقِي كَمَا تَتَّقِي الْفَحْلَ الْمَخَاضُ الْجَوَامِزُ
 وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ شَرِيعَةِ عَتَلْبِ ، وَلَا بِنِي عِيَاذٍ فِي الصُّدُورِ حَزَائِزُ^٣

كرر الشماخ كلمة تتقي وصدت صدودا ، عندما وصف الأتن الوحشية . فجاء هذا
 التكرار نتيجة لقوتها وسرعة ابتعادها عندما رأت قنرات الصيادين .
 الأسلوب في المشوبات له دلالات فنية ، والتكرار زاد هذه الدلالات روعة في
 الأداء ، وتكرارهم للكلمات والعبارات زادت هذه القصائد روعة في الأسلوب ،
 لذلك نجد تكرارا رائعا في قول عمرو بن أحمز :

هَلْ أَنْتَ طَالِبٌ وَتَرٍ لَسْتَ مُدْرِكُهُ أَمْ هَلْ لِقَلْبِكَ عَنِ الْأَفِّهِ وَطَرٌ
 أَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ آيَاتٍ ، فَقَدْ جَعَلْتَ آيَاتُ الْإِفْكِ بِالْوَدَكَاءِ تَدْتِيرُ
 أَمْ لَا نَزَالَ نُرَجِّي عَيْشَةَ أَنْفَاً ، لَمْ تُرَجَّ قَبْلُ وَلَمْ يُكْتَبْ بِهَا زُبُرٌ^٤

كرر الشاعر كلمة (هل ، أم ، آيات ، لم) ، وهذا التكرار كان قمة في الروعة
 والجمال .

^١ علي إبراهيم أبو زيد ، الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي ، ص ٣٣٨ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨١ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٨٣ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٨٩ .

وقوله :

يَرَى لَهَا وَهُوَ مَسْرُورٌ بِخَفَاتِهَا طَوْرًا، وَطَوْرًا تَسْنَأُ، فَتَعْتَكِرُ^١

فتكرار كلمة طورا ، كان الغرض منها قوة البقرة الوحشية ، وصراعها للذئب
عندما أراد أن يفترس جؤذرها .

يقول تميم بن مقبل :

طَافَ الْخِيَالَ بِنَا رُكْبًا يَمَانِينَا ودون ليلي عَوَادٍ لَوْ تُعَدِّينَا
مَنْهَنٌ مَعْرُوفٌ آيَاتِ الْكِتَابِ وَقَدْ تعنادُ تَكْذِبُ لَيْلَى مَا تُمَنِّينَا
لَمْ تَسْرِ لَيْلَى، وَلَمْ تَطْرُقْ لِحَاجَتِهَا مِنْ أَهْلِ رِيْمَانَ إِلَّا حَاجَةٌ فِينَا
يَا دَارَ لَيْلَى خِلَاءَ لَا أُكَلِّفُهَا إِلَّا الْمَرَانَةَ حَتَّى تَعْرِفَ الدِّيْنَا^٢

كرر الشاعر اسم محبوبته (ليلي) عدة مرات ، وكان الغرض من هذا التكرار
ليدل على الحزن العميق لفراقها وبعدها عنه .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٠ .
^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٩٥ .

المبحث الثالث:

الأوزان الشعرية:

الموسيقا:

تعد الموسيقا من مظاهر التشكيل الجمالي للشعر ، وربما عدت في مقدمة العناصر التي تدخل في تكوينه ، وكلما كان الشعر حلو الموسيقا ، عذب الأنغام ، مستقيم الوزن ، كان لاصقا بالقلوب ، وعالقا بالنفوس . فهي عنصر مهم من عناصر الشعر ، فتهيئ الجو ، وتخلق " الاستعداد النفسي لدى المتلقي لإستقبال مشاعر وانفعالات الشاعر ، فتوقظ العواطف ، وتنبه الأحاسيس " ^١ ، فهي تساعد على فهم النص الشعري والحكم على جودته إذ أن " الشعر ليس إلا كلاما موسيقيا ، تتفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب ، ولا يصاغ إلا في قالب من الموسيقا ، ولا يكون شعرا إلا إذا ما أتى فيما تألف من أنغام وإيقاع " ^٢ ، ولقد أكد هذه الفكرة كروتشة حين قال : " إنك لو جردت الشعر من أبحره وألفاظه وقوافيه ، لما تبقى هنالك فكرة شعرية كما يتخيل إلى بعضهم بل ما بقى شيء البتة ، فإنما نشأ الشعر مع هذه الألفاظ وهذه القواعد وهذه الأبحر ^٣ وهي نوعان داخلية وخارجية ، والخارجية تعتمد على الأوزان والقافية .

الموسيقا الخارجية :

الوزن :

فهو من الأركان الأساسية في الشعر العربي ولايقوم إلا به ، وقد وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي علم العروض ، وحدد فيه البحور الشعرية التي يجئ بها الشعر العربي ، وهي خمسة عشر بحرا ، وأضاف إليها الأخفش : وزنا سادس عشر ^٤ .

^١ د . عدنان حسين قاسم ، الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر في مصر - دراسة في أصالة التراث النقدي عند العربي ، منشورات المنشأة الشعبية ، ط ١ ، ١٩٧٢م ، ص ١٣٠ .

^٢ إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، طبع مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٥ ، ١٩٧٢م ، ص ٧ .

^٣ كروتشة ، المجلد في فلسفة الفن ، تعريب د . سامي الدروبي ، ص ٦٠ - ٦١ ، عن كتاب عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى - عباس بيومي عجلان ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٥م ، ص ٢٩٨ .

^٤ د عبد الله الطيب ، المرشد ، ج ١ ، ص ١٦ .

وقد جعل ابن طباطبا الوزن شرطاً لقبول الشعر فقال " وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ويرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه"^١.

ونبه ابن رشيق إلى أهمية وضرورة العناية بالوزن في نظم الشعر فقال : " الوزن أعظم أركان الشعر ، وأولها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية ، وجالب لها ضرورة ، إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن"^٢؛ لأنه العنصر الرئيسي في تشكيل الشعر ، فالشعر إذا خلا من الوزن بطل أن يكون شعراً ، والأصح أن يسمى عن ذلك قولاً شعرياً"^٣؛ لأنه " مجموعة التفعيلات التي يتألف منها البيت ، وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة"^٤. لذا يقول الفارابي : " وكثير من الشعراء الذين لهم قوة على الأقاويل المقنعة ، يضعون الأقاويل المقنعة ويزنونها ، فيكون ذلك عند كثير من الناس شعراً ، وإنما هو قول خطابي يدل به عن منهاج الشعر إلى الخطابة"^٥. فمن بعد ذلك تنبه النقاد إلى ما لاحظه الفلاسفة . فقال المرزباني : " ليس كل من عقد وزناً بقافية ، قال شعراً ، إذ الشعر أبعد من ذلك مراماً ، وأعز انتظاماً"^٦، فأصبح الشعر مهما بارضاء الآذان ، فلا يلقى إلا ما تستريح إليه ، فإذا تهاون الشاعر فأخل الوزن ، أو تهاون فلم يعط القافية حقها ، لم يغتفر السامعون ولا النقاد له ذلك"^٧.

أما الدكتور هداره فيقول : " الحقيقة إن محاولة تثبيت لون واحد لوزن من الأوزان ، جهد ضائع ؛ لأنّ الوزن وحده لا يمكن أن يفيض على الشعر لونا معيناً ، ولكن عناصر الشكل تتحد في إعطاء القصيدة لونها ، سواء كان هذا اللون صارخاً تشيع فيه الفتنة ، ويتأجج بالشكوى ، أم كان هادئاً يتسم بالجدّ والرزانة"^٨.

^١ ابن طباطبا ، عيار الشعر ، ص ٢١ .

^٢ ابن رشيق ، العمدة ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

^٣ إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٢٠٧ .

^٤ أحمد أمين ، النقد الأدبي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٩٦٧م ، ص ٤٣٦ .

^٥ الفارابي ، رسالة في قوانين الشعر (ضمن كتاب فن الشعر لارسطو) ، تحقيق : د . عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة - بيروت ، (بدون تاريخ) ، ص ١٥٢ .

^٦ المرزباني ، الموشح (مأخذ العلماء على الشعراء) ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، دار النهضة - مصر ، ١٩٦٥م ، ص ١٢٥ .

^٧ د . سعد إسماعيل شلبي ، الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، (بدون تاريخ) ، ط ٣ ، ص ١٢١ .

^٨ محمد مصطفى هداره ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ط ٣ ، ١٤٠١هـ ، ص ٥٧١ .

القوافي :

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، اختلف الناس في ماهية القافية فقالوا : " إن القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبل مع حركة الحرف قبل الساكن"^١ ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية إذ يتوقع السامع تردها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذن في فترات زمنية منتظمة ، وبعدد معين من مقاطع ذات نظام خاص"^٢ ، وهي " الحرف الذي يجئ في آخر البيت"^٣ . وفي العقد الفريد قال أبو موسى الحامضي^٤ : " إن القافية ما لزم الشاعر تكراره في آخر كل بيت"^٥ .

فهناك من يخلط بين الروي والقافية . والراجح قول الخليل بن أحمد : " القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن"^٦ ، وقد سميت القافية قافية لأنها تفقو إثر كل بيت^٧ . ولما كان الوزن مشتملا على القافية ، وهي شريكته في الإختصاص وملزمة له في العمل الشعري ، إذا لا بد من تسليط الضوء على بعض أنواع القوافي في المشوبات .

١/ القوافي المقيدة :

وهي " القوافي التي يكون فيها حرف الروي ساكنا"^٨ .

٢/ القوافي الذلل :

هي " الباء ، التاء ، الدال ، الراء ، العين ، الياء المتبوعة بألف الإطلاق ، والنون في غير تشديد أسهلها جميعا"^٩ .

ففي الراء مثلا يقول النابغة في الهجاء :

^١ ابن رشيق ، العمدة ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
^٢ إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، دار القلم - بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٠م ، ص ٢٤٦ .
^٣ د . عبد الله الطيب ، المرشد ، ج ١ ، ص ٥٣ .
^٤ أبو موسى الحامضي : (سليمان بن محمد بن أحمد ، نحوي من أهل بغداد ، توفي : ٣٠٤ هـ) ، الأعلام ، ج ٣ ، ص ١٣ .
^٥ ابن رشيق ، العمدة ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
^٦ الخطيب التبريزي ، الوافي في العروض والقوافي ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، عمر يحيى ، دار الفكر - دمشق ، ١٩٧٥م ، ص ١٤٩ .
^٧ ابن رشيق ، العمدة ، ج ١ ، ص ١٥٤ .
^٨ د . عبد الله الطيب ، المرشد ، ج ١ ، ص ٥٤ .
^٩ المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

إذا افتخر الأزدي يوماً، فقل
 فإن ترد العلياً، فلست بأهلها
 له تأخر فلم يجعل لك الله مفخراً
 وإن تبسط الكفين بالمجد تقصراً
 فأصبح مخطوماً بلوم معزراً^١

وقول عمرو بن أحمرو في البكاء على الشباب ومخاطبة الشيب :
 بان الشباب وأفنى ضعفه العمر
 هل أنت طالب وتر لست مدركه
 لله درك أي العيش تنتظر
 أم هل لقلبك عن الأفه وطر
 آيات إلفك بالودكاء تدثر^٢

وفي النون يقول تميم بن مقبل في الغزل :

وماتم كالدمي حور مدامعها،
 شم مخصرة، صينت منعمة،
 لم تياس العيش أكاراً ولا عوناً
 من كل داء باذن الله يشفينا
 بالاثمد الجون قد قرضنه حيناً^٣

٣/ القوافي النفر :

هي " الصاد ، الزاي ، الضاد ، الطاء ، الهاء الأصلية ، والواو"^٤.

قال الشماخ في قافية الزاي في وصف القوس :

تخيرها القواس من فرع ضالة،
 نمت في مكان كنها فاستوت به،
 لها شذب من دونها، وحزائز
 وما دونها من غيلها متلاجز
 ويغل حتى نالها، وهو بارز^٥

١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٤ .

٢ المصدر نفسه ، ص ٣٨٩ .

٣ المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ .

٤ د . عبد الله الطيب ، المرشد ، ج ١ ، ص ٥٧ .

٥ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٤ .

٤/ القوافي الحوشي :

هى " الناء ، الخاء ، الذال ، الشين ، الظاء ، الغين ، وكلها قد ركبها الشعراء ، لم يجيئوا إلا بالغت" ^١ .

فشعراء المشوبات فى مشوباتهم أجادوا قوافيهم ، فجاءت بجرس رنان ، وإيقاع عربي لا تشوبه شائبة من قبح أو شذوذ . وحافظوا على وحدة القافية فى القصيدة ، وقد نظموا فى نوعين من أنواع القوافي وهى القوافي الذلل ، والنفر .

الموسيقا الداخلية :

مما يشد انتباه السامع فى المشوبات ، الموسيقا الداخلية المتجانسة ، فحسهما الموسيقي كان أكبر دليل على الذوق الرفيع الذى كانوا يتمتعون به . ويقصد بالموسيقا الداخلية :

اختيار الشاعر للكلمات وما بينها من تلاؤم فى الحروف والحركات ^٢ ، وقد اشار العشماوي إلى هذه الموسيقا بقوله : " إن جزءاً هاماً من موسيقا الشعر نابع عن علاقات اللغة وأصواتها ونبراتها ، وما تحمله تلك الأصوات والنبرات من المشاعر" ^٣ .

وتبدو روعة وجمال الموسيقا الداخلية فى المشوبات التى اتصفت بالسهولة وعضوبة الألفاظ ، فكانت تلك الألفاظ لها نغمات موسيقية كما فى قول تميم بن مقبل :

طَافَ الْخَيْالُ بِنَا رَكْبًا يَمَانِينَا ودونَ ليلَى عَوَادٍ لَوْ تُعَدِّينَا
منهُنَّ مَعْرُوفٌ آيَاتِ الْكِتَابِ وَقَدْ تعنَادُ تَكْذِيبُ لَيْلَى مَا تُمَيِّنُنَا
لَمْ تَسْرِ لَيْلَى، وَلَمْ تَطْرُقْ لِحَاجَتِهَا مِنْ أَهْلِ رِيْمَانَ إِلَّا حَاجَةٌ فِينَا ^٤

فتكرار كلمة ليلى وضح المعنى من هذه الأبيات ، حيث موسيقا الشعر أوحى جرسها هنا بالغزل ، والهيام بحب ليلى .

^١ د . عبد الله الطيب ، المرشد ، ج ١ ، ص ٧٩ .

^٢ محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار النهضة المصرية - القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٩٧ .

^٣ محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار النهضة العربية - بيروت ، (بدون تاريخ) ، ص ٢٤٧ .

^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٥ .

فكراره لهذه الكلمات أصبح وسيلة من الوسائل الموسيقية يقصد بها التأثير والترنم وتقوية الإيقاع ، وجرس الألفاظ .

ومن صور التكرار فى المشوبات قول النابغة :

ضَرْبْنَا بَطُونَ الْخَيْلِ حَتَّى تَتَاوَلَتْ عَمِيدِي بَنِي شَيْبَانَ: عمراً ومُنْذِرَا
وَنَحْنُ ضَرْبْنَا بِالصَّقَا آلِ دَارِمٍ وَحَسَّانَ وَابْنَ الْجَوْنِ ضَرْبًا مُنْكَرًا^١

فقد تكررت كلمة ضربنا ، مما أعطى قوة فى المعنى بالنسبة للفخر وفى الإيقاع الموسيقي .

لقد تفاوت التكرار فى المشوبات ، فنجد تكرار للحروف فى قول النابغة :

وتِيهِ عَلَيْهَا نَسْجُ رِيحٍ مَرِيضَةٍ قَطَعْتُ بِحَرْجُوجِ مَسَانِدَةَ الْقَرَا^٢

تكرر حرف الجيم فى كلمة حرجوج ، وهنا أكسبها موسيقياً رنانة تطرب أذن السامع .

وفى قول الشماخ :

عَلَيْهَا الدُّجَى الْمُسْتَنْشَاتُ كَأَنَّهَا هَوَادِجُ مَشْدُودٍ عَلَيْهَا الْجَزَائِرُ^٣

تكرر حرف الزاي فى كلمة الجزائر ، فأعطى قوة فى الإيقاع الموسيقي ، ونغماً وترنيماً .

أيضاً قوله :

وَصَدَّتْ صُدُوداً عَن شَرِيعَةٍ عَثَلِبٍ ، وَلَا بَنِي عِيَاذٍ فِي الصُّدُورِ حَزَائِرُ^٤

فكرر حرف الصاد فى صدت صدودا ، والصدور ، وكذلك حرف الزاي فى حزائز . ففكرار هذه الحروف ، أكسب البيت إيقاعاً موسيقياً مطرباً .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٣ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٥٨ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٨٣ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٨٣ .

ومن دراستنا للموسيقا عند شعراء المشوبات فى مشوباتهم نجد أنهم لم يخرجوا عن الأوزان المعروفة للشعر العربي ، وقد نظموا فى بحر الطويل ، البسيط ، المتقارب .

بحر الطويل :

ليس بين بحور الشعر ما يضارع البحر الطويل فى نسبة شيعه ، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن^١ ، فقد قال عبد الله الطيب عنه: " وقد كانت العرب تلقى القصص فى أشعارها على سبيل التلميح والإشارة ولما كان بحر الطويل رحيب الصدر ، طويل النفس فإن العرب وجدت فيه مجالا أوسع للتفصيل فى داخل نطاق التلميح والإشارة ، مما كانت تجد فى غيره من الأوزان . ولهذا فقد كان أصلح من غيره لتسجيل الأخبار والأساطير^٢ ، حيث كانت العرب تسميه " الركوب ؛ لكثرة ما كانوا يركبونه فى أشعارهم^٣ ، فهو بحر " خضم يستوعب ما لا يستوعب غيره من المعاني ، ويتسع للفخر والحماسة والتشابه ، والإستعارات ، وسرد الحوادث ، وتدوين الأخبار ووصف الأحوال^٤

وسمي طويلا لمعنيين : أحدهما أنه أطول الشعر ؛ لأنه ليس فى الشعر ما يبلغ عدد حروفه الثمانية والأربعين حرفا ، والثاني : يقع فى أول أبياته الأوتاد والأسباب بعد ذلك ، والوتد أطول من السبب ، فسمي لذلك طويلا ، وهو على ثمانية أجزاء " فعولن مفاعيلن " أربع مرات ، وله عروضه واحدة وثلاثة أضرب وعروضته لم تستعمل إلا مقبوضة^٥ .

ولما كان بحر الطويل يتسع لكثير من المعاني لجأ إليه شعراء المشوبات فى الوصف عن الناقة ، فقال النابغة فى ذلك :

وتيه عَلَيْهَا نَسْجُ رِيحٍ مَرِيضَةٍ قَطَعْتُ بِحَرْجُوجٍ مَسَانِدَةَ الْقَرَا
خَنُوفٍ مَرُوحٍ تُعْجِلُ الْوَرُوقَ ، بَعْدَمَا تُعْرَسُ تُشْكُو آهَةً وَتَذْمُرَا

^١ إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص ١٠٠ .

^٢ عبد الله الطيب ، المرشد ، ص ٣٩٩ - ٤٠١ .

^٣ أبو العلاء المعري ، الفصول والغايات ، تحقيق : محمد حسن زنتي ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٧٧م ، ص ٢٦٧ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ .

^٥ الخطيب التبريزي ، الوافي فى العروض والقوافي ، ص ٣٧ .

وَتُعْبَرُ يَعْقُورَ الصَّرِيمِ كِنَاسَهُ وَتُخْرِجُهُ طُورًا، وَإِنْ كَانَ مَظْهَرًا^١

ثم انتقلوا للحديث عن الفرس ، فوصفه لنا النابغة فأمعن فى تفصيل حركاته
وسكناته معتمدا على رحابة صدر البحر الطويل ، فقال :

شَدِيدُ قِلَاتِ المَرْفِقَيْنِ، كَأَنَّمَا بِهِ نَفَسٌ، أَوْ قَدْ أَرَادَ لِيَزِفِرَا
وَيُعَلِي وَجِيفُ الأَرْبَعِ السَّوَدِ لِحْمَهُ كَمَا بَنِي التَّابُوتِ أَحْزَمَ مُجْفِرَا
فَلَمَّا أَتَى لَا يُنْقِصُ القَوْدُ لِحْمَهُ نَقَصْتُ المَدِيدَ والشَّعِيرَ لِيَضْمُرَا^٢

كذلك قول الشماخ فى وصف الأتن الوحشية :

وَضَلَّتْ بِأَعْرَافٍ كَأَنَّ عِيُونَهَا إِلَى الشَّمْسِ هَلْ تَدْنُو رَكِيَّ النُّوَكَزِ
لَهَنَّ صَلِيلٌ يَنْتَظِرُنَ قَضَاءَهُ، بَضَاحِي عِدَاةٍ أَمْرُهُ فَهُوَ ضَامِرٌ
فَلَمَّا رَأَيْنَ الوَرْدَ مِنْهُ صَرِيمَةً، قَصَيْنَ، وَوَلَّاهُنَّ خَلًّا مُحَاوِزًا^٣

تمثل البحر الطويل فى المشوبات فى قصيدتين ، وهذا يعنى قلة استخدامهم للبحر
الطويل ، فى حين غلب استخدامهم للبحر البسيط .

بحر البسيط :

يأتى فى المرتبة الثانية بعد الطويل من حيث الترتيب^٤ ، عند شعراء المشوبات من
بين البحور التى نظموا فيها ، ومثلما وجدوا فى بحر الطويل إتساع فى القول ،
فإن البسيط أيضا قد هيأوا له مثل هذا المجال بل أكثر ، فهو " أخو الطويل فى
الجلالة والروعة ، إلا أن الطويل أعدل مزاجا منه ، ويقصد بالبسيط أن فيه بقية
من إستفعالات الرجز ذات دندنة تمنع نغمه أن يكون خالص الإختفاء وراء كلام
الشاعر كالإطار من الصورة ، ولا يكاد روح البسيط يخلو من أحد النقيضين :

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٨ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٦١ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٨٢ .

^٤ فوزي سعد عيسى ، العروض العربى ومحاولات التطور والتجديد ، دار المعرفة الجامعية - القاهرة ،
١٩٩٦م ، ص ٧٦ .

العنف أو اللين . وتكاد صبغة على وجه الإجمال تكون إنشائية إذا أفترضنا فى الطويل صبغة خبرية ، وهذا مجرد تقريب وتمثيل . وبما أن الوصف والقصص مما يغلب فيها جانب الخبر على الإنشاء ، فإن البسيط يتطلب منهما أنواعا خاصة فإنهما لا يستقيمان ولا يصلحان له^١ ، كما أن " موسيقاه هادئة سيالة ، وإن كان إيقاعه واضحا " ^٢ .

وهكذا يظهر أن شعراء المشوبات تناولوا بحر البسيط بدرجة عالية بالنسبة إلى الأوزان الأخرى التى نظموا فيها ، ووجدوا فيه ما يلائم أغراضهم ، لذا أكثروا منه فى مديحهم ، كما استخدموه فى هجائهم ؛ لأنه صالح " لتقبل العنف ، والرقيق الباكي من الكلام . والسر فى صلاحيته لهذين النقيضين هو : أن نغمه يتطلب عاطفة قوية — أى كان نوعها — يعبر عنها الشاعر تعبيراً خطابياً جهيراً ، ويلزم مع ذلك جانب الجلالة والرفعة ، وهاتان الصفتان هما اللتان تجمعان بينه وبين الطويل " ^٣ .

وفيما يلي نعرض لبعض القصائد التى ركب فيها شعراء المشوبات بحر البسيط كقولهم فى مدح المهاجرين من قصيدة كعب :

شُمُّ العَرَانِينِ ، أَبْطَالٌ ، لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَائِيلِ
بِيضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفَعَاءِ ، مَجْدُولِ
لَا يَفْرَحُونَ ، إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا ، وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا ، إِذَا نِيلُوا^٤

وقول القطامي فى الحكمة :

لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَى بَشَاشَتُهُ ، إِلَّا قَلِيلًا ، وَلَا ذُو خُلَّةٍ يَصِلُ
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ ، وَلَا حَالَةٌ إِلَّا سَتَّتَقِلُ
وَالنَّاسُ مِنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلَأَمَّ الْمُخْطِئِ الْهَبَلُ^٥

١ عبد الله الطيب ، المرشد ، ج ١ ، ص ٤٥٢ .
٢ شكري عباد : موسيقى الشعر العربى ، دار المعرفة - القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٨م ، ص ٩٢ .
٣ عبد الله الطيب ، المرشد ، ص ٥٣٧ .
٤ أبو زيد القرشى ، الجمهرة ، ص ٣٧١ .
٥ المصدر نفسه ، ص ٣٧٣ .

أيضا نجد قول عمرو بن أحمـر في وصف البقرة الوحشية من بحر البسيط :

تَطَايِحَ الطَّلِّ عَنْ أَرْدَافِهَا صُعْدًا كَمَا تَطَايِحَ عَنْ مَامُوسَةَ الشَّرَرُ
كَأَنَّمَا تِلْكَ لَمَّا أَنْ دَنَتُ أَصْلًا، مِنْ رَحْرَحَانٍ وَفِي أَعْطَافِهَا زَوْرُ
حَى إِذَا كَرَبْتِ، وَاللَّيْلُ يَطْلُبُهَا أَيَّدِي الرِّكَايَا عَنِ اللَّعْبَاءِ تَتَحَدَّرُ^١

كذلك قول تميم بن مقبل في الوقوف على الأطلال :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ أَبْكَارِ الحَمَامِ بِهِ، فِي كُلِّ مَحْنِيَةٍ مِنْهُ يُغْنِيْنَا
أَصْوَاتُ نِسْوَانٍ أَنْبَاطٍ بِمَصْنَعَةٍ، يُجَدِّنَ للنَّوْحِ، وَاجْتَبَنَ التَّبَايِينَا
مِنْ مُشْرِفٍ لِيَطَّ البَلَاطُ بِهِ، كَانَتْ لِسَاسَتِهِ تُهْدِي قَرَابِينَا^٢

بحر المتقارب :

قال الدكتور عبد الله الطيب : " المتقارب من البحور القصار ، ولا يصلح فيه النظم إلا لمجرد الدندنة والترويح عن النفس^٣ ، وهو بحر سهل ويسير ذو نغمة واحدة متكررة^٤ ، وبه " رنة ونغمة مطربة على شدة مأنوسة وهو أصلح للعنف والسير السريع^٥ .

سمي متقاربا لتقارب أوتاده بعضها من بعض ، ولأنه يصل بين كل وتدين فسبب واحد ، فتقارب فيه الأوتاد فسمي بذلك متقاربا^٦ .

قال الحطيئة في هذا البحر :

إلى حاكمٍ عَادِلٍ حُكْمُهُ، فَلَمَّا وَضَعْنَا لَدَيْهِ الرِّحَالَا
صرى^٧ قولَ مَنْ كَانَ ذَا مِرَّةٍ وَمَنْ كَانَ يَأْمُلُ فِي الضَّلَالَا
أَمِينُ الخَلِيفَةِ ، بَعْدَ الرَّسُولِ، وَأَوْفَى قُرَيْشٍ جَمِيعًا حِبَالَا^٨

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩١ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ .

^٣ عبد الله الطيب ، المرشد ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٣٧ .

^٥ أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة - القاهرة ، ط ٧ ، ١٩٦٤م ، ص ٣٢٣ .

^٦ التبريزي ، الوافي في العروض والقوافي ، ص ١٨٣ .

^٧ صرى : قطع .

^٨ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٨ .

وَأَطُولُهُمْ فِي النَّدى بَسْطَةً
أَنْتَتِي لِسَانٍ ، فَكَذَّبْتُهَا ،
بِأَنَّ الوُشَاةَ ، بلا عِذْرَةٍ ،
فَجَبْتُكَ مُعْتَذِرًا رَاجِيًا
فَلَا تَسْمَعَنَّ بِي قَوْلَ الوُشَاةِ
فَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنَ الزَّبْرِقَانِ ،
وَأَفْضَلُهُمْ حِينَ عُدُّوا فَعَالَا
وَمَا كُنْتُ أَحْذَرُهَا أَنْ تُقَالَ
أَتُوكَ فَقَالُوا لَدَيْكَ المِحَالَا
لِعَفْوِكَ أَرْهَبُ مِنْكَ النِّكَالَا
وَلَا تُؤْكِلْنِي ، هُدَيْتَ ، الرَّجَالَا
أَشَدُّ نِكَالًا ، وَخَيْرٌ نَوَالَا

ونلاحظ مما تقدم فى المشوبات ، أنهم نظموا فى بحر الطويل والبسيط والمتقارب
ونستخلص من هذا أن شعراء المشوبات كانوا يميلون إلى استخدام الأوزان
المنبسطة ، مثل الطويل والبسيط .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٩ .

المبحث الرابع :

الصورة الفنية فى المشوبات :

إن مفهوم الصورة عند الجاحظ يدل على كشف المعنى ووضوحه دون قيد يسلبه الجمال والسحر ، فهو من أنصار اللفظ والمعنى ، وهو يعتبر الشعر ضرباً من التصوير ، إذ يقول : " المعاني مطروحة فى الطريق ، يعرفها العجمي والعربيّ والبدويّ والقرويّ والمدنيّ ، وإنما الشأن فى إقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج ، وكثرة الماء فى صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير^١ ، فهى الجواهر الثابت والدائم فى الشعر ، فتكون بالنسبة للناقد المعاصر " وسيلته التى يستكشف بها القصيدة ، وموقف الشاعر من الواقع هى إحدى معاييرها الهامة فى الحكم على أصالة التجربة ، وقدرة الشاعر على تشكيلها فى نسق يحقق المتعة والخبرة لمن يتلقاها^٢ .

وردة كلمة (صورة) فى القرآن الكريم بصيغ مختلفة ، وكذلك فى السنة النبوية العطرة .

فى القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾^{٦٤} ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾^٨ ، وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^٦ ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾^{١١} .

^١ الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ، ١٩٤٨م ، ج ٣ ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

^٢ جابر عصفور ، الصورة الفنية فى التراث البلاغي والنقدي ، دار الثقافة - القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ٧ .

^٣ سورة غافر ، آية : ٦٤ .

^٤ سورة الانفطار ، آية : ٨ .

^٥ سورة آل عمران ، آية : ٦ .

^٦ سورة الأعراف ، آية : ١١ .

ومن الأحاديث (لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة) أراد الملائكة السّياحين غير الحفظة والحاضرين عند الموت^١، كذلك (أتاني الليلة ربي في أحسن صورة) . أي أتاني ربي وأنا في أحسن صورة^٢ .

فالصورة في الشعر تأخذ معنى آخر ، حيث أنها هي لب الشعر وذاته ، وليست شيئا يضاف لتزيين المعنى ، بل هي المادة الحقيقية للمعنى ، ويتخذها الشاعر لتصوير واقعه النفسي والفكري والاجتماعي ، " ويتميز في تاريخ مصطلح الصورة الفنية مفهومين ، قديم : يقف عند حدود الصورة البلاغية في التشبيه والمجاز ، وحديث : يضم إلى الصورة البلاغية نوعين آخرين هما : الصورة الذهنية ، والصورة باعتبارها رمزا حيث يمثل كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة ، إتجاها قائما بذاته في دراسة الأدب الحديث "٣ .

إذن هي تلك الألفاظ والعبارات التي ينظمها الشاعر في صياغ لغوي يعبر بها عن جانب من جوانب التجربة الفنية الكاملة ، مستخدما كل إمكانياته اللغوية من تشبيه واستعارة ، وكناية ، وغير ذلك .

ففي هذا الفصل نتناول بعض عناصر الصورة الفنية ونحصر دراستنا في التشبيه والاستعارة والكناية .

^١ أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت ، ١٩٧٩م ، ج ٤ ، ص ٧٨٩ .

^٢ المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .

^٣ على البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني دارسة في أصولها وتطورها ، دار الأندلس ، ط ٢ ، ١٩٨١م ، ص ١٥ .

التشبيه :

هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه^١، فالتشبيه هو صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية، لكان إياه. ألا ترى قولهم خد كالورد، إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطرأوتها^٢، فحسن التشبيه عنده " أن يقرب بين البعيدين حتى تصير بينهما مناسبة واشتراك"^٣ ومعناه " الإخبار بالشبه، وهو الاشتراك في صفة أو أكثر^٤. أيضا هو " إلحاق أمر بأداة"^٥، وقد يكون في الهيئة، وقد يكون في المعنى، وإنه تارة يقع بالصورة والصفة، وأخرى بالحال والطريقة^٦.

وعليه أن التشبيه هو بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر واثبات للمشبه حكما من أحكام المشبه به قصدا للمبالغة، لذا يوجد في المشوبات بصورة أوضح حيث استعملوه بكل أنواعه، (الطويل والقصير) .

فمن التشبيه القصير قول النابغة :

نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَرَّقٍ، أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ مَقْفَرًا
كُهُولًا وَشُبَّانًا، كَأَنَّ وَجوهَهُمْ دَنَانِيرُ مِمَّا شَيْفَ فِي أَرْضٍ قَيْصَرًا^٧

شبه النابغة وجوه أصحابه في مجلس حاكم الحيرة بالدنانير المصقولة الجميلة التي جئ بها من أرض الروم، في كل من الجمال والبريق واللمعان . بالنسبة للتشبيه الطويل أيضا نجده عند النابغة عندما يشبه ناقته الضامرة المسرعة في سيرها بالبقرة الوحشية فيترك الناقة وينخرط في وصف البقرة وذلك في قوله:

^١ بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، ١٩٨٧م، ص ١٦ .

^٢ ابن رشيق، العمدة، ص ٢٨٦ .

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٨٩ .

^٤ بدوي طبانة، علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، المطبعة الفنية الحديثة - بيروت - لبنان، ١٩٦٧م، ص ١٧٩ .

^٥ علي محمد حسن العماري، أسرار البيان، الدار القومية، ط ٥، ١٩٦٥م، ص ٢٣ .

^٦ الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف - مصر، ص ٧٤ .

^٧ أبو زيد القرشي، الجمهرة، ص ٣٥٨ .

وتيه عليها نسج ریح مریضة
 خنوف مروح تعجل الورق، بعدما
 وتعبر يعفور الصريم كناسه
 كمرقدة فرد من الوحش حرة
 قطعت بحر جوج مساندة القرا
 تعرس تشكو آهة وتذمرا
 وتخرج طورا، وإن كان مظهرا
 أنامت بذي الذئبين بالصيف جورا^١

هذا تشبيهه (طويل) حيث شبه النابغة ناقته بالبقرة الوحشية من حيث السرعة والنشاط وتداني الفخزين وتباعد الحافرين ، ثم ترك الناقة وانخرط في وصف البقرة وجؤذرها وحكايتها مع الذئب ، فالنابغة في وصفه للبقرة دليل على اعجابه بناقته وما تتصف به من قوة ونشاط في السير فشبهها بها ولكن سرعان ما لبث ثم نسي ناقته ، واستغرق في وصف البقرة وجؤذرها ، والذئب الذي يلاحق البقرة لكي يفترس جؤذرها ، فتركه وتذهب لترعى فيفترسه بفمه الذي شبهه الشاعر كأنه مشقوق بعصا . وهذا دلالة على جوعه الشديد . فيقول :

فأمسى عليه أطلس اللون شاحيا شحيا تسميه النباطي، نهسرا
 طويل القرا، عاري الأشاجع، ماردا كشق العصا فوه، إذا ما تضورا
 فبات يذكيه بغير حديدة أخو قنص يمسي ويصبح مقفرا^٢

رجعت البقرة تتحسس جؤذرها فوجدته أشلاء ومخضب بالدماء ، فشبه النابغة خد جؤذر البقرة الوحشية لما فيه من السواد ولون الدم والبياض ببرقع الفتاة . هذه البقرة ولت فرارا عندما أدركت اليقين فيقول :

فلاقت بيانا عند أول مربض إهابا، ومعبوطا من الجوف أحمر
 ووجها كبرقوع الفتاة ملما وروقين لما يعدوا أن تقمرا^٣

أيضا شبه الغبار الذي تسوقه من خلفها بكثيب الرمل وبقطعان الإبل ، وشبهها هي بالكوكب الذي يظهر في منتصف النهار عندما ينحسر منه السحاب فقال :

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٩ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ .

كسا دَفَعُ رَجْلَيْهَا صَفِيحَةً وَجَهَهُ إِذَا انجَرَدَتْ، نَبَتَ الخَزَامَى المُنُورًا
تَلَالًا كَالشُّعْرَى العَبُورِ، تَوَقَّدَتْ وَكَانَ عَمَاءٌ دُونَهَا فَتَحَسَّرُوا^١

لم يلبس النابغة قليلا حيث تاركا ناقته منتقلا إلى وصف فرسه بعدما شبه ناقته بالبقرة الوحشية ، هذا الفرس عندما رأى المعركة أراد اللحاق بها ، فجمع السلاح فوق الفرس وعرفه باسمه لكي يسرع في الجري فقال :

أزجُ بذلقِ الرِّمَحِ لَحْيِيهِ، سَابِقًا نَزَائِعَ مَا ضَمَّ الخَمِيسُ وَضَمَّ رَا
فَلَمَّا أَتَى لَا يُنْقِصُ القَوْدُ لَحْمَهُ نَقَصْتُ المَدِيدَ والشُّعِيرَ لِیَضْمُرَا
وَكَانَ أَمَامَ القَوْمِ مِنْهُمْ طَلِيعَةٌ فَأرَبَى يَفَاعًا مِنْ بَعِيدٍ، فَبَشَّرَا
وَنَهْنَهُتُهُ حَتَّى لَبَسَتْ مَفَاضَةً مُضَاعَفَةً كَالنَّهْيِ رِيحٍ، وَأَمَطَرَا
وَجَمَعْتُ بَزِي فَوْقَهُ، وَدَفَعْتُهُ وَنَأَنَاتُ مِنْهُ خَشِيَّةٌ أَنْ يُكْسَّرَا
وَعَادِيَةَ سَوْمِ الجَرَادِ شَهْدَتُهَا فَكَفَلْتُهَا سَيِّدًا أزلَّ مُصَدَّرَا
شَدِيدُ قِلَاتِ المَرْقِقِينَ، كَأَنَّمَا بِهِ نَفَسٌ، أَوْ قَدْ أَرَادَ لِیَزْفِرَا^٢

التشبيه عند النابغة هنا في شكل قصة الفرس كاملة ، بداية من الخيل المنتشرة في ساحة المعركة ، التي شبهها بالجراد لكثرتها ، فينطلق بفرسه الكريم فيسبق هذه الخيول السريعة ويشبهه بالذئب في عظم الصدر وقلة لحم العجز ، فعندما يعرفه باسمه يستجيب له ، فيجري منطلقا لا يلوي على شئ وهذا دليل على سرعته فيقول :

وَعَرَفْتُهُ فِي شِدَّةِ الجَرِيِّ بِاسْمِهِ وَأَشْلَيْتُهُ حَتَّى أَرَاخَ وَأَبْصُرَا^٣

ويشبه فرسه في انطلاقه وسرعته بمرور السهم الطويل ، وكذلك شبهه داخل المعركة وانقضاضه على عدوه بالصقر القليل الريش الناقب النظر الذي يرى فريسته من على البعد فينغض عليها فيقول :

فَظَلُّ يُجَارِيهِمْ كَأَنَّ هُوِيَّةَ هُوِيٍّ قَطَامِيٍّ مِنَ الطَّيْرِ أَمْعَرَا^١

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٠ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٦١ .

هذا الفرس له بطن قوية تشبه الترس ، فهو لا يتغير من حاله حتى وإن جاع أربعة أيام بلياليها ، فشبّه انتفاخ بطنه بالتأبوت فقال :

لَهُ عُنُقٌ فِي كَاهِلٍ غَيْرِ جَانِبٍ وَلَجَّ لَحْيِيَّهِ وَنَحَى مُدْبِرًا
وَبَطْنٌ كَظَهْرِ التَّرْسِ لَوْ شُلَّ أَرْبَعًا لِأَصْبَحَ صِفْرًا بَطْنُهُ مَا تَجَرَّجَرَا
وَيُعَلِي وَجِيفُ الْأَرْبَعِ السُّودَ لَحْمَهُ كَمَا بَنَى التَّابُوتُ أَحْزَمَ مُجْفَرًا^٢

لذلك جرت عادة الشعراء الجاهليين على قرن الفرس بالبعير حفظاً للقوة في الخروج للمعركة . فنجد النابغة عندما أراد العودة إلى وصف ناقته في نهاية قوله عندما تجاوزها لغيرها قال :

فَأُرْسِلَ فِي دُهُمٍ كَأَنَّ حَنِينَهَا فَحَيْحُ الْأَفَاعِي أُعْجِلْتُ أَنْ تَحَجَّرَا
لَهَا حَجَلٌ فُرْعُ الرَّوَّوسِ، تَحَلَّيْتُ عَلَى هَامِيهِ، بِالصَّيْفِ، حَتَّى تَمُورَا
إِذَا هِيَ سَيْقَتُ دَافَعَتُ ثَفَنَاتِهَا إِلَى شَرَرِ تَرِي مِرَارًا مُقْتَرَا
وَتَغْمِسُ فِي الْمَاءِ الَّذِي بَاتَ آجِنًا إِذَا وَرَدَ الرَّاعِي نَضِيحًا مُحْبِرًا^٣

يخلص الشاعر من وصف الفرس رابطاً بوصف الناقة عندما أرسله في إبل سود سارت مسافات طويلة ، هذه الإبل لها صغار باكية ولها حنين إلى امهاتها حتى سالت دموعها وسقط شعر رأسها . هذه الإبل إذا سيقت إلى الحياض تسير بسرعة دون توقف حتى تصل إلى المياه الصافية ، فتغمس رأسها لتشرب فيسمع لها صوت .

فشبّه النابغة حنين الإبل التي بعدت مسافات طويلة عن صغارها بفحيح الأفاعي تتعجل للجحر ، وعندما تسير تدافع ركبها ، لذا ينقطر اللبن من ضروعها ، فإذا وردت الحياض التي مياهها صافية وحواليها الأعشاب التي تزينها تغمس رأسها فتشرب . فشبّه صوت تدلي الماء في حلقها بصوت الزمّار عندما ينفخون في مزاميرهم فقال :

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦١ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٦١ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٦٢ .

حَنَاجِرُ كَالْأَفْمَاعِ فَحَّ حَنِينَهَا ، كما نَفَخَ الزَّمَّارُ ، فِي الصَّبْحِ ، زَمَخْرًا^١

يقول أبو هلال العسكري : " ويتسم التشبيه بالإيجاز والوضوح فهو فضلا عن جماله التصويري ، ويتصف بالإيجاز والاقتصاد على ذهن السامع مع إيضاح المبهم ، وإظهار الخفي ، وإذا جاء التشبيه في أعقاب المعاني أفادها جمالا ، وزادها كمالا ، وضاعف من قواها في ترحيل النفس إلى المقصود بها على إختلاف فنونها ، فهو يعين على نقل الصورة وتكوين اللوحة الكاملة ، فالتشبيه في كل صورة فيه اقتصاد على إنتباه السامع ، ويقرب على الأفهام خيال ما لا تقربه الحقيقة من المعاني والتحليلات البديهية^٢ . ومثل قول العسكري نجد ما قاله كعب في الغزل في مقدمة قصيدته التي يقول فيها :

بَانَتْ سَعَادُ ، فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ ، مُنْتِمِّمٌ إِثْرَهَا ، لَمْ يُفَدَ ، مَكْبُولُ
وما سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ، إِلَّا أَغْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
هَيْفَاءُ مُقْبِلَةٌ ، عَجَزَاءُ مُدْبِرَةٌ ، لَا يَشْتَكِي قِصْرَ مِنْهَا ، وَلَا طُولُ
تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْمُولُ^٣

بدأ كعب قصيدته بالغزل ، ذاكرا محبوبته سعاد أنه لما فارقته هذه المرأة ، وتبلت قلبه وتيمته ، صار بعدها كأسير محبوس لم يفد بفداء يفكه من الأسر فهو باق على حالة الأسر . ثم شبهها بالغزال ، وشبه ثغرها الطيب النكهة عندما تبتسم برائحة الخمر .

أيضا نجد قوله :

وَلَا تَمَسِّكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ ، إِلَّا كَمَا يَمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَائِبُ
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عَرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا ، وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ^٤

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٢ .
^٢ د . عبد الفتاح عثمان ، التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني ، مكتبة الشباب - القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٣ م ، ص ٢٥ .
^٣ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٥ .
^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٦٦ .

يشبه كعب محبوبته سعاد في عدم تمسكها بالعهد الذي تكلفت الوفاء به ، بإمساك الغرابيل للماء في العدم ، كذلك شبهها بعرقوب في إخلافها للمواعيد التي لا تفي بها واعتيادها للكذب .

ثم يذهب إلى وصف ناقته التي يشبهها بحمار الوحش فيقول :
أَمَسَتْ سَعَادُ بِأَرْضٍ لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَايِلُ
وَلَنْ يُبَلِّغَهَا إِلَّا عُدَافِرَةٌ، لَهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ
مِنْ كُلِّ نَضَاخَةِ الذَّفْرِيِّ إِذَا عَرِفَتْ عُرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ
تَرْمِي الْغُيُوبَ بَعَيْنِي مُفْرِدٍ لَهَقِ إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحُزَّانُ وَالْمِيلُ
ضَخْمٌ مَقْلُدُهَا، فَعَمَّ مَقْيَدُهَا، فِي خَلْقِهَا عَن بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ
غَلْبَاءُ، وَجَنَاءُ، عُلُكُومٌ، مُذَكَّرَةٌ، فِي دَفِّهَا سَعَةٌ قَدَامُهَا مِيلُ
وَجَلِدُهَا مِنْ أَطُومٍ لَا يُؤَيِّسُهُ طَلْحٌ ، بَضْحِيَّةِ الْمَتْنَيْنِ، مَهْزُولُ
حَرْفٌ أَبُوهَا أَخُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ، وَعَمُّهَا خَالُهَا، قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ
يَمْشِي الْقِرَادُ عَلَيْهَا، ثُمَّ يُزْلِقُهُ مِنْهَا لَبَانٌ ، وَأَقْرَابُ زَهَالِيلُ
عَيْرَانَةٌ قَذِفَتْ بِالنَحْضِ عَن عُرْضِ مَرْفَقِهَا عَن ضُلُوعِ الزَّوْرِ مَفْنُولُ
كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنِيهَا وَمَذْبَحَهَا، مِنْ خَطْمِهَا وَمَنْ اللَّحْيَيْنِ بَرِطِيلُ
قَنَوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا، لِلْبَصِيرِ بِهَا عِتْقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ
تَخْذِي عَلَى يَسْرَاتٍ ، وَهِيَ لَاهِيَةٌ، ذَوَابِلُ ، وَقَعُهنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ
سَمُرُ الْعَجَايِبِ يَتْرُكْنَ الْحَصَى زِيْمًا وَلَا يَقِيهَا رُؤُوسَ الْأَكْمِ تَتْعِيلُ^١

شبه كعب ناقته في شدة نشاطها وسرعة سيرها بحمار الوحش ، وكذلك شبهها بحرف النون في تقوسها ، وذلك لضمورها ورقتها .

وأيضا يشبهها بحمار الوحش في ذنبها الذي يشبه جريد النخل في الغلظ والطول ، لكونه كثير الشعر على ضرع لم تنقصه مخارج اللبن ، لكونها لا تحلب وذلك في قوله :

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ٣٦٦ - ٣٦٨ .

تَمْرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ، ذَا خُصْلِ، فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوَّنَهُ الْأَحَالِيلُ^١

ثم يشبه سرعتها للحوقها بالنوق ، بالرماح الصلبة الشديدة سريعة الرفع عن الأرض ، كذلك شبه سرعة حركة يديها في أثناء سيرها بحركة السراب في الأماكن المرتفعة كما في قوله:

يَوْمًا تَظَلُّ حِدَابُ الْأَرْضِ تَرْفَعُهَا، مِنْ اللَّوَامِعِ، تَخْلِيْطُ وَتَزِيلُ
كَأَنَّ أَوْبَ زِرَاعِيهَا ، إِذَا عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ^٢

ذكر صاحب كتاب الطراز أن التشبيه هو " الجمع بين الشئيين ، أو الأشياء ، بمعنى ما ، بواسطة الكاف ونحوها " ^٣، وهذا ما جاء في قصيدة القطامي حيث يقول:

أَنَا مُحْيِيَّكَ، فَاسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلُّ، وَإِنْ بَلَيْتَ، وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطُّوْلُ
أَنْتَى اهْتَدَيْتَ لِتَسْلِيمٍ عَلَى دِمَنِ، بِالْغَمْرِ، غَيْرَهُنَّ الْأَعْصُرُ الْأَوَّلُ
صَافَتْ تَمَعَّجُ أَعْنَاقُ السِّيُولِ بِهَا، مِنْ بَاكِرٍ سَبَطِ، أَوْ رَائِحِ يَنْلُ
فَهِنَّ كَالْحَلِّ الْمَوْشِيِّ ظَاهِرُهَا، أَوْ الْكِتَابِ الَّذِي قَدْ مَسَّهُ بَلَلٌ^٤

شبه القطامي ديار محبوبته عندما وقف عليها ، بالكتاب القديم الذي أصابته ماء فتبل ، حيث كانت جميلة ومزينة بالنقوش ، مثل باطن السيف المنقوش .

أيضا يشبه عيون ناقته بالبئر التي نرح ماءها من شدة التعب فيقول :

حَتَّى تَرَى الْحَرَّةَ الْوَجْنَءَ لَاغِيَةً، وَالْأَرْحَبِيَّ الَّذِي فِي خَطْوِهِ خَطْلُ
خُوصًا تُدِيرُ عَيْونًا مَاؤَهَا سَرِبٌ عَلَى الْخُدُودِ إِذَا مَا اغْرُورِقَ الْمُقَلُّ
لَوَاغِبَ الطَّرْفِ، مَنْقُوبًا مُحَاجِرُهَا، كَأَنَّهَا قَلْبٌ عَادِيَّةٌ مُكَلُّ^٥

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٦ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٦٨ .

^٣ يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ج ١ ، ١٩٨٠م ، ص ٢٦٣ .

^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٣ .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

شبه القطامي ناقته العظيمة الوجدنين عندما أصابها التعب وظلت عيونها غائرة والدموع بداخلها ، بآبار عاد القديمة التي نرح ماؤها ، وكذلك عندما كانت سائرة في الطريق المستقيم الذاهب إلى العلاء ، الذي شبهه بالكساء الذي فيه خطوط مختلفة الألوان في قوله :

لَمَا وَرَدْنَ نَبِيًّا ، وَاسْتَبَّ بِنَا مُسْحَنَفْرٌ^١ ، كَخَطُوطِ السَّيْحِ مُنْسَحِلٌ^٢

نجد التشبيه عند الحطيئة لمحبوبته أمانة بالظباء ، وهذا ما ورد عند الشعراء العرب كثيرا ، فارتبطت عندهم " بالجمال والسرعة وقد أعجب العرب منها : طول العنق ونصاعة اللون ، وراقهم فيها تناسق الأعضاء ، ورشاققتها ، فشبهوا بها كل ما وجدوه رائعاً في نظرهم ، جميلاً في نفوسهم " ^٣ فالحطيئة شبهها بظبية رائعة الشكل والمنظر ، كاملة في الحسن ، تامة الخلق في جمال عنقها عندما تتناول الأشجار المرتفعة ، فتظهر بين الأشجار تلك الجيد الجميلة ذات اللون الناصع ، وهذا قمة التشبيه في الرشاقة والجمال .
وذلك في قوله :

كعاطية من ظباء السليل حُسَانَةَ الجيد تُزجِي غَزَالَا
تَعَاطَى العِضَاءَ إِذَا طَالَهَا وَ تَقْرُو مِنَ النَّبْتِ أَرْطَى وَضَالَا^٤

الشماخ أخذ التشبيه بنوعيه الطويل والقصير ، ففي التشبيه الطويل قال :

وَعَوَّجَاءَ مِجْدَامٍ وَأَمْرٍ صَرِيمَةٍ ، تَرَكَتْ بِهَا الشَّكَّ الَّذِي هُوَ عَاجِزُ
كَأَنَّ قَتُودِي فَوْقَ جَابٍ مُطْرَدٍ ؛ مِنْ الحَقْبِ ، لَاحَتَهُ الجِدَادُ الغَوَارِزُ
طَوَى ظَمَاهَا فِي بَيْضَةِ الصَّيْفِ بَعْدَمَا جَرَى فِي عَنَانِ الشُّعْرِيِّينَ الأَمَاعِزُ
وَظَلَّتْ بِأَعْرَافٍ كَأَنَّ عُيُونَهَا إِلَى الشَّمْسِ ، هَلْ تَدْنُو رَكِيَّ النُّوَكَزِ^٥
لَهُنَّ صَلِيلٌ يَنْتَظِرُنَ قَضَاءَهُ ، بِضَاحِي عَدَاةٍ أَمْرُهُ ، فَهُوَ ضَامِزُ

^١ استتب : استقام . مسحنفر : ممتد . السَّيْحِ : الكساء المخطط . منسحل : منجرد .

^٢ المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .

^٣ نوري حموي القيس ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، ص ١٤٢ .

^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٧ .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٨١ .

فَلَمَّا رَأَى الْوَرْدَ مِنْهُ صَرِيمَةً، قَصَيْنَ، وَلَاقَاهُنَّ خَلٌّ مُحَاوَزٌ^١

يصف الشماخ ناقته التي امتطأها لكي يصل إلى المكان الذي رحلت إليه محبوبته هذه الناقة في سرعتها وقوتها ، وتحملها للمسافات البعيدة تشبه حمار الوحش الغليظ الذي يسوق أتنه أمامه إلى موارد المياه التي عليها قترات الصيادين ، هذه القترات يشبهها لنا بهودج النساء في ألوانها المتنوعة .

ترك الشماخ ناقته وأخذ في سرد قصة الحمار والأتن الوحشية في ذهابها إلى موارد المياه التي حولها الصيادين في إنتظارهم ليصطادوها فقال :

فَلَمَّا رَأَى الْإِظْلَامَ بَادَرَهَا بِهِ، كَمَا بَادَرَ الْخَصْمُ اللَّجُوجُ الْمُحَافِزُ
وَيَمَّمَهَا فِي بَطْنِ غَابٍ وَحَائِرٍ، وَمِنْ دُونِهَا مِنْ رَحْرَحَانَ الْمَفَاوِزُ
عَلَيْهَا الدُّجَى الْمُسْتَنْشَاتُ كَأَنَّهَا هَوَادِجُ مَشْدُودٌ عَلَيْهَا الْجَزَائِرُ^٢

ثم ترك الحمار وأتنه وانخرط في وصف ما يصطاد به هذه الأتن ؛ وهو القوس قائلا :

مُطِلًّا بِزُرْقٍ مَا يُدْأَوَى رَمِيَّهَا، وَصَفْرَاءَ مِنْ نَبْعٍ عَلَيْهَا الْجَلَائِزُ
تَخَيَّرَهَا الْقَوَاسُ مِنْ فَرْعِ ضَالَةٍ، لَهَا شَذَبٌ مِنْ دُونِهَا، وَحَزَائِرُ
نَمَتْ فِي مَكَانٍ كَنَّهَا، فَاسْتَوَتْ بِهِ وَمَا دُونِهَا مِنْ غِيلِهَا مُتَلَاحِزُ
فَمَا زَالَ يَنْحُو كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَيُنْغِلُ حَتَّى نَالَهَا، وَهُوَ بَارِزُ^٣

شبه الشماخ الغصن الذي أراد أن يصنع منه القوس ، بفتاة حسناء محتجبة لا يراها أحد ، ثم شبه الشوك الذي حوالي الفرع ، بالحراس الذين يحرسون تلك الحسناء ، رافعي سلاحهم لكل من يقربها .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨١ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٨٤ .

كذلك يشبهها عندما وافى بها الموسم بعروس ليلة زفافها ، تعلوها البهجة والجمال ، لما عليها من الثياب الجميلة الفاتنة والعمور الفواحة ، التي يفوح منها شذا طيب عتيق فيقول :

أَنَّ عَلَيَّهَا زَعْفَرَانًا تُمِيرُهُ^١ خَوَازِنُ عَطَارِ يَمَانٍ ، كَوَازِنُ
إِذَا سَقَطَ الْأَنْدَاءُ صَيَّنَتْ وَأَشْعَرَتْ حَبِيرًا وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيَّهَا الْمَعَاوِزُ^٢

كذلك شبه القوس عندما أخذه المشتري وجربه فأحدث صوتا ، بصوت بكاء التكلية التي فقدت ولدها ، فى علو صوتها فقال :

إِذَا أَنْبَضَ الرَّامُونَ فِيهَا تَرَنَّمَتْ تَرَنَّمْ تَكْلَى أَوْجَعْتَهَا الْجِنَائِزُ^٣

كذلك نجد الشعراء الجاهليين عندما يذكرون ناقتهم للوصول للمحبوبة ويصفونها يشبهونها بالحمار الوحشي .

فغالبية شعراء المشوبات تعرضوا لمثل هذا ، فمنهم عمرو بن أحمز الذى يقول :

مَنْ لِلنَّوَاعِجِ تَنْزُورٍ فِي أَرْمَتِهَا ، أُمَّ لِلتَّنَائِي حُمُولُ الْحَيِّ قَدْ بَكَرُوا
كَأَنَّهَا بِنَقَا الْعَزَافِ قَارِبُهُ ، لَمَّا انْطَوَى نَيْهَا وَاخْرُوطَ الشَّفَرُ
مَارِيَّةً لَوْلُؤَانُ اللَّوْنِ ، أَوْدَهَا طَلٌّ ، وَبَنَسَ عَنْهَا فَرَقْدٌ خَصِرُ
ظَلَّتْ تُمَاجِلُ عَنْهُ عَسْعَسًا لَحِمًا ، يَمْشِي الضَّرَاءُ ، خَفِيًّا دُونَهُ النَّظَرُ
يَرَى لَهَا وَهُوَ مَسْرُورٌ بِغَفَلَتِهَا طَوْرًا ، وَطَوْرًا تَسْنَاهُ ، فَتَعْتَكِرُ
فِي يَوْمِ ظِلِّ وَأَشْبَاهِ ، وَصَافِيَةٍ شَهْبًا ، وَتَلْجُ وَقَطْرٍ ، وَقَعُهُ دِرْرُ
حَتَّى تَتَاهَى بِهِ غَيْثٌ وَلَجَّ بِهَا بَهُوَ تَلَاقَتْ بِهِ الْأَرَامُ وَالْبَقْرُ^٤
طَافَتْ وَسَافَتْ قَلِيلًا حَوْلَ مَرْتَعِهِ حَتَّى انْقَضَى مِنْ تَوَالِي الْفَهَا الْوَطْرُ
فَلَمْ تَجِدْ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ رَائِحَةً إِلَّا سَمَاحِيقَ مِمَّا أَحْرَزَ الْعَفْرُ^٥
ثُمَّ ارْعَوَتْ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَادَّكَّرَتْ وَقَدْ تَمَزَّعَ صَادٍ لَحْمُهُ دَفِرًا^١

^١ تميره : تذييه ، تعطيه .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٨٦ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٦٠ .

^٥ السماحيق ، الواحد سمحاق : قشرة رقيقة فوق عظم الرأس . العفر : التراب .

أنظر لهذه الصورة الرائعة ما أجملها ! عندما شبه عمرو بن أحمر ناقته وأبله البيض في سيرها لما رحلوا أهل الحي مبكرين ووضعوا عليها الهودج وداخلها النساء ، ثم بعد بهم السفر بالرمال المحدوبة في الصحراء .

ثم شبه ناقته بالبقرة الوحشية التي سرعان ما تركها وانخرط في وصف البقرة ، ذكرا قصتها مع الذئب الذي افترس ولدها ولم يترك إلا أشلاه ، ثم هروبا وابتعادها عن هذا المكان .

ويشبه البقرة الوحشية في سرعتها بالبرق الليلي ، وكذلك يشبه تطاير الندى من أردافها بتطاير الشرار من النار وذلك في قوله :

ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ كَبْرُقَ اللَّيْلِ، وَانْحَسَرَتْ عَنْهَا الشَّقَائِقُ مِنْ نَبْهَانَ، وَالظُّفْرُ
تَطَايَحَ الطَّلُّ عَنْ أَرْدَافِهَا صُعْدًا، كَمَا تَطَايَحَ عَنْ مَامُوسَةَ الشَّرْرُ^٢

كذلك يشبه وقع حافر الفرس على الأرض أثناء عدوه الشديد عندما تسمعه البقرة الوحشية وتزيد سرعتها وهروبها بهبوط صخرة ملساء من على جبل عال وذلك في قوله :

شَيْخُ شَمُوسٍ إِذَا مَا عَزَّ صَاحِبُهُ، شَهْمٌ، وَأَسْمَرُ مَحْبُوكٌ لَهُ عُذْرٌ^٣
كَأَنَّ وَقَعْتَهُ ، لَوْ دَانَ مَرْفُقُهَا، وَقَعُ الصَّقَا بِأَدِيمٍ ، وَقَعُهُ تَنْرٌ^٤

أما التشبيه عند تميم بن مقبل فجاء في شكل غزلي في قوله :

وَمَا تَمَّ كَالدُّمَى حُورٍ مَدَامِعُهَا، لَمْ تَيَأَسِ الْعَيْشَ أَبْكَارًا وَلَا عُونَا
شَمٌّ مُخَصَّرَةٌ، صَيِنَتْ مَنَعَمَةً، مِنْ كُلِّ دَاءٍ بِإِذْنِ اللَّهِ يَشْفِينَا
كَأَنَّ أَعْيُنَ غَزْلَانَ، إِذَا اكَتَحَلَّتْ، بِالِإِثْمِدِ الْجَوْنِ قَدْ قَرَضْنَهُ حِينَا
كَأَنَّ هُنَّ الظُّبَاءُ الْأَدْمُ أَسْكَنَهَا ضَالٌ بِغُرَّةٍ أَمْ ضَالٌ بِدَارِينَا^٥

^١ المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٩١ .

^٣ عذر : ما سال من اللجام على خد الفرس .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٩١ .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ .

شبه تميم النساء بالدمى فى حور العيون ، فهنّ منعمات لم يجدن البؤس فى عيشهنّ الرقد ، وشبه عيون هؤلاء النساء عندما تكتحل بالإثمد بعيون الغزلان وشدة سمرتهن بالظباء البيض . لم يكتف بالتشبيه فقط بل وصف عيونهن ونظرة المحبوبة له .

ثم يواصل فى رسم هذه اللوحة الجمالية ، ويصف هذا الجمال فى تشبيهه لمشيهنّ واضطرابهنّ وارتجافهنّ لعظمنّ بالرمل الذى ينهال مره تلو الأخرى ، ومرة يمنعه الثرى والتثني الذى فيه ، فيقول :

يَمْشِينَ مِثْلَ النَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ ، يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينًا
مِنْ رَمَلٍ عَرْنَانَ أَوْ مِنْ رَمَلٍ أَسْنَمَةَ جَعَدَ الثَّرَى بَاتَ فِي الْأَمْطَارِ مَدْجُونًا^١

فهذا التثني فى المشي يشبهه باهتزاز الشجر تارة وباهتزاز الرمح تارة أخرى فى قوله :

أَوْ كَاهْتِزَّازِ رُدَيْنِي تَدَاوُلُهُ أَيَدِي الرِّجَالِ ، فزادوا مَسَّهُ لِينًا^٢

استخدم شعراء المشوبات التشبيهات ، فجاءت فى صورة واضحة بعيدة عن الغموض والتعقيد ، مما أكسبها نوعا من الإبداع والروعة .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٩ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٩٩ .

الاستعارة :

اتفق جمهور علماء البيان على أن الاستعارة أبعد شأواً في الفن من التشبيه ولم يحددوا سبب ذلك بوضوح ، وإذا نظرنا للاستعارة ألفيناها عبارة عن تشبيه حذف أحد طرفيه ، ولهذا فإن الأديب أو الشاعر يضيف على الاستعارة عمقا وبعداً فنياً ونفسياً . ذلك لأن سقوط المشبه حرر النفس من بطء الأسلوب النثري ، وكساها قليلاً من الوهم والغموض اللذين تولداً من اتصال النفس المباشر بينها وبين الأشياء^١ . وكذلك تعرف " باستعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي ، والاستعارة ما هي إلا تشبيه مختصر لكنها أبلغ منه"^٢ . فهي من العناصر الأساسية في تشكيل الصورة الفنية وقد عرفها البلاغيون بقولهم " الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده ، والمبالغة فيه ، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه"^٣ . لذا ارتبطت الاستعارة عند البلاغيين والنقاد ارتباطاً وثيقاً بالتشبيه وهذا ما دعاه عبد القاهر الجرجاني إلى أن يقول : " أعلم أن الاستعارة تعتمد التشبيه أبداً"^٤ .

فالاستعارة في المشوِّبات تأتي في أعقاب التشبيه وهي تجعل صورهم حافلة بالحياة ومستوفية من الدقة حظاً ، ومن الجمال حظوظاً ، ومن استعاراتهم قول النابغة الجعدي :

وَحَيَّ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَا حَيَّ مِثْلَهُمْ
إِذَا بَلَغَ الْأَمْرُ الْعَمَّاسَ الْمُدْمَرًا^٥

^١ أحمد عبد الله سامي ، محمد سعيد العباسي ، دار الإرشاد - الخرطوم ، ط ١ ، ١٩٦٨م ، ص ١٦٥ .
^٢ السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (بدون تاريخ) ، ص ٢٣٩ .
^٣ أبو هلال العسكري ، الصنائع ، ص ٢٢٨ .
^٤ عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، المكتبة التوفيقية - مصر ، (بدون تاريخ) ، ص ٤٨ .
^٥ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٤ .

استعار لفظ الأمر الشديد للحرب ثم تتوسي التشبيه وادعى أن المشبه فردا من أفراد المشبه به وداخل جنسه ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " الحرب " على سبيل الاستعارة المكنية .
وكذلك قوله :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَ^١

استعير لفظ الماء للحلم بعد تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " الصفو والكدره " على سبيل الاستعارة المكنية .

نجد الاستعارة في قول كعب بن زهير :

تَجَلَوُ عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ^٢

شبه العوارض بالاسنان بجامع البياض في كل ، ثم استعير لفظ المشبه به " الاسنان " للمشبه " العوارض " ثم تناسى التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل جنسه وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " ابتسمت " على سبيل الاستعارة المكنية .
كذلك قوله :

وَلَا تَمَسُّكَ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ، إِلَّا كَمَا يَمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ^٣

شبه عدم وفاء سعاد للعهد وإخلافها له بالشئ المستحيل ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه بعد تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه جزء من أفراد المشبه به وداخل جنسه ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " مسك الغرابال للماء " .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٤ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٦٥ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٦٦ .

أيضا قوله :

من ضَيْغَمٍ من ضِرَاءِ الأَسَدِ مَخْدَرُهُ ببطنِ عَثْرَ، غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلٌ^١

شبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالضيغم في الشجاعة ثم تنوسي التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل جنسه ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية .

وقوله :

إِنَّ الرِّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ، وَصَارِمٌ من سَيُوفِ اللّهِ مَسْلُوبٌ^٢

استعار لفظ الصارم للرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم تنوسي التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل جنسه ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " الضياء والنور " .

وفى قوله :

بِيبِضٍ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ، كَأَنَّهَا حَلَقُ القَفْعَاءِ، مَجْدُولٌ^٣

شبه حلق الدروع الضافية وهي مدخلة في بعضها البعض بأوراق شجرة القفعاء المفتولة . ووجه الشبه هو وجود الالتفاف في كل .

أما القطامي فالاستعارة في قوله :

صَافَتِ، تُمَعِّجُ أَعْنَاقُ السِّيُولِ بِهَا، من بَاكِرٍ سَبَطِ، أَوْ رَائِحِ يَثْلُ^٤

^١ أبو زيد الرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٠ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٧٠ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٧١ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٧٣ .

شبه أعناق الخيول الطويلة بالسيل الجاري الممتد ، بجامع الالتواء فى كل ،
استعير لفظ المشبه به للمشبه بعد تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد
المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية .

وقوله :

وَالعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرَّبَ بِهِ عَيْنٌ، وَلَا حَالَةً إِلَّا سَتَنَقَلُ^١

شبه العيش بالإنسان بجامع عدم الاستقرار فى كل ، ثم استعير لفظ المشبه به
للمشبه بعد تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل جنسه
ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " عين " على سبيل الاستعارة المكنية .

فالاستعارة عند الشماخ نجدها فى قوله :

لَهُنَّ صَليْلٌ يَنْتَظِرْنَ قِضَاءَهُ، بِضَاحِي عِذَاةٍ أَمْرُهُ، فَهُوَ ضَامِرٌ^٢

استعار لفظ المشبه به " صوت الصليل " للمشبه " الأذن الوحشية " وهي تشرب
الماء ، ثم تنوسي التشبيه وادعى أن المشبه فردا من أفراد المشبه به وداخل جنسه
على سبيل الاستعارة التصريحية .

والاستعارة فى قول تميم العامري الذى يقول فيه :

فَاقْصِدْ بذرِ عِكْ، وَاَعْلَمْ لَوْ تُجَامِعُنَا أَنَا بِنوِ الحَرْبِ نَسْقِيهَا وَتَسْقِينَا^٣

استعار لفظ المشبه " الحرب " للمشبه به " الماء " ثم تنوسي التشبيه وحذف المشبه
به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " نسقيها وتسقينا " على سبيل الاستعارة
المكنية .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٣ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٨٢ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٩٩ .

الكناية :

هى من الألوان البيانية التى تساهم فى إبراز الصورة ، وإجادة التعبير بالكناية يدل على براعة الشاعر فى صياغة معانيه بأسلوب رفيع وعبارة مؤجزة . ففى اللغة : أن تتكلم بشيء وتريد به غيره ، وهى مصدر من (كنىت) بكذا عن كذا و(كنوت) أيضا إذا تركت التصريح به .

واصطلاحا : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه معه أيضا^١ . فهى تعبير يساق ، ولا يراد لذاته ، بل يراد لازمه ، وسمى كذلك ؛ لأن تحت المعنى الظاهر

معنى آخر هو المراد ، ففى قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا

تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۗ ﴾^٢ . يوجد كنيتان : الأولى فى ﴿ وَلَا

تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ كناية عن صفة ، وهى البخل ؛ لأن صاحب اليد

المغلولة إلى عنقه ، لا يمد يده إلى نقوده . الثانية فى ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾

كناية عن صفة ، وهى التبذير ؛ لأن صاحب اليد المبسوطة لا يبقى على نقوده .

وكذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَحَمَلَتْهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأُورْحِ وَدُسِّرِ ۗ ﴾^٣ كناية عن ذات أو

موصوف ؛ لأن المقصود بذات الألواح والدرس " السفينة " التى حملت نوحا ومن

معه ممن آمنوا به وسط الطوفان^٤ . أما عبد القاهر الجرجاني فقد ذكر أن المراد

بالكناية " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له

فى اللغة ولكنه يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود فيوحي به إليه ويجعله

دليلا عليه . مثال ذلك قولهم : (طويل النجاد) يريدون به طول القامة ، وفى

المرأة نؤوم الضحى) والمراد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها . فقد

أرادوا من ذلك كما ترى معنى لم يذكره بلفظه الخاص ، ولكنهم توصلوا إليه

بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه فى الوجود . وإن يكون إذا كان . أفلا ترى

^١ الخطيب الغزويني ، تلخيص المفتاح ، تحقيق : عزت زينهم عبد الواحد ، مكتبة جزيرة الورد - مصر ،

(بدون تاريخ) ص ١٢٨ .

^٢ سورة الإسراء ، آية : ٢٩ .

^٣ سورة القمر ، آية : ١٣ .

^٤ حفني ناصف وآخرون ، قواعد اللغة العربية والبلاغة ، تحقيق : سمير إبراهيم بسيوني ، مكتبة الإيمان - المنصورة ، ط ١ ، ٢٠٠٩م ، ١٣٤ .

القائمة إذا طالت طال النجاد . وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى^١ .

فعبّر شعراء المشوبات عن مشاعرهم وافكارهم بالكناية ويتجلى ذلك فى قول
النايعة :

وَتُنْكِرُ يَوْمَ الرُّوعِ لَوْ أَنَّ خَيْلَنَا مِنْ الطَّعْنِ، حَتَّى تَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرًا^٢

كناية عن إسالة الدماء على الخيول حتى تغير لونها بالنسبة لهم ، و حتى يحسبون الفرس الأبيض أشقر . فهذه صورة شجاعة نادرة فى اسلوب الكناية .
كذلك قوله :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدًا وَجُودًا وَسُودَدًا وَإِنَّا لَنَرْجُو، فَوْقَ ذَلِكَ ، مَظْهَرًا^٣

فقد كنى عن العزة وعلو المكانة والمجد بقوله (بلغنا السماء مجدا وجودا وسوددا) .

وأیضا قوله :

فَإِنْ تَرَدَّ الْعُلْيَا، فَلَسْتَ بِأَهْلِهَا وَإِنْ تَبَسُّطَ الْكَفَّيْنِ بِالْمَجْدِ تَقْصُرًا^٤

جاء هذا الاسلوب أقوى وأوضح فى كنايات الشجاعة لأن فيه نوع من أنواع التحدي عندما افتخر على الأزدي فى قوله : (وإن تبسط الكفين بالمجد تقصرا) .

أما عند كعب نجدها فى قوله :

وَمَا سَعَادُ، غَدَاةَ الْبَيْنِ، إِذْ رَحَلُوا، إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ، مَكْحُولٌ^٥

^١ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص ٦٦ .

^٢ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٣ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٦٤ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٦٤ .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٦٥ .

كناية عن العفة الأصلية والحياء والخجل فى (غضيض الطرف) فهذه الكناية اعطتنا صورة متكاملة لشخصية سعاد .

وقوله :

تجلو عوارضَ ذي ظلمٍ إذا ابتسمتُ كأنه مُنهلٌ بالراحِ معلولٌ^١
كناية عن طيب رائحة فمها .

كذلك قوله :

ضحّم مقلدّها، فعمّ مقيدها، فى خلقها، عن بناتِ الفحل، تفضيلٌ^٢

كناية عن موصوف فى قوله : (بنات الفحل) وهى : النوق .

أيضا قوله :

وقالَ للقومِ حاديهم، وقد جعلتُ ورقُ الجنادِبِ يركضنَ الحصى: قيلوا^٣

كناية عن رمض النهار فى قوله : (يركضن الحصى) .

وقوله :

من ضيغمٍ من ضيراءِ الأسدِ مخدرُهُ ببطنِ عثرٍ، غيلٌ دونهُ غيلٌ
يغدو، فيلحمُ ضيرغامينِ، عيشهما لحمٌ من القومِ معفورٍ، خراذيلُ
إذا يساورُ قيرنًا لا يحلُّ له أن يتركَ القرنَ إلا وهو مقلولُ
منهُ تظلُّ حميرُ الوحشِ ضامزةً، ولا تمشى بواديه الأراجيلُ
ولا يزالُ بواديه أخو ثقةً، مطرَحُ اللحمِ، والدرسانِ، مأكولٌ^٤

كنايات لازم معناها الشجاعة ، والقوة ، والإقدام ، والثبات ، والفتك بالأعداء .

وقوله :

شمُّ العرانيين، أبطالٌ، لبوسُهُم من نسجِ داودَ، فى الهيجا، سراويلٌ^٥

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٥ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٦٧ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٦٨ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٧٠ .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٧١ .

شم ، الواحد أشم : العالي المرتفع . العرائين ، الواحد عرنين : الأنف . (وشم العرائين) كناية عن الأنفة والإباء . ويعني بذلك عدم المداناة والنظير .

وأیضا قوله :

لا یقعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ ، وما لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلٌ^١

لا يقع طعن الأعداء في ظهورهم لأنهم لا ينهزمون وليس لهم تأخر عن موارد الردى . فهذه كناية عن الشجاعة .

أما الكناية عند القطامي في قوله :

يُنْضِي الْهَجَانَ الَّتِي كَانَتْ تَكُونُ بِهِ ، عَرُضَةً وَهِيَابًا ، حِينَ تَرْتَحِلُ^٢

ففي قوله (ينضي الهجان) كناية لازم معناها كرائم الإبل .
وقوله :

يَمْشِينَ رَهْوَاً فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلُّ^٣
فَهِنَّ مَعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رَمِضٌ^٤ وَالرَّيْحُ سَاكِنَةٌ ، وَالظَّلُّ مُعْتَدِلٌ^٣

كناية عن شدة الحر في قوله : (والحصى رمض) .

كذلك نجد الكناية عند الحطيئة في قوله :

و أطولهم في الندى بسطةً^٤ و أفضلهم حين عدُّوا فعلاً^٤

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧١ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .

فالبسط فتح اليد لأقصى اتساعها وهذا دلالة على كثرة العطاء والكرم وهذا كناية عن الجود والكرم .

وعند عمرو بن أحمـر الكناية فى قوله :

وَرَادَةٌ يَوْمَ نَعَتِ الْمَوْتِ رَايْتُهُمْ حَتَّى يَفِيءَ إِلَيْهَا النَّصْرُ وَالظَّفَرُ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِ هُمْ لِلَّهِ خَالِصَةٌ، فَذُ صَعَدُوا بِزِمَامِ الْأَمْرِ، وَأَنْحَدَرُوا^١

هنا كناية جماعية عن شجاعتهم وشرفهم عندما رمز لهم برايتهم التى كانت عطشى لشرب الدماء فى قوله : (واردة يوم نعت الموت رايتهم) .
وقوله :

يَعْلُو مَعْدًا، وَيَسْتَسْقِي الْغَمَامَ بِهِ، بَدْرٌ تَضَاعَلْ فِيهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^٢

كناية عن الكرم فى قوله (يستسقى الغمام به) .

الكناية عند تميم فى قوله :

حَسَرْتُ عَنْ كَفِّي السَّرْبَالَ أَخْذُهُ فَرْدًا يُجْرُ عَلَى أَيْدِي الْمَفْدِينَا^٣

كناية عن الاستعداد .

وقوله :

نَازَعْتُ أَلْبَابَهَا لُبِّي بِمُخْتَرَنٍ مِنْ الْأَحَادِيثِ حَتَّى أزدَدَنَّ لِي لِينًا^٤

توجد كناية فى قوله : (نازعت ألبابها لبي بمخترن من الأحاديث) ، فمنازعة الألباب ، كناية عن التخاطب بلغة الحب .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٣ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٩٣ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٩٩ .

وقوله :

أرَاكَ تَجْرِي إِلَيْنَا غَيْرَ ذِي رَسَنِ وَقَدْ تَكُونُ إِذَا نُجْرِيكَ تُعِينَا
وَقَدْ بَرَيْتَ قِدَاحًا أَنْتَ مُرْسِلُهَا ، وَنَحْنُ رَامُوكَ ، فَانظُرْ كَيْفَ تَرْمِينَا ^١

غير ذي رسن : كناية عن الناقة بدون رسن لا يمكن ترويضها ، أما بریت قداحا كناية عن قصائد الهجاء .

وقوله :

وَعَاقِدِ التَّاجِ أَوْسَامٍ لَهُ شَرَفٌ مِنْ سُوْقَةِ النَّاسِ ، نَالَتْهُ عَوَالِينَا ^٢

وعاقد التّاج : كناية عن الملك الجبار المتوّج ، أي أنهم يبطشون بالملوك وبمن هم دون الملوك . وأيضا تعتبر كناية عن الشجاعة والقوة في (نالته عوالينا) .

شعراء المشوبات في مشوباتهم ابتعدوا عن التعقيد في صورهم فجاءت تحمل كل معاني البساطة والوضوح ، مما يساعد على أداء دورها كاملا داخل اسلوبهم ، وقد انعكس ذلك ايجابيا على المتلقي في إمتاع قلبه وعقله بهذا الأدب الرفيع ، وهذه صورة رائعة . فهذه الأنواع من البيان لم يصنتعوها ولم يبحثوا عنها ، ولكنها جاءت عفوا خاطر وبها استطاعوا أن يبدعوا ويظهروا هذه الصور الفنية فأعطت شعرهم رونقا وبهاء ، وهذا يعتبر دليلا على عبقريتهم وتجربتهم الشعرية.

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩٩ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٩٩ .

المبحث الخامس:

الفنون البديعية:

الطباق:

الطباق : مصدر طوبقت طباقا . وقال الزجاج : أي مطبق بعضها على بعض ، وطبق إذا طبّق الشيء تطبيقا ، وطبق السحاب الجوّ : إذا غشاه ، وطبق الماء وجه الأرض إذا غطاه . والطَّباق : شجرة تنبت بالحجاز إلى الطائف^١ . وهو الجمع بين معنيين متقابلين^٢ ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُفُودٌ ﴾^٣ وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^٤ ^٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾^٥ . أو هو الجمع بين ضدين كما في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^٦ وقوله تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^٧ ^{١٤} ﴿ وَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ عَنِ سَيِّدِ الْبَشَرِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) " حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَالنَّارُ بِالشَّهَوَاتِ " ، " وَالنَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهَوْا " ، " كَفَىٰ بِالسَّلَامَةِ دَاءً " ، " إِنْ اللَّهُ يَبْغِضُ الْبَخِيلَ فِي حَيَاتِهِ وَالسَّخِيَّ بَعْدَ مَوْتِهِ"^٨ .

وأيضا يسمى ترصيع الكلام ، وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك كقوله تعالى ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾^٩ وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ^{١١٩} ﴿ ٨٠ جاء بالجوع مع العري ، والضحى مع الظمأ ، وباب الجوع مع الظمأ ،

^١ محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني ، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار صادر - بيروت ، ١٩٦٦م ، ج ٥ ، ص ٢٧٦ .

^٢ حفني ناصف وآخرون ، قواعد اللغة العربية والبلاغة ، ص ١٤٠ .

^٣ سورة الكهف ، آية : ١٨ .

^٤ سورة الروم ، آية : ٦ - ٧ .

^٥ سورة التوبة ، آية : ٨٢ .

^٦ سورة الحشر ، آية : ١٤ .

^٧ منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، مطبعة الاستقامة - القاهرة ، ١٩٥٢م ، ج ١ ، ص ١٣٩٢ .

^٨ سورة طه ، آية : ١١٨ - ١١٩ .

والضحى مع العري ، لكن الجوع خلو الباطن والعري خلو الظاهر فاشتركا فى الخلو ، والظماً احتراق الباطن والضحى احتراق الظاهر فاشتركا أيضا فى الاحتراق. 'كذلك هو " الجمع بين الشئ وضده"^٢، و"الطباق طرفان متناقضان"^٣ . وفى الحديث قال النبي (صلى الله عليه وسلم) للأنصار : " إنكم تفلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع"^٤ .

من خلال هذه التعاريف ندرك أنه الجمع بين المتضادين ، مع مراعاة التقابل ، أو هو الجمع بين الشئ وضده فى الكلام ، وهو من المحسنات البديعية التى وردت فى المشوبات ، وبه جمال موسيقي . وما يلفت نظرنا فى المشوبات وجود الطباق فى كل قصيدة . فعند النابغة مثلا :

فَبَاتَ يُذَكِّيهِ بِغَيْرِ حَادِيَةٍ أَخُو قَنَّصٍ يُمَسِي وَيُصْبِحُ مُقْفِرًا^٥

الطباق فى يمسي ويصبح .

وفى قوله :

وَمَهْمًا يَقْلُ فِينَا الْعُدُوَّ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَعْرُوفًا، وَآخَرَ مُنْكَرًا
وَأَكْثَرَ مِنَّا نَاكِحًا لَغَرِيبَةٍ، أُصِيبَتْ سِيَاءً، أَوْ أَرَادَتْ تَخْيِيرًا^٦

الطباق فى معروف ومنكر ، وفى سباء أو أرادت تخيرا .

أيضا قوله :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَةٍ أَنْ يُكْدَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ، إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أُصْدِرَا^٧

الطباق فى صفوه ويكدرا ، وأورد وأصدرا .

^١ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، الكليات ، تحقيق : عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٩٩٨م ، ج ١ ، ص ٤٤٨ .

^٢ عبد الفتاح لاشين ، البديع فى ضوء أساليب القرآن الكريم ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص ٢٥ .

^٣ د . منير سلطان ، الصورة الفنية فى شعر المتنبي ، منشأة المعارف ، جلال حربي وشركاه - مصر ٢٠٠٢م ، ص ٢٠١ .

^٤ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، كشف المشكل من حديث الصحيحين ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن - الرياض ، ١٩٩٧م ، ج ١ ، ص ٨٩٠ .

^٥ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٩ .

^٦ المصدر نفسه ، ص ٣٦٢ .

^٧ المصدر نفسه ، ص ٣٦٤ .

أما عند كعب في قوله :

هَيِّفَاءُ مُقْبَلَةٌ، عَجَزَاءُ مُدْبِرَةٌ،
لا يشتكي قصرَ منها، ولا طولاً^١

الطباق في قصر وطول .

وفي قوله :

لا يفرحون، إذا نالت رماحهم
قوماً، وليسوا مجازيعاً، إذا نبِلوا^٢

طابق بين لا يفرحون وليسوا مجازيعاً .

أما القطامي فيقول :

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزل^٣

طابق بين التأني والاستعجال .

وفي قوله :

أما قرئش فلن تلقاهم أبداً،
إلا وهم خير من يحقى وينتعل^٤

الطباق في يحقى وينتعل .

كذلك قوله :

كم نالني منهم فضل على عدم،
إذ لا أكاد من الإقتار أحتمل^٥

فلا هم صالحوا من بيتي عنتي
ولا هم كدروا الخير الذي فعلوا^٥

طابق بين الفضل والعدم ، وبين صالحوا وكدروا .

الطباق في قول الحطيئة :

كنانية دارها غربة
تجد وصالاً وتبلي وصالاً^٦

نجده طابق في تجد وصالاً وتبلي وصالاً .

أيضا في قوله :

بمثل الحني براها الكلا
أينز عن آلا ويركضن آلا^٧

أيضا طابق بين ينز عن آلا ويركضن آلا .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٦٥ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٧١ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٧٦ .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٧٦ .

^٦ المصدر نفسه ، ص ٣٧٧ .

^٧ المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .

كذلك قوله :

فإنك خيرٌ من الزَّبْرَقَانِ أَشَدُّ نَكَالًا وَخَيْرٌ نَوَالًا^١
الطباق في أشد نكالا وخير نوالا .

وفي قول الشماخ :

فَمَا زَالَ يَنْحُو كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، ... وَيُنْعَلُ حَتَّى نَالَهَا، وَهُوَ بَارِزٌ^٢
طابق بين رطب ويابس .

وقول عمرو بن أحمَر :
إِنْ قُمْتَ يَا ابْنَ أَبِي الْعَاصِي بِحَاجَتِنَا، فَمَا لِحَاجَتِنَا وَرِدُّ وَلَا صَدْرُ
مَا تَرْضَى نَرْضَى وَإِنْ كَلَّفْتَنَا شَطَطًا، وَمَا كَرِهْتَ فَكْرُهُ عِنْدَنَا قَدْرٌ^٣
طابق بين ورد وصدْر ، ما ترضى وما كرهت .

أما تميم فنجد الطباق في قوله :

وَمَا تَمَّ كَالدُّمَى حُورٍ مَدَامِعُهَا، لَمْ تَيَأَسِ الْعَيْشَ أَبْكَارًا وَلَا عُونًا
شَمٌّ مُخَصَّرَةٌ، صِينَتْ مُنْعَمَةً، مِنْ كُلِّ دَاءٍ بَاذِنِ اللَّهُ يَشْفِينَا^٤

نجده طابق بين (أبكارا وعونا) فالأولى لم تتزوج بعد ، والثانية جمع عوان ،
وهي المرأة التي كان لها زوج ، وهما أيضا ضدان ° ، وبين الداء والشفاء .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٩ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٨٤ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٩٢ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ .

^٥ د . حسن البناء عز الدين ، الطيف والخيال في الشعر العربي القديم ، دار المناهل - بيروت - لبنان ، ط ٣ ، ١٩٩٤م ، ص ١٩٧ .

الجناس :

الجناس فى اللغة :

جاء فى لسان العرب : " الجنس الضرب من كل شئ وهو من الناس ومن الطير ، ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة . قال بن سيدة^١ : وهذا على موضوع عبارات أهل اللغة وله تحديد والجمع أجناس وجنوس^٢ وفى معجم مقاييس اللغة " الضرب من الشئ^٣ ، والجمع أجناس وهو أعم من النوع ، فالحيوان جنيس والإنسان نوع .^٤

الجناس إصطلاحاً :

مفهومه عند علماء البلاغة هو : أن يتشابه اللفظان فى النطق ويختلفان فى المعنى . وعرفه السكاكي تعريف مؤجز فقال : " هو تشابه الكلمتين فى اللفظ " ^٥ وعند القزويني " تشابه اللفظين فى اللفظ " ^٦ ، وبمثل تعريف الخطيب القزويني عرفه السيوطي^٧ ، ويقول الزمخشري : " هو من محاسن الكلام التى تتعلق باللفظ مع إختلاف فى المعنى " ^٨ .

وورد ذكر الجناس فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ

الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ^٩

^١ ابن سيدة هو : الإمام اللغوي الأديب أبو الحسن علي بن سيده الأندلسي ، ١٥٨ هـ ، من مصنفاته (المحكم والمحيط الأعظم) و(المخصص فى اللغة) .

^٢ ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٣ ، مادة (جنس) .

^٣ أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل - بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .

^٤ أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المصباح المنير ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٠ م ، ص ١٢١ .

^٥ السكاكي ، مفتاح العلوم ، المطبعة الأدبية - مصر ، ط ١ ، (بدون تاريخ) ، ص ٢٧٧ .

^٦ القزويني ، الإيضاح ، ص ٩١ .

^٧ السيوطي ، الإتقان فى علوم القرآن ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - مصر ، ١٩٨٨ م ، ص ٥٣ .

^٨ محمد حسين أبو موسى ، البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري ، (بدون تاريخ) ، ص ١٧ .

^٩ سورة الروم ، آية : ٥٥ .

وقوله تعالى :

﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي

الْأَبْصَرِ ﴿٤٤﴾ ١. أما فى الحديث النبوي " غفر الله لرجل ممن كان قبلكم من الأمم السابقة (كان سهلا إذا باع ، سهلا إذا اشترى ، سهلا إذا قضى ، سهلا إذا اقتضى)^٢ فما أحسن هذا الجناس وألذه على السمع وأعلقه بالقلب ؛ لسهولة لفظه وعدم كلفته عندما نجده فى رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى هرقل " أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين " ^٣

أما الجناس فى المشوبات فى قول النابغة :

خَلِيلِيَّ قَدْ لَاقَيْتُ مَا لَمْ تُلَاقِيَا ، وَسَيَّرْتُ فِي الْأَحْيَاءِ مَا لَمْ تُسَيِّرَا^٤
الجناس فى " لاقيت - تلاقيا " و " سيرت - تسيرا " .

أيضا فى قوله :

فَأَمْسَى عَلَيْهِ أَطْلَسُ اللَّوْنِ شَاحِيَا شَحِيحَا تَسْمِيهِ النَّبَاطِيُّ نَهْسِرَا^٥
جانس بين " شاحيا - شحيجا " .

كذلك فى قوله :

أَرْجُ بِذَلْقِ الرَّمَحِ لَحْيِيهِ ، سَابِقَا نَزَائِعَ مَا ضَمَّ الْخَمِيسُ وَضَمَّرَا^٦
وجد الجناس فى " ضم - ضمرا " .

^١ سورة النور ، آية ٤٣ - ٤٤ .

^٢ عبد الرؤوف المناوي ، فيض القدير ، شرح الجامع الصغير ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ، ط ١ ، ١٣٥٦ هـ ، ج ٤ ، ص ٤٠٥ .

^٣ ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري) ، الاستذكار ، تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، ج ٥ ، ص ٥٣ .

^٤ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٥٧ .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ .

^٦ المصدر نفسه ، ص ٣٦١ .

وفى قوله :

وأَعْرَضْتُ عَنْهَا حَقِيبَةً، وَتَرَكْتُهَا،
الجناس فى قوله " عذرا — أعذرا " .
لأَبْلَغَ عَذْرًا عِنْدَ رَبِّي، فَأَعْذِرَا^١

أما فى قوله :

إِذَا افْتَخَرَ الْأَرْدِيُّ يَوْمًا، فَقُلْ لَهُ
فنجده جانس بين " افتخر — مفخرا " .
تَأَخَّرُ، فَلَمْ يَجْعَلْ لَكَ اللَّهَ مَفْخَرًا^٢

الجناس عند كعب نجده فى قوله :

ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا، فَعَمَّ مُقَيِّدُهَا،
فجانس بين " مقلدها — مقيدها " .
فِي خَلْقِهَا، عَنِ بَنَاتِ الْفَحْلِ، تَفْضِيلٌ^٣

كذلك قوله :

وَلَهُوَ أَهْيَبُ عِنْدِي إِذْ أَكَلَّمْتُهُ،
الجناس فى " منسوب — مسؤول " .
وَقِيلَ: إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولٌ^٤

وقوله :

فِي عُسْبَةِ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ،
فنجده جانس بين " قال — قائلهم " .
بِبَطْنِ مَكَّةَ، لَمَّا أَسْلَمُوا: زُولُوا^٥

أيضا فى قوله :

لَا يَفْرَحُونَ، إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ
قَوْمًا، وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا، إِذَا نِيلُوا^٦

^١ أبو زيد القرشي، الجمهرة، ص ٣٦٤ .

^٢ المصدر نفسه، ص ٣٦٤ .

^٣ المصدر نفسه، ص ٣٦٧ .

^٤ المصدر نفسه، ص ٣٧٠ .

^٥ المصدر نفسه، ص ٣٧٠ .

^٦ المصدر نفسه، ص ٣٧١ .

فالجناس في " نالت - نيلوا " .

القطامي جانس في قوله :

على مُنادٍ دَعَانَا دَعْوَةً كَشَفَتْ
عَنَّا النُّعَاسَ، وَفِي أَعْنَاقِنَا مَيْلٌ^١
" دعانا - دعوة " .

أما الحطيئة فقال :

وَتَرَمِي الغُيُوبَ بِمَا وَبَيْتِي
نِ أَحَدُنَا بَعْدَ صَقَلٍ صِقَالًا^٢
لقد جانس بين " صقل - صقالا " .

وقال الشماخ في الجناس :

فَمَرَّ بِهَا فَوْقَ الجَبِيلِ، فَجَاوَزَتْ
عِشَاءً، وَمَا كَانَتْ بِشَرِّجٍ تُجَاوِزُ^٣
فجانس بين " جاوزت - تجاوز " .

كذلك قوله :

مُحَامٍ عَلَى رَوْعَاتِهَا، لَا يَرُوعُهَا،
خِمَالٌ، وَلَا سَاعِي الرُّمَامَةِ المُنَاهِزُ^٤
نجد الجناس في " روعاتها - يروعها " .

قال عمرو بن أحمَر في الجناس :

طَافَتْ، وَسَافَتْ قَلِيلًا حَوْلَ مَرْتَعِهِ
حَتَّى انْقَضَى مِنْ تَوَالِي إِفْهَاهَا الوَطْرُ^٥
فنجد الجناس في " طافت - سافت " .

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٧٥ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٨٣ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٨٧ .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٩٠ .

كذلك قوله :

حَطَّتْ وَلَوْ عَلِمَتْ عِلْمِي لَمَا عَزَفَتْ حَتَّى تَلَيْنَ، وَاهِ كَرُّهَا بَسْرٌ^١
الجناس فى " علمت - علمي " .

وقوله :

إِنِّي أَعُوذُ بِمَا عَاذَ النَّبِيُّ بِهِ، وَبِالْخَلِيفَةِ أَنْ لَا تُقْبَلَ الْعِذْرُ^٢
الجناس فى " أعود - عاذ " .

أيضا قوله :

لَسْنَا بِأَجْسَادِ عَادٍ فِي طِبَائِعِنَا، لَا نَأْلَمُ الشَّرَّ حَتَّى يَأْلَمَ الْحَجَرُ^٣
جانس بين " نألم - يألم " .

الجناس عند تميم فى قوله :

عَرَجْتُ فِيهَا أَحَبِّيَهَا وَأَسَأَلُهَا فَكِدْنَ يُبْكِنِنِي شَوْقًا وَيَبْكِنَانَا^٤
فجانس بين " يبكينني - يبكيننا " .

كذلك فى قوله :

يَمْشِينَ مِثْلَ النَّفَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ، يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينًا^٥
نجده جانس فى " ينهال - ينهاه " .

أيضا فى قوله :

وَمَقْرِبَاتٍ عَنَاجِيحًا مُطَهَّمَةً، مِنْ آلِ أَعْوَجَ مَلْحُوفًا وَمَلْبُونًا^٦

^١ أبو زيد القرشي ، الجمهرة ، ص ٣٩١ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ٣٩٢ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٣٩٣ .

^٤ المصدر نفسه ، ص ٣٩٦ .

^٥ المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ .

^٦ المصدر نفسه ، ص ٤٠٠ .

جانس بين " ملحوظا — ملحوظا " .

فشعراء المشوبات فى مشوباتهم ركزوا على فنون البديع بصورة واضحة ؛ لأن علم البديع هو العلم الذى يختص بتزيين وتحسين الألفاظ .

الخاتمة

الحمد لله في البداية والشكر له على بلوغ النهاية ، والصلاة والسلام على علم الهداية ومحط الرعاية ، وعلى آله وصحبه المحفوفين بالعناية . وبعد . .
أحمد الله أن وفقني لإكمال هذا البحث المتواضع جدا على حسب علمي القاصر البسيط .

النتائج :

وقد توصلت إلى النتائج الآتية :

- ❖ أثر الإسلام في المشوبات كان واضحا في مشوبة كل من النابغة ، كعب ، القطامي ، الحطيئة ، وعمرو بن أحمر ، أما تميم بن أبي مقبل والشماخ ، فلم أجد أثرا واضحا في مشوباتهم بالرغم من معاصرتهن للإسلام .
- ❖ شعراء المشوبات نسبهم واحد إذ هم عرب عدنانيون يلتقون في جدهم مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو الجد العشرين للنبي (صلى الله عليه وسلم) وهم أعزّ قبائل العرب شرفا ولهم شعر عريق ، حثم الرسول (صلى الله عليه وسلم) عليه وأمرهم بالدفاع به عن الدين والعرض .
- ❖ كثر الوصف والغزل في المشوبات .
- ❖ ربطهم الغزل بالحيوان .
- ❖ أكثروا من ذكر الحيوان وربطوه بأعراضهم المختلفة ، خاصة النابغة الجعدي في مشوبته .
- ❖ جاء مدحهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الكرام على طريقة الأقدمين في مدحهم ، وفخرهم حيث شبهوهم بحلق الدروع الضافية عندما كانوا يجلسون حول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مجلسه ووصفوهم بالكرم ، وفخرهم بأبائهم وقبائلهم وأمجادهم وأيامهم الجاهلية ، فخر نحس فيه الروح الجاهلية ، وهي روح تناسب بيتهم .
- ❖ نلتمس في المشوبات الاعتذار اللطيف الذي يقبله المعتذر له بكل سرور .
- ❖ وفي بناء القصيدة لم يخالفوا النهج الجاهلي ، في ابتدائها بالغزل ، أو الوقوف على الأطلال ، ووصف المحبوبة ، والدابة ، ثم الانتقال إلى الغرض الأساسي كما ذكر ذلك ابن قتيبة في استهلال القصيدة العربية بالبكاء على الأطلال ثم الانتقال إلى وصف الرحلة والنسيب ثم الوصول للغرض الذي كانت من أجله القصيدة .
- ❖ الأسلوب سلس وجزل ، اتصف بالرصانة والقوة والتماسك ، وذلك ناتج عن ثقافتهم العربية وبيتهم الجاهلية ، وبراعتهم في اللغة العربية خاصة .
- ❖ كانت لغتهم جميلة في ألفاظها ، حيث اتسمت بالوضوح والسهولة ، فهي جزله ، رقيقة تعبر عن أهدافهم ، فلم يلجأوا إلى تعقيد لفظي أو معنوي ، يفسد رونق كلماتهم

- ❖ أوزانهم الشعرية ، كانت لهم أوزان تدل على زوقهم الرفيع الذى كانوا يتمتعون به ، فأنحصرت أوزانهم فى ثلاث بحور وهى : الطويل قصيدتان ، البسيط أربع قصائد ، والمتقارب قصيدة واحدة .
- ❖ أكثرها من التشبيه ، حتى كادت القصيدة أن تكون مبنية عليه ، ولم يكثروا من الإستعارة . والفنون البديعية .

التوصيات :

أوصي الباحثين والدارسين فى مجال الدراسات الأدبية والنقدية ، بالرجوع إلى كتاب جمهرة أشعار العرب والتذود منه ؛ لأنه مفتاح فهم الشعر الجاهلي والإسلامي .

ودراسة المشوبات بصورة أوسع ؛ لأنها تمثل نقطة حضارية كبرى بين مرحلتين زمنيتين .

الأولى : زمن الشعر الجاهلي وهو زمن الفطرة والسليقة والتقاليد والأعراف الجاهلية .

الثانية : زمن صدر الإسلام بعد نزول القرآن الكريم وما أحدثه من تغيير للمفاهيم الجاهلية وتهذيب للأخلاق والسلوك وغير ذلك .

وكذلك السنة الشريفة فهى الجزء الرابط بين الحضارة الجاهلية ، والإسلامية التى نتجت بعد ذلك .

كما نوصي انفسنا بتقوى الله فى القول والعمل بما فى كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

فهرس الآيات:

م	الآية	السورة	الصفحة
١.	﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	النحل	٢
٢.	﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾	الإسراء	٤
٣.	﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلِيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾	إبراهيم	٥
٤.	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾	التوبة	٦
٥.	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾	الزمر	٦
٦.	﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾	الشعراء	٨
٧.	﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾ ﴾	الأنبياء	٨
٨.	﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ؕ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٦﴾ ﴾	يس	٩
٩.	﴿ وَيَقُولُونَ أَيَّنَا تَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾	الصفات	٩
١٠.	﴿ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ يَكَاهِنِ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢١﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبْرِصٌ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ	الطور	٩

م	آية	السورة	الصفحة
	مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾		
١١	﴿ فَلَا أَسِمْ بِمَا بُصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا بُصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ، لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾	الحاقة	١٩
١٢	﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾	الشعراء	٢٥
١٣	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾	الفتح	٤٢
١٤	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾	مريم	٦٩
١٥	﴿ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾	فاطر	٦٩
١٦	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	النور	٧٥
١٧	﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾	يوسف	٨٤

٩٥	القلم	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾	.١٨
الصفحة	السورة	الآية	م
٩٥	الفتح	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾	.١٩
٩٥	الفتح	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾	.٢٠
٩٨	الحجرات	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾	.٢١
٩٨	لقمان	﴿ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾	.٢٢
٩٨	فصلت	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَحْفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُيْلَقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرًا مِمَّنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾	.٢٣
١٠٦	يوسف	﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾	.٢٤
١٠٦	المجادلة	﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾	.٢٥
١٠٦	النور	﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾	.٢٦

م	آية	السورة	الصفحة
٢٧	﴿ إِن نُّوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾	التحریم	١٠٦
٢٨	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾	الأعراف	١١١
٢٩	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾	العنكبوت	١١١
٣٠	﴿ أَيِنَّمَاتُ كُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾	النساء	١١٢
٣١	﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيَةِ وَالشَّهَادَةُ فَبَيْنَيْكُمْ إِنَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾	الجمعة	١١٢
٣٢	﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾	القصص	١١٢
٣٣	﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ﴿٨﴾ ﴾	الزلزلة	١٢١
٣٤	﴿ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّبِنَا لَعَلَّهُ بَتَدَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ ﴾	طه	١٢٩
٣٥	﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴿٥٣﴾ ﴾	الإسراء	١٢٩

م	الآية	السورة	الصفحة
٣٦	﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ ﴾	ص	١٢٩
٣٧	﴿ فَأَيَّ آيَاتِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾	الرحمن	١٤٤
٣٨	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ ﴾	القمر	١٤٤
٣٩	﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾	غافر	١٦٠
٤٠	﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾	الانفطار	١٦٠
٤١	﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾	آل عمران	١٦٠
٤٢	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾	الأعراف	١٦٠
٤٣	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿١٩﴾ ﴾	الإسراء	١٧٨
٤٤	﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُوسِرٍ ﴿١٣﴾ ﴾	القمر	١٧٨
٤٥	﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتِنَا ظُحًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾	الكهف	١٨٤

م	الآية	السورة	الصفحة
٤٦	﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾	الروم	١٨٤
٤٧	﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾	التوبة	
٤٨	﴿ لَا يَقْنِطُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	الحشر	١٨٤
٤٩	﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾	طه	١٨٥
٥٠	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُسْأَلُنِي عَنِّي سَاعَةً كَذَٰلِكَ كَانُوا يُوَفَّكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾	الروم	١٨٩
٥١	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَعَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يُجْعَلُهُ رِجَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ ﴾	النور	١٩٠
٥٢	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرَبَّكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	النور	١٩٥

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	م
٥	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله).	.١
٩٩	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) .	.٢
١٠٩	روي عن النبي صلى الله عليه وسلم (قال: من اعتذر إليه أخوه المسلم فليقبل عذره).	.٣
١١٢	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا) .	.٤
١١٢	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب).	.٥
١١٤	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة).	.٦
١٦٢	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة).	.٧
١٦٢	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتاني الليلة ربي في أحسن صورة).	.٨
١٨٤	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " حفت الجنة بالكاره والنار بالشهوات " ، " والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا " ، " كفى بالسلامة داء " ، " إن الله يبغض البخيل في حياته والسخي بعد موته " .	.٩
١٨٥	قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " إنكم تقولون عند الطمع وتكثرون عند الفزع " .	.١٠
١٩٠	قال النبي (صلى الله عليه وسلم) " أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين " .	.١١
٢٢	النبي (صلى الله عليه وسلم) " أنه خطب الناس يوم النحر على ناقه مخضرمة " .	.١٢
٢٢	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل " .	.١٣

فهرس الانشعار

م	الأبيات	الصفحة
١.	وإن جنان الخلد منزله بها وقتلاكم فى النار أفضل رزقهم	٢٠
٢.	الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا	٢٠
٣.	ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود	١٠٩-٢٣
٤.	وجبريل وروح القدس فينا (وروح القدس) ليس له كفاء	٢٣
٥.	أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر	٢٤
٦.	إن الذوائب من فهر وإخوتهم يرضى بها كل من كانت سريرته قوم إذا حاربوا ضرروا عدوهم سجية تلك منهم غير محدثة	٢٦
٧.	زار الحجيج عصابة قد خالفوا ترك القتال وما به من علة	٢٥
٨.	إن اليمامة خير ساكنها أهل القرية من بنى ذهل	٣٥
٩.	وقد علمت خيل بموقان أنني أنا الفارس الحامي لدى الموت نزال	٣٧
١٠.	وتقنع الحرباء ادنسته متشاوسا لوريده نقر	٣٩
١١.	هل عاشق نال من دهماء حاجته فى الجاهلية قبل الدين مرحوم	٣٩

الصفحة	الأبيات	م
٤٢	إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا	١٢
٤٢	ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح	١٣
٤٢	فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا	١٤
٤٢	إن العيون التي فى طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلانا	١٥
٦٧	ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب	١٦
١٠٨	عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي	١٧
١٠٨	ترى المرء يصبو للحياة وطولها وفى طول عيش المرء أبرح تعذيب	١٨
١٠٩	ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود	١٩

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
١.	جابر بن سمرة بن جنادة	٢٥
٢.	الشعبي : هو عامر بن شراحبيل علامة التابعين ولد فى خلافة عمر بن الخطاب سنة سبع عشرة وكان إماما حافظ و فقيها بارعا. وهو أكبر شيوخ الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، توفي سنة ١٠٤هـ .	٢٥
٣.	ابن هشام " عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري أبو محمد المتوفى (٢١٢هـ) .	٢٦
٤.	عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله البكري من ولد الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، الإمام أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي الحنبلي الواعظ.	٢٧
٥.	إسحاق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب المروزي، المعروف بالكوسج، فقيه حنبلي، من رجال الحديث. ولد بمرور. ورحل إلى العراق والحجاز والشام، وأستوطن نيسابور وتوفي بها.	٢٥
٦.	الزبير بن بدر : صحابى ، من رؤساء قومه . ولاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر ، وتوفى أيام معاوية نحو ٤٥هـ / ٦٦٥م.	١٤٦
٧.	ابن سيدة هو : الإمام اللغوي الأديب أبو الحسن علي بن سيدة الأندلسي ، ١٥٨هـ .	١٨٨

قائمة المصادر والمراجع:

١. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : عبد الرازق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، (بدون تاريخ) .
٢. إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، طبع مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٥ ، ١٩٧٢ م .
٣. إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة - مصر (بدون تاريخ) .
٤. ابن أبي الإصبع : تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر، تحقيق : حفني شرف ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ، ١٩٦٣ م .
٥. ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : د . أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر - القاهرة ، ط ١ ، ١٩٥٩ م .
٦. ابن الأثير الشيباني : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ م .
٧. ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار صادر - بيروت ، ط ١ ، ١٣٥٨ هـ .
٨. ابن حجة الحموي : خزانة الأدب وغاية الأرب ، تحقيق : عصام شعيتو ، دار مكتبة الهلال - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
٩. ابن حمدون : التذكرة الحمدونية ، دار صادر - بيروت ، ١٩٩٦ م .
١٠. ابن دريد جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للمالين - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
١١. ابن رشيقي القيرواني : العمدة في صناعة الشعر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة - القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٣ م .
١٢. ابن طباطبا : عيار الشعر، تحقيق : عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، (بدون تاريخ) .
١٣. ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري) : الاستذكار : ، تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

١٤. ابن عبد البر (يوسف بن عمر القرطبي . ت ٤٦٣هـ) : بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الزاهن والهاجس ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة .
١٥. ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي) : العقد الفريد ، تحقيق : عبد المجيد الترحين ، طبع المطبعة الأزهرية - مصر ، ١٩٢٨م .
١٦. ابن قتيبة : المعاني الكبير ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد - الدكن ، الهند ، ١٩٤٩م .
١٧. ابن قتيبة : غريب الحديث ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨م .
١٨. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي : الكليات ، تحقيق : عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٩٩٨م .
١٩. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي : المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م .
٢٠. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت ، ١٩٧٩م .
٢١. أبو العلاء المعري : الفصول والغايات ، تحقيق : محمد حسن زناتي ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٧٧م .
٢٢. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي : كشف المشكل من حديث الصحيحين : ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن - الرياض ، ١٩٩٧م .
٢٣. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي : جمهرة أشعار العرب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ط ١ ، (بدون تاريخ) .
٢٤. أبو زيد بن أبي الخطاب القرشي : جمهرة أشعار العرب ، شرحه وضبطه : الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ٢٠٠٣م .

٢٥. أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي البصري المتوفى (٢٣٢هـ) : طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، تحقيق : مصطفى عبد الجواد عمران ، المكتبة العصرية - مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٨م .
٢٦. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى (٥١٦هـ) : معالم التنزيل : ، تحقيق : محمد عبدالله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٤ ، ١٩٩٧م .
٢٧. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري : تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م .
٢٨. أبو هلال العسكري : الصناعتين فى الكتابة والشعر ، تحقيق : على محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ، ١٩٥٢م .
٢٩. أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل - بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ .
٣٠. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل - بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٩٩٩م .
٣١. أبي بكر العراقي : التبصرة والتذكرة ، المسمى (شرح ألفية العراقي) ، تصحيح : محمد بن الحسين العراقي الحسيني ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٥٤هـ .
٣٢. أبي عبيدة : الخيل ، دار المعارف العثمانية - حيدر أباد الدكن - الهند ، ١٣٥٨هـ .
٣٣. أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : الشعر والشعراء ، تحقيق : الدكتور عمر الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٧م .
٣٤. اتجاهات الغزل : يوسف حسين بكار ، دار المعارف - مصر ، (بدون تاريخ).
٣٥. إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة - بيروت - لبنان ، ط ٤ ، ١٩٨٣م .
٣٦. أحمد أبو حاقا : فن المدح وتطوره فى الشعر العربي ، منشورات دار الشرق الجديد ، ط ١ ، ١٩٦٢م .

٣٧. أحمد الشائب : الاسلوب ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ط ٦ ، (بدون تاريخ) .
٣٨. أحمد الشائب : أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة - القاهرة ، ط ٧ ، ١٩٦٤م .
٣٩. أحمد أمين : النقد الأدبي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٩٦٧م .
٤٠. أحمد بن محمد بن علي الفيومي : المصباح المنير ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٠م .
٤١. أحمد محمد الحويّ : أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، مكتبة النهضة - مصر ، مطبعة الرسالة ، (بدون تاريخ) .
٤٢. أحمد محمد الحويّ : الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة مصر - القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٦٢م .
٤٣. إسلامية المعرفة ، مجلة فكرية فصلية يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي - لبنان - جامعة بيروت الإسلامية ، العدد ٥١ ، ٢٠٠٦م .
٤٤. اسماعيل باشا البغدادي : هداية العارفين و أسماء المؤلفين و آثار المصنفين ، مكتبة بغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب .
٤٥. إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء : تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١هـ .
٤٦. الأزدي : العمدة ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل - بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٢م .
٤٧. الأصفهاني : غريب القرآن والحديث ، تحقيق : عبد الكريم الغرباوي ، مركز إحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة ، ١٩٨٩م .
٤٨. الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة - بيروت ، (بدون تاريخ) .
٤٩. التبريزي : شرح "بانت سعاد" لكعب بن زهير ، تحقيق : عبدالرحيم يوسف الجمل ، مكتبة الآداب - القاهرة ، ٢٠٠٣م .
٥٠. الترمذي في كتاب البر والصلة . باب ما جاء في قبول الهدية والمكافأة عليها .

٥١. الثعالبي : سحر البلاغة وسر البراعة ، تحقيق : أحمد عبيد ، مطبعة الترقى ، ط ١ ، (بدون تاريخ).
٥٢. الثعالبي: يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، (بدون تاريخ).
٥٣. الجاحظ : الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ، ١٩٤٨ م .
٥٤. الحسن الثعالبي : تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، ، دار الكتب العلمية - بيروت (بدون تاريخ) .
٥٥. الحصري (أبو اسحق إبراهيم بن علي القيرواني ، ت ٤٥٣ هـ) : زهر الآداب وثمر الألباب ، شرح زكي مبارك ، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ، ط ٢ ، [١٩] م .
٥٦. الخازن (علي بن محمد الخازن المتوفى ٧٤١ هـ) : لباب التأويل فى معاني التنزيل : ، المكتبة التجارية - القاهرة { ١٩ } م .
٥٧. الخصائص: ابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب - القاهرة ، ١٩٥٢ م .
٥٨. الخطيب التبريزي : الوايفى فى العروض والقوافى ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، عمريحيى ، دار الفكر - دمشق ، ١٩٧٥ م .
٥٩. الخطيب الغزويني : تلخيص المفتاح ، تحقيق : عزت زينهم عبد الواحد ، مكتبة جزيرة الورد - مصر ، (بدون تاريخ).
٦٠. الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين ، تحقيق : د. مهدي المخزومي / د. إبراهيم السامرائي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان (بدون تاريخ).
٦١. الدكتور السيد إبراهيم محمد : قصيدة " بانة سعاد " لكعب بن زهير وأثرها فى التراث العربي ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .
٦٢. الدكتور شكري فيصل : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ، ط ٦ ، ١٩٨٢ م .
٦٣. الدكتور صالح آدم بيلو : من قضايا الأدب الإسلامي ، دار المنار للنشر ، (بدون تاريخ).
٦٤. الراغب الأصفهاني : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، ١٩٦١ م .

٦٥. الرماني : النكت فى إعجاز القرآن، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف .
٦٦. السكاكي : مفتاح العلوم ، المطبعة الأدبية - مصر ، ط ١ ، (بدون تاريخ).
٦٧. السمعاني : تفسير القرآن، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس غنيم ، دار الوطن - الرياض - السعودية ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
٦٨. السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة فى المعاني والبيان والبديع ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (بدون تاريخ).
٦٩. السيوطي : الإتقان فى علوم القرآن ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - مصر ، ١٩٨٨ م .
٧٠. السيوطي : الدر المنثور ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣ م .
٧١. العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى ١٢٧٠ هـ : روح المعاني ، دار الكتب العلمية - بيروت ، (بدون تاريخ).
٧٢. الفارابي : رسالة فى قوانين الشعر (ضمن كتاب فن الشعر لارسطو) ، تحقيق : د . عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة - بيروت ، (بدون تاريخ).
٧٣. الفيروز آبادي : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية - لبنان ، (بدون تاريخ).
٧٤. القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر ، ١٩٦٦ م .
٧٥. المرزباني : نور القبس، دار صادر - بيروت ، (بدون تاريخ).
٧٦. المرزباني : الموشح (مآخذ العلماء على الشعراء) ، تحقيق : محمد على البجاوي ، دار النهضة - مصر ، ١٩٦٥ م .
٧٧. الميداني (أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني) : مجمع الأمثال ، تحقيق : عبد الرحمن محمد ، ١٣٥٢ هـ .
٧٨. النسائي : السنن الكبرى، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ م .

٧٩. النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، باب الغزل ، والنسيب والهوى ، المؤسسة المصرية العامة - القاهرة ، {١٩٥-} م .
٨٠. ايليا الحاوي : فن الفخر وتطوره فى الأدب العربي ، منشورات دار الشرق الجديد ، ط ١ ، ١٩٦٠م .
٨١. ايليا الحاوي : فن الوصف، دار الكتاب اللبناني-بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧م .
٨٢. باديس فوغالي : الزمان والمكان فى الشعر الجاهلي ، دار عالم الكتاب الحديث - الأردن ، ٢٠٠٨م .
٨٣. بدوي طبانة : دراسة نقدية وتاريخية فى عيون الشعر الجاهلي - معلقات العرب ، دار الثقافة - بيروت - لبنان ، ١٩٦٧م .
٨٤. بدوي طبانة : علم البيان دراسة تاريخية فنية فى أصول البلاغة العربية ، المطبعة الفنية الحديثة - بيروت - لبنان ، ١٩٦٧م .
٨٥. بسيوني عبد الفتاح بسيوني : علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ١٩٨٧م .
٨٦. بطرس البستاني : أدباء العرب فى الجاهلية و صدر الإسلام، دار مأمون عبور ، ط ١٩٧٩م .
٨٧. بطرس البستاني : دباء العرب فى الأعصر العباسية وحياتهم ، وآثارهم ، ونقدمهم ، دار عبور ، (بدون تاريخ) .
٨٨. بهاء الدين الإربلي : رسالة الطيف، تحقيق : عبد الله الجبوري ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، ١٩٦٨م .
٨٩. جابر عصفور : الصورة الفنية فى التراث البلاغي والنقدي ، دار الثقافة - القاهرة ، ١٩٧٤م .
٩٠. جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مكتبة دار الحياة - بيروت - لبنان ، ١٩٦٧م .
٩١. جورج غريب : شعر اللهو والخمر ، دار الثقافة بيروت - لبنان ، (بدون تاريخ) .
٩٢. حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار المغرب الإسلامي - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٦م .

٩٣. حفني ناصف وآخرون : قواعد اللغة العربية والبلاغة ، تحقيق : سمير إبراهيم بسيوني ، مكتبة الإيمان - المنصورة ، ط ١ ، ٢٠٠٩م .
٩٤. خير الدين الزركلي : الأعلام لأشهر الرجال والنساء ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٩م .
٩٥. د . حسن البناء عزّالدين : الطيف والخيال فى الشعر العربي القديم ، دار المناهل - بيروت - لبنان ، ط ٣ ، ١٩٩٤م .
٩٦. د . سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، (بدون تاريخ) .
٩٧. د . عبد الحكم مفتي الهيئة المصرية للكتاب أسلوب السخرية فى القرآن الكريم ، ١٩٨٧م .
٩٨. د . عبد الفتاح عثمان : التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني ، مكتبة الشباب - القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٣م .
٩٩. د . عبد الله الطيب : المرشد ، دار الفكر - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٠م .
١٠٠. د . عبد الله الطيب : المرشد ، مطبعة جامعة الخرطوم ، ط ٤ ، ١٩٩١م .
١٠١. د . عدنان حسين قاسم : الأصول التراثية فى نقد الشعر العربي المعاصر فى مصر - دراسة فى أصالة التراث النقدي عند العربي ، منشورات المنشأة الشعبية ، ط ١ ، ١٩٧٢م .
١٠٢. د . علي إبراهيم : الصورة الفنية فى شعر دعبل بن علي الخزاعي ، دار المعارف - مصر ، ط ١ ، ١٩٨١م .
١٠٣. د . عبد الحميد المسلوت : نظرية الانتحال فى الشعر الجاهلي ، دار القلم - القاهرة (بدون تاريخ) .
١٠٤. د . عبد القادر فيدوح : الاتجاه النفسي فى نقد الشعر العربي ، دار صفاء - عمان ، ط ١ ، ٢٠١٠م .
١٠٥. ديوان أبي العتاهية ، دار صادر - بيروت ، ١٩٦٤م .
١٠٦. ديوان الحطيئة ، بشرح : السكيت والسكري والسجستاني ، تحقيق : نعمان أمين طه ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ، ط ١ ، ١٩٥٨م .
١٠٧. ديوان الزبيرقان بن بدر ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٩٨٤م .

١٠٨. ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، تحقيق : صلاح الدين الهادي ، دار المعارف - مصر ، ١١١٩ م .
١٠٩. ديوان القطامي ، تحقيق : الدكتور إبراهيم السامري وأحمد مطلوب ، دار الثقافة - بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٠ م .
١١٠. ديوان المعاني : أبو هلال العسكري ، مكتبة القدس - بيروت - لبنان ، (بدون تاريخ) .
١١١. ديوان النابغة الجعدي ، شرح وتقديم : عباس عبدالساتر ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .
١١٢. ديوان تميم بن أبي بن مقبل ، شرح : مجيد طراد ، دار الجيل - بيروت ، ١٩٩٨ م .
١١٣. ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق : سيد حنفي ، الهيئة العالمية للكتاب - القاهرة ، ١٩٧٤ م .
١١٤. ديوان طرفة بن العبد ، شرح الشمنتري ، مطابع برطون - شالوت ، ١٩٠٠ م ديوان عبيد الأبرص ، دار بيروت للطباعة ، ١٩٥٨ م .
١١٥. ديوان عدي بن زيد ، تحقيق : محمد جبار المعبيد ، منشورات وزارة الثقافة والأرشاد - مديرية الثقافة العامة - بغداد ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
١١٦. ديوان عمر بن أبي ربيعة ، شرح : د. يوسف شكري فرحات ، دار الجيل - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
١١٧. ديوان عمرو بن أحمر عنوان الكتاب : شعر عمرو بن أحمر الباهلي جمع وتحقيق : د. حسين عطوان ، الناشر : مجمع اللغة العربية - دمشق .
١١٨. ديوان كعب بن زهير ، تأليف أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبالله السكري ، الدار القومية للطباعة والنشر - مصر ، (بدون تاريخ) .
١١٩. ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، شرح الطوسي ، تحقيق : حنا نصر ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ١ .
١٢٠. رسالة ماجستير : إعداد الطالب : سميح مصطفى محمود اعرج ، اشراف الدكتور : بابكر البدوي دشين ، مكتبة جامعة ام درمان الإسلامية ، غير منشورة ، ١٩٩٥ م - ١٩٩٦ م .

١٢١. زكريا إسماعيل : طرق تدريس اللغة العربية ، دار المعرفة الجامعية -
الأسكندرية ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
١٢٢. سراج الدين محمد : الهجاء فى الشعر العربي ، دار الراتب الجامعية -
بيروت ، (بدون تاريخ) .
١٢٣. سليمان بن أشعث السجستاني : سنن أبو داؤود ، جمع جوامع الأسانيد
ومكنز الصحاح والسنن والمسانيد ، جمعية المكنز الإسلامي ، ١٤٢١ هـ .
١٢٤. شفيق عبد الجبار الكمالي : الشعر عند البدو ، مطبعة الارشاد - بغداد ،
١٩٦٤ م .
١٢٥. شكري عباد : موسيقى الشعر العربي ، دار المعرفة - القاهرة ، ط ٢ ،
١٩٧٨ م .
١٢٦. شهاب الدين الاشبيهي : المستطرف فى كل فن مستظرف ، دار المعارف -
القاهرة ، ١٩٧٣ م .
١٢٧. شوقي ضيف : التطور والتجديد فى الشعر الأموي ، دار المعارف - مصر
، ط ٦ (بدون تاريخ) .
١٢٨. شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، دار المعارف - القاهرة ط ٢ ، ١١١٩ م .
١٢٩. شوقي ضيف : تاريخ الأدباء العرب ، دار المعارف - مصر ، ١٩٦١ م .
١٣٠. صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي
- بيروت ، (بدون تاريخ) .
١٣١. طه حسين : التوجيه الأدبي ، دار المعارف - القاهرة ، ١١١٩ م .
١٣٢. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي : قيم جديدة للأدب العربي ، مصر
الجديدة ، رمضان ١٩٦٧ م .
١٣٣. عبد الحكم مفتي الهيئة المصرية العامة للكتاب ، أسلوب السخرية فى
القرآن الكريم ، ١٩٨٧ م .
١٣٤. عبد الحميد القط : عبد القادر القط والنقد العربي ، مكتبة الخانجي
بمصر ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .
١٣٥. عبد الحميد سند الجندي : زهير بن أبي سلمى شاعر السلم فى الجاهلية ،
المؤسسة العلمية العامة ، (بدون تاريخ) .

١٣٦. عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير ، شرح الجامع الصغير ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ، ط ١ ، ١٣٥٦ هـ .
١٣٧. عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي : زاد المسير فى علم التفسير ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٧ م .
١٣٨. عبد العزيز عتيق : النقد الأدبي ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٢ م .
١٣٩. عبد الفتاح لاشين : البديع فى ضوء أساليب القرآن الكريم ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ٢٠٠١ م .
١٤٠. عبد القادر الرازي : مختار الصحاح ، دار الجيل - بيروت ، ط ١٩٨٧ م .
١٤١. عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية فى النقد الشعري ، دراسة فى النظرية والتطبيق ، دار العلوم - الرياض ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .
١٤٢. عبد القادر القط : الشعر الإسلامي و الأموي ، مكتبة الشباب ، ١٩٨٤ م .
١٤٣. عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة فى علم البيان ، المكتبة التوفيقية - مصر ، (بدون تاريخ) .
١٤٤. عبد الله بن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، تحقيق : عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة ١٩٦٩ م .
١٤٥. عبد الله بن محمد بن محمد البيضاوي الفارسي : تفسير البيضاوي ، (بدون تاريخ) .
١٤٦. عبد البر ، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي نهضة مصر - القاهرة ، (بدون تاريخ) .
١٤٧. عبد الملك بن هشام : سيرة ابن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الانباري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ، ٢٠٠٢ م .
١٤٨. عبده عبد العزيز قلقيلة : خط سير الأدب ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧ م .
١٤٩. عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي - بيروت ، ط ٦ ، ١٩٧٦ م .

١٥٠. عز الدين إسماعيل : التفسير النفسي للأدب ، مكتبة غريب العامة ، ط ٤ ، ١٩٦٣م.
١٥١. على البطل : الصورة فى الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني دراسة فى أصولها وتطورها ، دار الأندلس ، ط ٢ ، ١٩٨١م .
١٥٢. علي بن أحمد الواحدي : الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق : صفوان عدنان داؤدى ، دار القلم - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ .
١٥٣. علي علي صبح وآخرون : الأدب الإسلامى المفهوم والقضية ، دار الجيل - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢م .
١٥٤. علي محمد حسن العماري : أسرار البيان ، الدار القومية ، ط ٥ ، ١٩٦٥م .
١٥٥. عيسى سبأ : شعراء القصة والوصف فى لبنان ، دار صادر - بيروت ، ط ١ ، ١٩٦١م .
١٥٦. غازي طليمات : الأدب الجاهلي ، أغراضه وأعلامه وفنونه ، دار الفكر المعاصر - دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٧م .
١٥٧. فتحي أحمد عامر : فى مرآة الشعر الجاهلي ، دار الاتحاد العربي للطباعة - القاهرة ، ١٩٧٤م .
١٥٨. فوزي سعد عيسى : العروض العربي ومحاولات التطور والتجديد ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦م .
١٥٩. قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق : كامل مصطفى ، ط ٣ ، (بدون تاريخ) .
١٦٠. قدامة بن جعفر والنقد الأدبي: بدوي طبانة ، مطبعة مخيمر - القاهرة ، ١٩٥٤م .
١٦١. كروتشة : المجل فى فلسفة الفن ، تعريب د . سامي الدروبي ، عن كتاب عناصر الإبداع الفنى فى شعر الأعشى - عباس بيومي عجلان ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٥م .
١٦٢. لجنة من أدباء الأقطار العربية : الوصف ، دار المعارف - القاهرة ، [١٩٦٦] .
١٦٣. مجلة البيان ، تصدر عن المنتدى الإسلامى ، ج ٢١٦ .

١٦٤. مجموعة من العلماء ، بحوث ندوة أثر القرآن الكريم فى الوسطية ودفع الغلو ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية .
١٦٥. محاضرات فى شعر علي محمود طه : نازك الملائكة ، البصرة ، ١٩٦٤م .
١٦٦. محمد بن أحمد بن أبو بكر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، توزيع مكتبة الغزالي مؤسسة مناهل العرفان ، ج ١٠ .
١٦٧. محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٥هـ .
١٦٨. محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني - جدة ، (بدون تاريخ) .
١٦٩. محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني ، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، دار صادر - بيروت ، ١٩٦٦م .
١٧٠. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري : لسان العرب ، دار صادر - بيروت ، ط ١ (بدون تاريخ) .
١٧١. محمد حسين أبو موسى : البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري ، (بدون تاريخ) .
١٧٢. محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار النهضة العربية - بيروت ، (بدون تاريخ) .
١٧٣. محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار المعرفة (بدون تاريخ) .
١٧٤. محمد سعيد العباسي : أحمد عبد الله سامي ، دار الإرشاد - الخرطوم ، ط ١ ، ١٩٦٨م .
١٧٥. محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان فى علوم القرآن ، تحقيق : مكتبة البحوث والدراسات ، دار الفكر - بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٢م .
١٧٦. محمد عبد المنعم خفاجي / د. صلاح الدين محمد عبد التواب : الحياة الأدبية فى الجاهلية و صدر الإسلام ، مكتبة القدس (بدون تاريخ) .
١٧٧. محمد عبد المنعم خفاجي : ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ، دار الطباعة - القاهرة ، ط ١ ، ١٩٤٩م .

١٧٨. محمد عبد الواحد حجازي : الأطلال فى الشعر العربي (دراسة جمالية): دار الوفاء- الإسكندرية ، ط ١ ، ٢٠٠٢م .
١٧٩. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، دار النهضة المصرية - القاهرة ، ١٩٧٩م .
١٨٠. محمد مصطفى هداره : اتجاهات الشعر العربي فى القرن الثاني الهجري ، ط ٣ ، ١٤٠١هـ .
١٨١. محمد يوسف الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد فى سير خير العباد ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة ، ١٩٩٧م .
١٨٢. محمود عبد الله أبو الخير ، أستاذ اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والادارية ، جامعة الملك خالد ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، مقدمة القصيدة الجاهلية عند حسان بن ثابت رضى الله عنه ، العدد ٢١ ، ج ٧ .
١٨٣. محمود عبد الله الجادر : الثعالبى ناقدا وأديبا ، دار الرسالة - بغداد ، ط ١ ، ١٩٧٦م .
١٨٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفى): النسفى ، طبعة القاهرة ، ١٣٤٤هـ .
١٨٥. منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى : فقه اللغة وسر العربية ، مطبعة الاستقامة - القاهرة ، ١٩٥٢م .
١٨٦. منير سلطان : الصورة الفنية فى شعر المتنبي ، منشأة المعارف ، جلال حربي وشركاه - مصر ٢٠٠٢م .
١٨٧. ناصر محمد السويدان : مداخل المؤلفين وأعلام العرب : ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٩٨٠م .
١٨٨. نوري حموي القيس : الطبيعة فى الشعر الجاهلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٥٤م .
١٨٩. وهب رومية : الرحلة فى القصيدة الجاهلية ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٩٨٢م .
١٩٠. يحيى الجبوري : الإسلام والشعر ، مطبعة الإرشاد - بغداد ، ١٩٦٤م .

١٩١. يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٨٠ م .
١٩٢. يحيى الجبوري : شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٨ م .
١٩٣. يس النصير : الاستهلال فن البدايات فى النص الأدبي ، دار الشئون الثقافية العامة - بغداد ، ١٩٩٣ م .
١٩٤. يوسف سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، ١٩٢٨ م .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	م
٢	آية	.١
٤	إهداء	.٢
٥	الشكر	.٣
٩	تمهيد	.٤
٤١-١٣	الفصل الأول : المشوبات وأصحابها	.٥
١٥	المبحث الأول : التعريف بالمشوبات	
١٧	المبحث الثاني : أثر الإسلام في الشعر	
٢٣	المبحث الثالث : موقف القرآن من الشعر	
٢٨	المبحث الرابع : موقف السنة الشريفة من الشعر	
٣٢	المبحث الخامس : التعريف بشعراء المشوبات	
١١٢-٤٢	الفصل الثاني : الأغراض الشعرية	.٦
٤٦	المبحث الأول : الوصف	
٧٤	المبحث الثاني : الغزل	
٨٨	المبحث الثالث : المدح	
٩٧	المبحث الرابع : الفخر	
١٠٤	المبحث الخامس : أغراض أخرى وهي : الهجاء ، الشكوى والعتاب ، الإعتذار ، الحكمة والمثل	
١٢٢-١١٣	الفصل الثالث : الدراسة الفنية	
١١٥	المبحث الأول : بناء القصيدة في المشوبات	
١٣٥	المبحث الثاني : اللغة والأسلوب	
١٤٩	المبحث الثالث : الأوزان والقوافي	
١٦٠	المبحث الرابع : الصورة الفنية	
١٨٤	المبحث الخامس : الفنون البديعية	
١٩٤	الخاتمة	.٧
١٩٥-١٩٤	النتائج والتوصيات	

الصفحة	الموضوع	م
٢٢١-٢٢٠	الفهارس	.٨
٢٠٠-٩٥	فهرس الآيات القرآنية	.٩
٢٠١	فهرس الأحاديث	١٠
٢٠٣-٢٠٢	فهرس الأبيات الشعرية	١١
٢٠٤	فهرس الأعلام	١٢
٢١٩-٢٠٥	فهرس المصادر والمراجع	١٣